مصابيح
الثراء
رفيدة فتحي

مصابيح الثراء

رواية

تأليف

روفيدة فتحي

عنوان الكتاب: مصابيح الثراء

الموضوع: روايـــــة

تأليف: روفيدة فتحي

تصميم غلاف: عائشة عمارة

رقم الإيداع بالدار : 2026/0550

الترقيم الالكتروني EBIN : 60-56-1-260517

الناشر:

أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

alkatebacademyforpublishing@gmail.com

01112357473

مصر

مصابيح الثراء

رواية

تأليف

روفيدة فتحي

٢٠٢٦

دار أكاديمية الكتاب للنشر الإلكتروني

المقدمة

اشتعلت المصابيح في جميع القرية بأكملها عندما قرر الغني أن يجعل تجارته مع الله.
عندما يُعامِل الغني الفقير بتواضع شديد يشعره أنه جزء منه.
ولكن لن يستطيع أي غني فعل ذلك، فالقليل من أهل الثراء من يمتلك صفة التواضع.

لو كان يعلم سعيد ما سوف يحدث تلك الليلة حتماً كان سيمنع حبيبته نهى من الحمل.

بعد بزوغ الفجر، انتظر بفارغ الصبر خارج غرفة العمليات أن تضع زوجته مولودهما الأول الذي انتظراه لخمسة أعوام، ويدعو الله أن يخفف عنها آلامها ويحفظ لهما مولودهما.

وبعد مرور ساعتين من الانتظار.. سمع صوت بكاء يأتي من الغرفة، يتلألأ في جميع أنحاء المشفى فركض مسرعًا من شدة فرحته مستأذنًا الممرضة ان يدخل الغرفة لكي يرى زوجته ومولوده الجديد.

فأخبرته أن ينتظر قليلاً. وبعد مرور نصف ساعة من اللهفة والاشتياق؛ أذنت له بالدخول فأسرع إلى زوجته لكي يطمئن عليها أولًا.

فوجدها غارقةً في سُباتٍ عميق وكأن مغشيًا عليها من شدة تأثير حقنة البنج. اقترب من فراشها وجلس على حافته

يقبل يديها ويمسح على رأسها ويهمس لها في أذنيها بكلماتٍ قد سمعتها الطبيبة.

- وردتي، ستكونين بخير كوني قوية.

ثم توجه إلى الطبيبة مطالبًا أن يرى مولوده.. فوجد الممرضة قد أتت به تحمله بين يديها بعد أن قامت بتجهيزه، ثم باركت له على مولوده الجديد، وأخبرته بعد أن شعرت أنه متشوقًا بمعرفة نوع المولود أنها طفلة تشبه القمر.

فرح كثيرًا أنها فتاة وسجد لله شاكرًا على ذلك، ثم حملها وهو يشم رائحتها الجميلة.

موجهًا كلامه لها:

- أنرتِ حياتي يا حجاب أباكِ وأمكِ من النار.

ثم نظر إليها نظرة مطولة يتأمل جمالها الخلاب مخاطبًا وكأنها تفهمه.

- ما أجملكِ! قطعة من القمر ما شاء الله تشبهين أمكِ كثيرًا.

كان شعرها أسود اللون ينسدل على وجنتيها من شدة نعومته، وعيونها سوداء كسواد الليل في شدة الظلام الدامس، وبشرتها بيضاء كبياض الثلج، ووجنتيها زاهرتين كأنها حورية من الجنة.

من يراها يقسم أنه لم يرَ جمال كهذا من قبل، ثم سمع صوت زوجته تتأوه من شدة ألمها فتوجه إليها مسرعًا حاملًا ابنته بين يديه.
قائلا لها:

- حمدًا لله على السلامة يا عزيزتي نهى.

ثم تابع:

- لقد رزقنا الله بطفلة قطعة من القمر ما شاء الله تشبهكِ كثيرًا.
- فتوجهت إليه مقاطعة كلامه، وأخبرته أن يعطيها ابنتهما لأنها تود أن تراها وتعانقها.

بعد أن أعطاها ابنتهما، جلس بجانبها وظل يقبلها عدة مرات، ثم أخبرها أن تستعيد صحتها سريعًا وتقوم بالسلامة، لأنه اشتاق إليها كثيرًا هو وابنته، ثم صمت قليلًا وهو يتذكر شيئًا..
وسألها ماذا ستسمي ابنتها؟
تجاهلت نهى سؤاله ونظرت إلى ابنتها وهي بين يديها محاولةً أن تضمها بشدة بين صدرها وتتماسك لدموعها التي كادت أن تنزل بغزارة
وتقول لها بعد أن نظرت نظرة مطولة لعل عينها تتكحل برؤيتها:

- ما شاء الله، رائحتك كرائحة المسك يا ابنتي الجميلة، تشبهين وردة الجوري في جمالها، رقيقة كالفراشة، ناعمة كالحرير. جعل الله أيامكِ كلها سعادة، وأقدارك كلها خير لكِ، وجعلكِ من الصالحين الذين تفتخر بهم هذه الأمة.

بعد تلك الكلمات الجميلة لابنتها شعرت نهى بألم في معدتها، وظهر على وجهها هذا الألم فلاحظ زوجها ذلك وسألها إن كانت بخير أم لا ولكنها لم تجبه بشيء، فأومأ بالذهاب لكي يحضر الطبيبة وهو يشعر بخوفه الشديد عليها، ولكنها تشبثت بذراعيه مخاطبةً له أن ينتظر فلديها ما ستخبره به، ووضعت طفلتها بجانبها وقالت:

- سعيد، إن حالتي سيئة جدًا وتسوء أكثر مع مرور الوقت، ويبدو أنه قد حان الأوان لكي أرحل لدنيا الحق.

فقاطعها سعيد متفاجئًا من كلامها:

- ما الذي تقولينه يا نور عيني في الظلام؟ أنتِ بخير وستصبحين أفضل في أقرب وقت وسيصبح كل شيء على ما يرام!

وتابع عابس الوجه لا يصدق ما تقوله:

- لا تقولي هذا الكلام مرة أخرى يا روحي.

فنظرت نهى إلى زوجها وطال صمتها كأنها تود أن تخبره بشيء.

ثم قالت له:

- سامحني يا سعيد.

وصمتت برهة، ثم أخبرته أنها كانت مريضة قبل أن تحمل بطفلتهما والطبيبة أخبرتها أن الحمل خطر على صحتها

ولكنها لم تخبره بذلك لأنها كانت تريد أن ينعم بالود ولا تحرمه من ذلك، وإن كان مقابل حياتها.

كان سعيد ينظر إليها وهو مصدوم من سماع هذا الكلام ولا يصدق أن حبيبته نهى كانت مريضة وهو لا يعلم بذلك، وأنها سترحل عنه كما تقول، فنزع يده من يدها الناعمة التي تشعره بدفء وحنان، وخرج من غرفة العمليات يصرخ بأعلى صوتٍ حيث يكاد صوته يرج أنحاء المشفى غير مصدقًا ما تقوله زوجته!

- من الطبيبة التي أخبرت زوجتي أن الحمل خطر عليها وأنها ستموت بعد أن تلد؟ لتأتي لي الآن!!

فخرجت الطبيبة من مكتبها وهي خائفة من صوته المرتفع الذي كاد يرج أنحاء المشفى، وعلى وجنتيها الحزن والأسف

وأخبرته أنها من أخبرت زوجته بذلك. وتابعت في أسف:

- لكن صدقني أنني فعلت المستحيل لكي تتحسن! ولكن حالتها تسوء مع الوقت ليس بيدنا شيء آخر نفعله سوى الدعاء لها. سامحني

فصرخ مرة أخرى وقال:

- لماذا لم تخبرني أنها مريضة من قبل؟ وأن الحمل سيضرها؟

فردت الطبيبة وقالت في ارتباك:

- يا أستاذ سعيد، هي من ترجتني أن لا أخبرك بمرضها.

فذهب وتركها وجلس على مقعد جانبًا داخل المشفى، وظل يبكي لا يعرف ماذا يفعل، ثم شعر بصوت زوجته في أذنيه تهمس:

- سعيد

فأسرع إلى زوجته ووجد أن حالتها قد تدهورت أكثر من قبل أن يتركها؛ فقام بمسح دموعه دون أن ترى ذلك، فهو يجب أن يتحلى بالقوة أمامها، ثم توجه إليها وهو يمسك يدها بشدة وقال لها في حزنٍ شديد:

- لن تتركيني يا نهى، عديني بذلك من فضلك!

فأخبرته بصوت متقطع أنها لن تتركه للأبد وسيكونان معًا في جنة الخلد إن شاء الله.

ظل سعيد يبكي ويدي زوجته بين يديه تلتقط أنافسها الأخيرة..

فراقكِ قد أنهكني كثيرًا يا حبيبتي وغيَّر شيء ما بداخلي، فهل لكِ أن تخبريني متى سنلتقي؟

***

الفصل الأول

في مدينة كبيرة يظهر على سكانها الثراء، بعد بزوغ الليل بساعاتٍ تجلس فتاة تُدعى نور تبلغ من العمر الثانية عشر، تعزف على آلتها الموسيقية في أكبر قصور أطرانوس تحيطه حدائق مثمرة تتدلى من أشجاره عيدان الريحان العطرة..

وتدمع عيناها من صوت الأغنية التي تتحدث عن رحيل الأم، وخلفها أبيها يترقبها ويتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة عندما رآها بهذه الحالة، قبل أن يأمرها أن تذهب إلى النوم لكي لا تتأخر في الصباح على ذهابها للمدرسة.

وفي صباح اليوم التالي أخبرت نور والدها فرحةً أنها قد ارتدت زي المدرسة بمفردها دون المساعدة من "الدادة حكمة".

- أحسنتِ يا ابنتي.

ثم أخبرها أنه يجب على الإنسان الاعتماد على نفسه في بعض الأحيان؛ لأنه ليس دائمًا سيجد من يساعده.

- نعم يا أبي معك حق

ثم توجه إليها وبيده علبه كبيرة مليئة بالحلوى مقبلًا وجنتيها ماسحًا على رأسها بحنان.

وأخبرها أنه قد اشترى علبة الحلوى لها ولأصدقائها، وسألها أن تقوم بتفريقها على جميع رفقائها وأصدقائها في المدرسة

وتابع بابتسامة عريضة:

- يا ذات الوجنتين الزاهرتين!

نظرت نور إلى أبيها متعجبة وأخبرته أن أصدقائها يأتون ومعهم الحلوى دائمًا، فأخبرها أنه لا مشكلة في ذلك، لأن إدخال السرور على قلب اخواتها صدقة.

وتابع كلامه أن تلك الحلوى يخرجها صدقةً من أجل أمها رحمها الله لتكون في ميزان حسناتها

وأكمل باسمًا أن عليها أن تذهب الآن؛ لأنه قد أتى باص المدرسة.

أخذت نور العلبة من أبيها وهيا تتذمر دون أن يشعر بذلك متوجهةً إلى الباص
وعندما صعدت قامت بعض رفيقاتها بالترحيب بها، ولكنها لم تبالِ بهذا ولم تلقِ لهم بالًا كعادتها.
ثم جلست في صومعة العربة بجانب النافذة بعيدة عن الأعين، حيث لا يوجد أحد لتفتح علبة الحلوى التي بين يديها وتلمع عينها بسعادة لكثرة الحلوى التي بداخلها، وبعد دقائق توجه الباص إلى فتاه تسكن في قرية بالقرب من المدينة التي تسكن فيها نور بحوالي ساعة ونصف، ولكنها تنتظر باص المدرسه خارج القرية، وبعد أن صعدت الباص ظلت تلتفت يمينًا ويسارًا باحثةً عن صديقتها نور.
أشار إليها بعض الفتيات أنها جالسة في صومعة العربة فتوجهت إليها باسمة وقالت:

- صباح الخير يا نور.

نظرت إليها نور وهي تشعر بالغضب تجاهها وأجابتها عابسة الوجه:

- لماذا أتيتِ إلى هنا؟ اذهبي واجلسي في مكانٍ آخر، أم أنكِ تطمعين في الحلوى التي بين يدي؟

صُعقت ضي من كلامها وسألتها في دهشة عن أي حلوى تتحدث، ثم أخبرتها أنها ليس لديها علم بالحلوى التي معها وأنها أتت فقط لكي تلقي عليها السلام وتطمئن عليها.
أخبرتها نور أنها لا تريد أن يطمئن عليها أحد، ثم أشارت إليها بيديها وسألتها مقوسة حاجبيها أن تذهب الآن وتجلس في مكان آخر.
ظلت ضي واقفة في مكانها وهي تنظر لنور بحزن على ما بدر منها دون أن تتفوه بكلمة، فنظرت إليها نور نظرة اشمئزاز وسألتها لماذا ما زالت واقفة في مكانها؟ وتابعت عابسة الوجه:

- ألم تسمعي ما قلته؟

ثم أخبرتها أنها لا تحب أن يجلس بجانبها أحد فقير وليس معه حلوى كثيرة مثلها، وملابسه المدرسية مهترئة من كثرة ارتدائها.

ثم تبسمت ابتسامة خبيثه وتابعت بكل غرور أن زيها جديد ولا تريد أن يجلس أحد زيه قديم بجانبها.
دمعت عينا ضي بغزارةٍ وتدفقت دموعها على وجنتيها، وظلت تطالع زيها وزي نور حيث لا يوجد بينهما مقارنة!
ثم توجهت بالجلوس في الأمام، وبعد مرور عشرين دقيقة، تسمع ضي اسمها يُنادى من قبل مساعد سائق الباص أنها قد وصلت إلى مدرستها. بعد نزولها من الباص ظلت نور تنظر لها من الشرفة نظرة شماتة محدثة نفسها:

- كيف أتت تلك الفتاة بهذه الجرأة لكي تتحدث معي؟ ألم ترَ الفرق بيننا؟ مثل السماء والأرض! سألقنها درسًا لن تنساه وأيضًا منظر مدرستها مثل الزي التي ترتدي لا فرق بينهما!

بعد وصول نور إلى المدرسة، وفي وقت الاستراحة أخرجت علبة الحلوى الذي أعطاها لها والدها لها لكي تفرقها على أصدقائها ثم توجهت إليهم وظلت تنظر لهم في سعادة بالغة.

***

في صعيدٍ آخر، هناك شركة من أكبر شركات مدينة أطرانوس بل جميع المدن التي بالقرب من تلك المدينة، تتزين من الخارج بأنوار المصابيح المختلفة التي تجذب المارة، فتعطي إضاءة جذابة بعد انسدال ظلام الليل.
وخارج البوابه الرئيسية للشركة، عُلقت لافتة كبيره مكتوب عليها (شركة نور الصباح لصناعة الملابس)
يجلس والد نور داخل مكتبه واضعًا رأسه بين يديه، يفكر كيف يساعد أهل القرية الفقراء بعد أن سمع أنهم يهلكون من شدة فقرهم، ثم صاح بصوته الرخيم مناديًا سكرتيرته ليلى.
فأجابته مسرعة:

- أمرك يا أستاذ سعيد.

فأمرها أن تبلغ الأستاذ محمد أن يأتي إلى مكتبه فورًا، وأنها ستجده يشرف على عمال الشركة

- حالًا يا أستاذ سعيد.

وبعد دقائق قام الأستاذ محمد بطرق الباب مستأذنًا أن يدخل، فأذن له الأستاذ سعيد بالدخول، ورحب به.
ظل الأستاذ سعيد يتحدث مع صديقه المفضل، حيث أنه كان صديقه منذ الصغر ومسئول عن خزنة الشركة وكاتم أسراره، وبعد دقائق أخبر الأستاذ سعيد الأستاذ محمد أن يذهب إلى القرية المجاورة ويتطلع على جميع سكانها الذين هم بحاجة للمساعدة، ككبار السن الذين لا يستطيعون العمل بسبب سوء صحتهم، والأيتام بالخصوص لأنه سمع من أناس كثيرين أن هذه القرية أشد فقرًا من جميع القرى الأخرى، وأخبره أيضًا أنه لا يريد أن ينعم هنا بجميع أملاكه وجيرانه يعانون من الفقر.

- أمرك أستاذ سعيد، سأذهب غدًا إلى القرية مع شروق الشمس، وسآتي بإذن الله على موعد العمل، لن أتأخر عليك.
- سأنتظرك يا صديقي، وخذ معك بعضًا من الخدم لمساعدتك، لا تذهب بمفردك.
- حسنًا.
- هيا اذهب إلى إتمام عملك، وبعد ذلك خذ قسطًا من الراحة، غدًا سيكون لديك أعمال كثيرة.

***

بعد مرور اليوم الدراسي لدى نور، أخبرت سائق المدرسة أن يذهب إلى الشركة عند والدها، وبعد ذهابها، تفاجأ والدها بذلك ولكنه فرح أيضًا بقدومها. كيف لا وهي مدللته الوحيدة؟ ثم توجه إليها وأخذها في حضنه وظل يمسح على رأسها.
سألها عن سبب مجيئها فأخبرته نور أنها اشتاقت له وأرادت أن تأتي لتجلس معه في العمل. حملها أباها وأجلسها على قدميه، وسألها وهو يمسح على شعرها الناعم عن علبة الحلوى هل قامة بتوزيعها على رفيقاتها كما أمرها..
أومأت نور برأسها موافقة كلام أبيها وأخبرته أنهم كانوا سعداء كثيرًا.

قبل الأستاذ سعيد ابنته وشكرها على ذلك واخبرها أن الله سيعطيها حسنات كثيرة؛ لأنها كانت سبب في إدخال السعادة على قلوب أصدقائها وأن ثواب هذا العمل قد وصل إلى أمها في قبرها، وبعد مرور بضع دقائق، أمرها أن تعود إلى القصر بعد أن أمر مجدي سائق الباص بذلك.

- أريد أن أكون معك يا والدي إلى إتمام عملك..

رفض الأستاذ سعيد طلب ابنته وأخبرها أن تذهب لكي تأخذ قسطًا من الراحة، وبعد ذلك تقوم بعمل واجباتها المدرسية.

ثم تابع:

- لا اريدك أن تهملي واجباتك المدرسية، عليكِ أن تجتهدي

تذمرت نور بدلالٍ وظهر على وجهها الحزن، ولكن عندما لا حظ ذلك والدها، أخبرها أنه لن يتأخر عليها وسيعود إلى البيت مبكرًا اليوم من أجلها. سعدت نور لذلك وأومأت برأسها موافقةً

وبعد ذهاب نور إلى القصر برفقة مجدي السائق قامت المربية حكمة بالترحيب بها بحرارةٍ شديدة كعادتها

وقالت:

- أهلًا وسهلًا بابنتي الجميلة..
- أهلًا وسهلًا بالخادمة حكمة

ثم جلست نور على المقعد لكي تخلع حذائها

فجلست الخادمة حكمة بجانبها، ثم سألتها كعادتها كيف كان اليوم الدراسي. قصت نور لها كل ماحدث معها في المدرسة وبعد ذلك أتت عند اللحظة التي كانت ستقوم بتوزيع الحلوى على أصدقائها وقالت فرحة:

- وقمت بتوزيع جميع الحلوى التي أعطاها لي والدي على صديقاتي..

قبلتها الخادمة حكمة وقالت باسمة:

- أحسنتِ يا ابنتي.

شعرت نور بالإرهاق الشديد عندما كانت تتحدث مع الخادمة، فأخبرتها أنها يجب أن تذهب الآن لتأخذ قسطًا من الراحة.

بعد تغيير نور زي المدرسة وارتدائها فستانًا جميلًا في غرفة ملابسها، توجهت إلى غرفة النوم وألقت بنفسها على سريرها قبل أن تغلق جفونها المرهقة ويغلبها النعاس من شدة التعب، ولكن لم يوقظها إلا شدة ألم معدتها فشرعت في الذهاب لكي تخبر طبيبة القصر بذلك

ولكنها تذكرت ما فعلته في المدرسة ففضلت ألا تخبر أحدًا وشعرت بالخوف.

ظلت هكذا على حالها ساعتين تحاول أن تنام ولكنها لا تستطيع من شدة ألم معدتها، فهو يزداد مع الوقت.

قررت أن تذهب إلى الخادمة حكمة لكي تعد لها مشروبها الدافئ المفضل، حيث إنه كان ينسون بالنعناع، وبعد أن شربت مشروبها الساخن سكن ألم معدتها قليلاً.. فقررت أن تعزف على آلتها الموسيقية لعلها تشتت نفسها عن هذا الألم مع صوت الموسيقى، ولكنها سمعت صرير باب القصر فقامت بالذهاب لكي ترى من الذي أتى، فوجدته والدها قد أتى مبكرًا كما وعدها ففرحت كثيرًا وذهبت مسرعةً إليه وألقت بنفسها بين أحضانه، وقالت في سعادة:

- أشكرك يا والدي انك أتيت اليوم مبكرًا كما أخبرتني.
- -نعم، فعلت ذلك من أجلك يا ذات الوجنتين الزاهرتين.

وتابع في قلق:

- ولكن، لماذا يظهر على وجهكِ التعب؟ ألم تنَمي؟

أخبرته نور أنها نامت ولكنها لم تنَم كثيرًا، وفضلت الجلوس على آلتها الموسيقية لكي تعزف.

فسألها والدها هل قامت بواجبات المدرسة

صمتت نور قليلًا ثم قالت:

- نعم يا أبي، لقد فعلتها جميعها.
- أحسنتِ يا ابنتي، سآخذكِ في نزهة اليوم.

فسألته في سعادة:

حقًا يا والدي؟

- نعم يا ابنتي، سأفعل ذلك مكافئة لكِ.

بعد حلول الليل خرج الأستاذ سعيد ومعه ابنته الوحيدة الذي يسعى جاهدًا أن يكون لها أبًا وأمًا في آنٍ واحد، ويعوضها غياب أمها التي حُرمت منها منذ نعومة أظافرها، فذهب بها إلى إحدى الملاهي الكبيرة، وظل يلعب معها وعندما كانت تطلب أن تركب شيئًا من الملاهي يدفع تذكرتين، له ولها، ويركب معها كل ما ينفع أن يركباه معًا، وبعد ذلك ذهب بها إلى مطعم كبير وطلب وجبتها المفضلة وطلب مثلها لنفسه رغم أنه لا يحبها، ولكن فعل ذلك من أجلها فقط، يعلم أن عزيزته نهى إذا كانت على قيد الحياة، كانت ستفعل ذلك من أجل ابنتهما.

ظلا على طاولة المطعم ما يقارب ساعة يأكلان، ويتحدث معها عن كل شيء يناسب عمرها كصاحبٍ لها لا والد، فما أجمل النزول لسن أولادك والتعامل معهم بعقليتهم! وبعد حديثٍ طويل دار بينه وبين ابنته، رجعت آلام معدتها مرة أخرى رويدًا رويدًا، ولكن لم تستطع أن تخبر والدها بذلك، تخاف كثيرًا أن يكشف أمرها ولكنها لم تستطع أن تخفي آلامها كثيرًا. لقد اشتد عليها فظهرت على وجهها علامات الألم والتعب وظلت تضع يدها على معدتها من شدة الألم فشعر الأستاذ سعيد أن ابنته ليست بخير فقال وهو تظهر عليه علامات الخوف:

- ماذا بكِ يا ابنتي؟ هل معدتك تؤلمك؟

فأجابته في ألمٍ

- نعم يا أبي، لا أعلم لماذا تؤلمني بهذه الطريقة!

نظر إليها والدها في خوف وقال:

- لا تأكلي باقي الطعام الذي أمامكِ، اتركي وسأذهب بكِ إلى المشفى سريعًا.

ما أن انتهى الأستاذ سعيد من كلامه وجد ابنته مغشيًا عليها على الأرض. شعر بالخوف الشديد عليها وظل يصيح بأعلى صوتٍ إن كانت تسمعه أم لا، ولكن لا حياة لمن تنادي..

حملها الي أقرب مشفى ولم يبالِ بالجمع الذي اجتمع حوله وبعد دقائق من الخوف والقلق على ابنته ودعاء الله أن يحفظ له

صغيرته، خرج الطبيب من الغرفة وعلى وجهه علامات الحزن والأسف وظل صامتا قليلاً وساد مع صمته سكون الليل، فسأله الأستاذ سعيد في لهفةٍ هل ابنته بخير أم لا وظل يترجى أن يخبره أنها بخير ولم يصبها مكروه، فأخبره الطبيب في ارتباكٍ أن ابنته تسممت ويجب أن يفرغ معدتها في الحال علَّ أن يساعدها جسدها في إفراغ سمومه وطلب منه أن يذهب بها إلى المشفى المجاور سريعًا وهم سيهتمون بهذا الأمر. أخذ الأستاذ سعيد ابنته دون أن يتفوه بكلمةٍ وأسرع إلى المشفى وأخبرهم بتسميم ابنته، قام الأطباء بعمل الفحوصات لكي يتأكدوا من ذلك.

وبالفعل أفرغ الأطباء معدتها ووضعوا لها سائل حتى يقاوم جسدها هذه السموم ويستعيد صحته مرة أخرى.

ظل الأستاذ سعيد يفكر كيف تسممت ابنته بهذه الطريقة البشعة، هل بسبب الطعام الذي أكلته في المطعم؟ أم بسبب شيء آخر لأنه أكل من نفس الطعام ولم يحدث له شيء لذلك يتعجب كثيرًا من ذلك.

فسأل الطبيب عن سبب تسمم ابنته فأخبره الطبيب أنه لا يعلم وسيظهر ذلك بعد عمل التحاليل لها، ولكن في الأغلب أنها تسممت بسبب آخر شيء أكلته.

غضب الأستاذ سعيد كثيرًا واقسم أنه سيذهب لهذا المطعم الذي كان سببًا في مرض ابنته بتلك الطريقة البشعة وتلقينهم درسًا لن ينسوه، ولكن

بعد أن تقوم ابنته من ذلك المشفى اللعين. فهو يكره هذا المكان وبعد رحيل زوجته رحمة الله عليها يخاف أن يفقد أحدًا آخر خصوصًا ابنته الوحيدة فلذة كبده. توجه إليه الطبيب وسأله كيف علم أن ابنته تسممت فأخبره أنه ذهب بها قبل أن يأتي هنا إلى المشفى المجاور وأخبره الطبيب بذلك.

تفاجأ الطبيب وسأله لماذا لم يقومون بعلاجها

- لا أعلم، لم أستفسر منه من شدة خوفي على صغيرتي ولكنه أخبرني أن آتي إلى هذا المشفى

أومأ الطبيب برأسه للأستاذ سعيد وهو متعجبًا من ذلك دون أن يتفوه بكلمة..
ظل الأستاذ سعيد بجوار ابنته واضعًا كف يدها الصغير بين يديه طوال الليل يتأمل جمالها الخلاب وملامحها الرقيقة وبرائتها ينتظر بفارغ الصبر أن تفتح عينيها
حتى حلَّ الفجر وهدأت معه حركاته وهذيانه، ولكن لم تفتح نور أيضًا عينيها فزاد خوف الأستاذ سعيد كثيرًا وظل يدعو الله أن يشفي ابنته في صلاة الفجر.
مع شروق شمس أمل جديد ويوم جديد، حركت نور يديها وظلت تتمتم ببعض الكلمات لم يفهمها أباها ولكنه فرح كثيرًا أن ابنته بدأت تتحرك وبعد دقائق من الصبر فتحت عينها وعلى وجنتيها ابتسامةٍ خفيفة ثم توجهت إلى أبيها وقالت في فزعٍ شديد:

- لماذا لم توقظني للمدرسة يا ابي؟

فرح والدها كثيرًا وقال لها:

- ستذهبين يا ابنتي، ستذهبين ولكن ليس الآن.

أدركت نور أنها في مكانٍ غريب ليس في بيتها، بعد أن حملقت بعينيها في جميع الغرفة، فسألت والدها في دهشةٍ ما الذي حدث لها، فأخبرها بكل شيء، ثم اعتذر لها أنه أتى لها بالطعام من هذا المطعم فصمتت كأنها تتذكر شيئًا، ولكنها لم تتفوه بكلمة ثم حاولت أن تنهض بجسدها فساعدها والدها وثبت وسادة وراء ظهرها، واتصل بالخادمة حكمة وأمرها أن تأتي على الفور لكي تأخذ ابنته إلى البيت وهو سيذهب إلى هذا المطعم لكي يلقنهم درسًا لن ينسوه.
بعد مرور نصف ساعة، ذهب الأستاذ سعيد إلى المطعم، فوجد الشاب الذي أعطاه الطعام بالأمس واقفًا أمام سيخ الشاورما فأمسكه من ملابسه ودفعه بيده ثم لكمه لكمة قوية أعادته خطواتٍ للخلف وسقط على الأرض وسالت دماؤه من أنفه.
سأله في غضب ما الذي وضعه في الطعام وأخبره أنه كان بسببه سيفقد ابنته الوحيدة
تفاجأ الشاب من كلامه وظل يقول له:

- اتركني، ما الذي تتحدث عنه؟ إنني لم أضع شيئًا في الطعام.

وأكمل في خوفٍ:

ما الذي حدث لابنتك؟ هل هي بخير؟

ولكن لم يبالِ الأستاذ سعيد بكلامه وظل يضربه بشدة، حاول بعض الناس التدخل لكي يفضوا هذا الاشتباك، ولكن لم يستطع أحد بسبب قوة بنيانه إلى أن فقد الشاب وعيه ووقع على الأرض مغشيًا عليه.

ظل الأستاذ سعيد يصرخ في الشباب التي تعمل في المطعم ويقول لهم

- سيكون هذا المطعم مغلقًا بعد قليل

ثم طلب الشرطة..

تقدم إليه شاب وقال:

- ما الذي حدث لابنتك؟ نحن لا نفهم شيئًا مما يحدث!

فأخبره أن ابنته تسممت في المساء بسبب طعامهم التي تناولته من عندهم.

صُدم الشاب من كلامه وقال متعجبًا:

- ولكن تلك المرة الأولى التي تحدث عندنا!

وأكمل كلامه:

- مستحيل أن تكون ابنتك قد تسممت من الطعام الذي أكلته عندنا!

ولكن الأستاذ سعيد لم يتفاهم معه، وبعد دقائق جاءت الشرطة وأخذوا جميع من يعمل في المطعم وقاموا بإغلاقه بعد أن أخبرهم الأستاذ سعيد بتسمم ابنته وأعطاهم التحاليل لكي تثبت كلامه.

في صعيدٍ آخر ذهب الأستاذ محمد إلى القرية وظل يتفقدها من شرفة عربته، فوجد رائحة كريهة تنبعث بداخلها وأكياس القمامة ملقاة في الطرقات، والجميع ينظر إليه في دهشة متعجبين من هذا الرجل الغريب عنهم الذي يرتدي ملابس توحي بالثراء.

فأسرع إليه شاب بعدما خرج من عربته مقررًا المشي قدمًا وهو يضع شريطه على أنفه لعلها تخفف عنه هذه الرائحة الكريهة وسأله متعجبًا:

- من أنت أيها الغريب؟

ربط الأستاذ محمد على كتفه دون أن يتفوه بكلمة من شدة ذهول ما يراه أمامه

فوجد اليتامى والفقراء في هذه القرية بكثرة شديدة يظهر على أكثرهم التشرد، وجوههم صفراء نحيلة وشفتيهم زرقاء

ومنهم من ينام في الطرقات وليس لديه بيت يأويه، ومنهم من يموت أمامه من شدة الجوع ومن يتألم من شدة المرض ولكنه ليس معه مال لكي يذهب إلى الطبيب وحتى من ذهب إلى الطبيب لم يجد معه مال لكي يأتي بالدواء.

صُعق الأستاذ محمد مما رآه وكأنه في عالمٍ آخر غير عالمه. كيف يوجد كل هذا وهو لا يعلم!

ثم توجه إلى سوقهم وهو يشعر بذهول ودهشة في آنٍ واحد فوجد السوق خاليًا من الطعام، ليس فيه طعام إلا القليل،

فظل أهل القرية ينظرون له في تعجب ويقول بعضهم:

- إنه غريب ليس من هذا المكان.
- نعم هو كذلك، إذًا لماذا أتى إلى هنا؟

سمعهم الأستاذ محمد ولكن لم يبالِ بذلك.

ظل الأستاذ محمد يمشي في طرقات القرية بأكملها

وكلما مرَّ على دكانٍ ألقى السلام ويرد عليه الآخر وهو مندهش، فيربط الأستاذ محمد على كتفه دون أن يتفوه بكلمة.

فقرر العودة سريعًا لكي يخبر الأستاذ سعيد بذلك، ولكن قبل خروجه من القرية سمع امرأة عجوز تبكي على ابنتها وتقول:

- ابنتي تموت، ابنتي تموت أريد طبيبًا وليس معي مال.

كان الزحام من فوقها صار هائلًا بعد صراخها قبل أن ينحسر الزحام من حولها سريعًا ويتحول صخب القرية إلى صمت عندما ظهر أمامها الأستاذ محمد بلباقته وملابسه التي يظهر عليها الثراء قائلًا لها:

- ما الذي حدث يا أمي لابنتك؟

فأخبرته أنها مريضة من عدة أيام وتتألم بشدة ولكنها لا تعلم ما هو مرضها، ظل الأستاذ محمد ينظر لها في حزنٍ شديد وأخبرها أنها يجب أن تذهب الآن إلى المشفى لأنها في حالة خطرة.
ولكن أخبرته السيدة سريعًا أنها ليس معها المال لكي تذهب بها.

- لا عليكِ يا أمي، عربتي في الشارع المجاور سأذهب وآتي بها لكي نأخذ ابنتك إلى المشفى
- حسنًا يا بني، ولكن أسرع ابنتي ستفقد حياتها!

بعد أن أتى الأستاذ محمد بالعربية أخذ الفتاة وأمها إلى المشفى بأسرع ما يمكن.

***

الفصل الثاني

كل شيء تفعله في هذه الحياة سواء كان خيراً أو شراً سيرده الله لك في يومٍ من الأيام لذلك اجعل هدفك دائماً أن تزرع خيراً لكي تحصد خيراً وتذكر دائماً كل ساقٍ سيُسقى بما سقى ولا يظلم ربك أحداً.

في المدرسة دخلت رفيقة نور سريعًا إلى الفصل وهي تلهث من سرعة قفزها على الدرج
وتقول لهم:
- هل سمعتم يا أصدقائي بما حدث؟
قام الطلاب من أماكنهم وظلوا ينظرون لها في دهشة
وقالوا في آنٍ واحد:
- ما الذي حدث؟
فأخبرتهم صديقة نور أن العم مجدي أخبرها اليوم أن نور مريضة جدًا، لذلك لن تأتي اليوم إلى المدرسة.
ظل الطلاب ينظرون إلى بعضهم في دهشة قائلين لها:
- ولكنها كانت بخير بالأمس!
- نعم كانت كذلك
ثم أخبرتهم أن العم مجدي أخبرها أن مرضها شديدٌ، ولكن لم يخبرها ما هو، وتابعت كلامها أنها ستذهب إليها بعد انتهاء اليوم الدراسي هي وضيّ
فسألها الطلاب في دهشة:
- ضي من؟
فأخبرتهم أنها فتاة تركب معها في باص المدرسة ولكنها ليست من هذه المدرسة ثم تابعت كلامها:
- أخبروني الآن.. من يريد أن يأتي معنا؟
ظل الطلاب ينظرون إليها في صمتٍ وبعد دقائق قامت إليها طالبة وأخبرتها وهي توجه كلامها إلى الطلاب أنه لن يذهب أحد معها إلى هذه الفتاة لأنها شديدة الغرور، ومتعجرفة، دائمًا ترى نفسها عليهم لذلك لم يحبها أحد
ولكن صديقة نور قالت لهم أنها ستذهب لزيارتها لكي تأخذ أجر زيارة المريض وتابعت كلامها:
- من يريد أن يأتي فليتفضل ولكن لا يصح أن نغتابها لكي لا نأخذ ذنوب ويغضب الله منا.

بعد انتهاء اليوم الدراسي ذهبت صديقة نور المقربة إلى زيارتها في صحبة ضي فرحبت بهم الخادمة حكمة بشدة، وذهبت لإخبار نور أن بعض أصدقائها قد أتوا من أجل زيارتها والاطمئنان عليها.
فشعرت نور بسعادة بالغة وأخبرت الخادمة حكمة أن يتفضلوا بالدخول إلى غرفتها
وعندما وجدت نور صديقتها المقربة هي من أتت لزيارتها، فرحت كثيرًا وانفجرت أساريرها وقامت بعناقها رغم شدة مرضها ولكنها بعد أن دخلت ضي خلفها انقلب وجه نور من سعادة إلى حزن وظلت تحدق بعين ضي في صمتٍ وعلامات الغضب تظهر على وجنتيها.
ألقت ضي التحية عليها ومدت لها يدها لكي تصافحها وتعطيها الهدية التي أتت بها إليها وقالت لها:

- أتمنى لكِ الشفاء يا رفيقتي، أتمنى لكِ الصحة والعافية

ظلت نور تنظر لها ولم تمد لها يديها لكي تصافحها أو تأخذ منها الهدية
شعرت ضي بالخجل والضيق الشديد ولكنها لم تبالِ بذلك ووضعت لها الورد بجانبها، وأخبرتها أنها قد قطفت هذا الورد من حديقة المدرسة وتتمنى أن ينال إعجابها.
توجهت نور إلى صديقتها المقربة وقالت:

- مي، هل لكِ أن تحضري والدي؟

ذهبت مي لإحضار والد نور وانتهزت نور الفرصة لكي توبخ ضي كعادتها وسألتها في غضبٍ عن سبب إتيانها ثم نظرت إلى ألوان الورد المختلفة وقالت عابسةً:

- ما هذا الورد القبيح الذي أتيتِ به؟ إنه يشبهك كثيرًا وأيضًا ألم تعلمي أنني لا أحب الورد؟ فتاة غبية!

انصدمت ضي من كلامها وظلت تنظر لها في حزن وقد امتلأت عينها بالدموع، ولكنها تمالكت نفسها لكي لا تبكي وفضلت الصمت
بعد دقائق أتى الأستاذ سعيد في صحبة مي وألقى التحية على ضي، ولكنه عندما رآها علم أنها ليست من تلك المدينة فسألها عن حالها

فأخبرته أنها بخير، فأخبرها الأستاذ سعيد أنه لم يرَها من قبل وتابع كلامه:

- هل أنت أيضًا مع نور في المدرسة؟
- لا يا عمي إنني في مدرسة السيد هلال
- لم أسمع عنها من قبل
- ولكن أخبريني أين تسكنين؟
- في قرية المنشاوي.

ظل الأستاذ سعيد ينظر لها في صمت، فتلك هي القرية التي بعث إليها صديقه محمد، وبعد ذلك أخبرها بعدما مسح على رأسها أنه لم يذهب إلى هناك ولكنه قد سمع عنها.

فظلت نور تضحك وقالت:

- بالطبع يا والدي، ولماذا سنذهب إلى قريةٍ سكانها هم من يليقون بها فقط!

نظر الأستاذ سعيد إلى إبنته في تعجبٍ وسألها ما الذي تقصده من كلامها..

ضحكت نور في سخرية ولم تجبه بشيء.

توجه والد نور إلى ضي مرة أخرى وأخبرها أنه يريد أن يتعرف على والدها إن أمكن ذلك..

نظرت إليه ضي في حزنٍ شديد ونزلت دموعها على وجنتيها بغزارة، لم تستطع هذه المرة إخفاء حزنها بداخلها وقالت:

- ولكن والدي توفاه الله منذ خمسة أعوام.

نظر لها الأستاذ سعيد في أسفٍ قائلًا:

- آسف يا ابنتي، لم أكن أعلم بذلك اعذريني

ثم خرج الأستاذ سعيد من الغرفة لكي يأتي لها بالحلو وبعد دقائق، أحضر الحلو وكاد أن يدخل الغرفة مره أخرى، سمع ابنته نور تتحدث مع صديقتها مي وتسألها في عتابٍ لماذا أتت بفتاة يتيمة إلى بيتها.

- ألم تعلمي أنني لا أحب الضعفاء والفقراء؟

شعرت مي بالحزن من كلام نور وأخبرتها أنه لا فرق بين فقير وغني إلا في التقوى وتابعت كلامها، أنه لا يصح أن تتكلم مع ضي بهذه الطريقة لأنها فقط فقيرة!

صمتت نور ولم تتفوه بكلمة، ثم توجهت ضي إلى نور وأخبرتها أنها جاءت فقط من أجل الاطمئنان عليها ثم اعتذرت لها لأنها كانت سبب في إزعاجها وأنها ستذهب في الحال وتتمنى لها الشفاء العاجل.

أومأت بالذهاب ولكن تشبثت مي بيدي ضي، وأخبرتها أن تنتظر قليلًا لأنها ستذهب معها، فأومأت موافقةً دون أن تتفوه بكلمة

ثم توجهت مي إلى نور وسألتها ما الذي حدث لها وجعلها تصل لتلك الحالة، وعن سبب مرضها

تنهدت نور وظلت صامتة قليلًا، ثم أخبرتها أنها تسممت من الطعام الذي تناولته في المطعم مع أبيها بالأمس، صُعقت مي من ذلك

وأخبرتها أنها دائمًا تتناول من هذا المطعم هي وأفراد أسرتها ولم يحدث لهم شيء، ثم تابعت:

- إن هذا المطعم من أنظف مطاعم المدينة بأكملها، ثم صمتت برهة وتذكرت علبة الحلوى التي أتت بها نور بالأمس إلى المدرسة عندما كانت تنظر لأصدقائها في سعادة وتأكل بشراهة، وكلما تنتهي من قطعة حلوى تدخل في التي تليها إلى أن انتهت من جميع الحلوى التي بداخل العلبة.

فسألتها مي متعجبةً كيف أكلت كل تلك الحلوى في آنٍ واحد!

وأخبرتها أن أمها تقول أن قطعة واحدة من الحلوى تكفي.

- ليس لكِ شئنًا. آكل كما أحب
- ولكنك بهذه الطريقة ستسمنين وتصبحين كالدب!

وظلت تضحك وجميع الفتيات من حولها يضحكون ويرددون:

- ستصبحين مثل الدب وسنخاف من حجمك الكبير.

ولكنها لم تبالِ بكلامهم مستمتعةً بقطع الحلوى التي بين يديها

قطعت نور شرود مي حينما قالت:

- ما الذي حدث لكِ؟ بماذا أنتِ شاردة هكذا؟

توجهت مي إليها وأخبرتها في عتابٍ أن كثرة الحلوى التي تناولتها بالأمس تسببت في تسميمها، وأنها أخبرتها حينها أن قطعة من الحلوى تكفي ولكنها لم تستمع لكلامها وتناولت جميع الحلوى
نظرت لها نور في غضب، وقالت:

- اخفضي صوتكِ يمكن لوالدي أن يسمعكِ!!

انصدم الأستاذ سعيد مما سمعه، لا يستوعب كلام ابنته لمي ولا تناولها جميع الحلوى وكذبها عليه عندما أخبرته أنها قد وزعتها على جميع أصدقائها. كاد أن يدخل إلى الغرفة ولكن تراجع لأنه لا يريد توبيخ ابنته أمام صديقاتها، وجعل الخادمة حكمة تعطي لهم الحلوى بدلًا عنه
تمنى حينها أن تنشق الأرض وتبلعه.

همَّ بالخروج من المنزل من شدة حزنه وغضبه مما سمعه، ولكن رن هاتفه وكان الأستاذ محمد. سأله عن سبب غيابه اليوم عن الشركة وهل هو بخير أم لا، فحدثه أنه بخير ولكن ابنته نور مريضة لذلك لم يستطع أن يذهب إلى العمل.

- زال البأس يا صديقي العزيز، ولكن ما الذي حدث لابنتك هل هي بخير؟

أخبره الأستاذ سعيد أنها بخير وسيحكي له كل شيء عندما يراه.
ثم قال له:

- أخبرني، هل قمت بمهمتك التي أمرتك بها؟

فأجابه:

- نعم سيدي.

وتابع:

- وبعد أن انتهيت ذهبت إلى الشركة مباشرة لإتمام عملي.
- أحسنت.

ثم أخبره الأستاذ سعيد أن عنده أمر مهم سينتهي منه وبعد أن ينتهي سيأتي له مباشرةً.
ذهب الأستاذ سعيد إلى المشفى مرة أخرى، وطلب مقابلة الطبيب الذي عالج ابنته ولكنهم أخبروه أنه لم يأتِ بعد، فقام بانتظاره على

مقعد خارج غرفة الطبيب شاردًا فيما فعلته ابنته وما سمعه منها ويعاتب نفسه أنه لم يقم بتربيتها بطريقة صحيحة، ولم يغرز في داخلها حب الخير للآخرين كما يجب، ومن شدة حزنه ظل يتمتم ببعض كلمات ليست مفهومة، فقطع الطبيب كلامه عندما رحب به وسأله عن سبب إتيانه مرة أخرى وهل ابنته بخير..

أخبره الأستاذ سعيد أن ابنته بخير، ولكن يريد أن يسأله عن شيء بخصوص تسمم ابنته فأمره الطبيب أن يأتي خلفه لغرفة الفحوصات وبعد أن دخل الأستاذ سعيد خلفه إلى الغرفة، ظل ينظر إلى الطبيب في صمتٍ ثم أخبره أنه يريد التأكد من الشيء الذي كان سبب في تسمم ابنته..

هل كان بسبب أن الطعام ملوثًا أم أنه بسبب تناول نوع من طعام واحد بكثرة، نظر له الطبيب في تعجب وقال:

- هل أتيت كل هذا الطريق لكي تسألني عن ذلك؟
- نعم، أريد أن أعلم لأنني لا أريد أن أظلم أحدًا.

حدث الطبيب نفسه وقال:

- كيف لا يريد أن يظلم أحدًا!

ثم توجه إليه وأخبره أن ابنته تسممت بسبب أنها أكلت كثيرًا من نوع طعام واحد، وأردف وهو يربت على كتفه:

- وأنت أخبرتني أن آخر شيء أكلته من المطعم، ولكن لا أظن أنه سبب تسميمها لأنها لم تتناول منه إلا القليل.

صُعق الأستاذ سعيد وخرج من الغرفة بعد أن شكره الطبيب وعلى وجنتيه حزن شديد لما سمع، ثم توجه بعربته إلى قسم الشرطة بأقصى سرعة كادت أن توصله للهلاك لولا حفظ الله له.

وبعد دقائق وصل الأستاذ سعيد إلى القسم، وقام باستقباله رئيس القسم ورحب به فهو صديقه منذ أن كان معه في مرحلة الجيش وأخبره أنه يريد أن يرى أصحاب المطعم، وبعد أن أتوا ظل يربت على كتف كل منهم ويطلب منهم السماح لما حدث منه بالأمس ثم أخبر صديقه أنهم ابرياء ويجب أن يطلق سراحهم في الحال، وبعد ذلك غادر المكان وذهب متوجهًا إلى شركته.

يجلس الأستاذ محمد في الشركة على مكتبه يتذكر ما حدث لفتاة القرية ويحمدالله أنه قد أنقذها في آخر لحظة؛ لأنها كانت مريضة منذ فترة واشتد عليها مرضها بسبب أن أمها لم يكن معها المال الكافي لكي تذهب بها لطبيب وتأتي لها بالدواء

ابتسم الأستاذ محمد عندما وجدها تفتح عينها وتنظر إليه في دهشة وتسأله:

- من أنت؟ وما الذي أتى بي إلى هنا؟

فأخبرها باسمًا أنها في المشفى بسبب أنها مريضة، وأمها تأتي لها بالعلاج من الخارج فظلت تنظر إلى ملابسه، ثم سألته في تعجبٍ:

- لماذا لا ترتدي ملابس الأطباء؟

وأكملت:

أم انك لست طبيبًا! وإن كان كذلك لماذا داخل هذه الغرفة؟

ابتسم الأستاذ محمد، وقال:

- هل أخبرك أحد من قبل أنكِ شديدة الثرثرة؟

فامتلأت عينها بالدموع وبدأت تتذكر والدها، فنظر إليها الأستاذ محمد في تعجبٍ عندما وجدها تبكي

وسألها إن كان قد قال لها شيء أحزنها فلم تجبه بشيء.

- محمد، محمد!

ظل الأستاذ سعيد ينادي عليه أكثر من مرة متعجبًا من السعادة البالغة التي تظهر على وجهه، فانتبه إليه وقام من على مكتبه من الفزع فظل الأستاذ سعيد يضحك عليه، وقال:

- هل أفزعتك لهذا الحد يا صديقي؟

ثم سأله عن سبب شروده الشديد، وأخبره باسمًا أن من يراه على هذه الحالة سيقسم أنه قد وقع في الحب.

اضطرب وجه محمد ونظر إليه في ارتباكٍ بعدما آفاق من شروده، وأخبره أنه كان يتذكر ما رآه في القرية

تعجب الأستاذ سعيد وسأله عن السبب الذي رآه في القرية وجعله سعيدًا لهذا الحد.

قص عليه الأستاذ محمد كل ما رآه في القرية، وأنهم أناس فقراء بشدة لدرجة أنهم يموتون من شدة الجوع، ومنهم من يموت بسبب أنه ليس لديه مال ليأتي بالعلاج أو ويذهب للطبيب.
واليتامى والفقراء في هذه القرية بكثرة شديدة، يظهر على أكثرهم التشرد، وجوههم صفراء نحيلة وشفتاهم زرقاء
صُعق الأستاذ سعيد مما سمعه من صديقه، ثم أخبره عابس الوجه أنهم يعيشون هنا في نعيم لا حصر له، واخوانهم يموتون من شدة الجوع
ثم سأله في دهشة:

- ولكن هذا ما جعلك سعيد؟!

وتابع:
ما تخبرني به يحزن

- نعم إنه كذلك يا صديقي، ولكن كنت أتذكر فتاة قمت بإنقاذها في القرية.

إذًا أصبحت بطلًا أيضًا!
سأله الأستاذ سعيد أن يقص عليه كل شيء رآه في القرية بالتفصيل.
أخبر الأستاذ محمد صديقه بكل شيء وكيف أنه قذ أنقذ هذه الفتاة من الموت، لأن أمها لم يكن معها المال الكافي، ولم يترك الأستاذ محمد شيء رآه أو سمع عنه ولم يخبره به.
ربت الأستاذ سعيد على كتف صديقه، وقال في سعادة:

- أحسنت يا بطلي

أمره أن يذهب غدًا إلى القرية مرة أخرى مع شروق الشمس، ويأخذ معه من متجر الطعام كل ما يحتاجونه أهل القرية من قوت يومهم إلى حين أن يلبي لهم كل طلباتهم وتعمر قريتهم، وسأله أن لا يخبر الناس بشيءٍ عنه.
أومأ الأستاذ محمد برأسه موافقًا ثم قال له:

- أمرك يا صديقي، سأذهب غدًا بأمر الله وسأقوم بمساعدة هذه القرية، ولن أتركهم يحتاجون لشيء. ولكن أخبرني لماذا أراك مهمومًا هكذا؟ ما الذي تخفيه عن كاتم أسرارك؟

أخبر الأستاذ سعيد صديقه محمد بكل شيء حدث بخصوص ابنته، وكيف وقع في ظلم أصحاب المطعم بسبب تهور ابنته وكذبها عليه.
ربت الأستاذ محمد على كتف صديقه، وسأله أن يسامحه لأنه مرَّ بكل هذا بمفرده ولم يشعر بذلك.
ثم أخبره أن نور ما زالت طفلة ولن تتعلم إن لم تقع في الخطأ، وأيضًا لا بد أنها علمت بخطئها بعد الذي أصابها ونادمة عليه.
فسأله الأستاذ سعيد هل يخبرها أنه علم بكل ما فعلته من وراء ظهره..
فأومأ الأستاذ محمد موافقًا وأخبره أن يواجهها لكي لا تتمادى في أخطائها أكثر من ذلك.
وفي المساء بعد حلول الليل..
ذهب الأستاذ سعيد إلى قصره بعد الانتهاء من عمله، ولكن وجد ابنته نور نائمة في سُبات عميق، ثم جلس بجانبها يتأمل جمالها الخلاب وبراءة ملامحها وهو يمسح على رأسها ويقبلها على وجنتيها.
بينما ظل الأستاذ محمد يحملق في الفراغ فوقه وهو نائم على الأريكة في غرفة الشركة.. يتذكر الفتاة التي أنقذها ويتمنى أن تمر هذه الساعات سريعًا لكي يذهب غدًا ويراها.
في صباح اليوم التالي يستيقظ الأستاذ سعيد على صوت تغريد العصافير، ينظر بجانبه يتأمل ابنته نور، وعندما همَّ بالقيام من على الفراش استيقظت نور وتشبثت في ملابسه، وأخبرته في سعادة أنها كانت سعيدة عندما جاء ونام بجانبها ليلة أمس، وأنها استيقظت في المساء وشعرت به.

- يبدو عليكِ اليوم أنكِ في صحة جيدة عن البارحة يا ابنتي..
- نعم يا أبي، إنني كذلك، هذا بفضل اهتمامك بي. أشكرك كثيرًا يا والدي

- أنا فعلت ما يجب عليَّ يا ابنتي

ثم نظر إليها نظرة صارمة، وأخبرها أن تذهب إلى المرحاض وتغسل وجهها، وبعد ذلك تأتي إلى غرفة مكتبه لأنه يريدها في أمر مهم ولا تتأخر عليه لكي لا يتأخر عن عمله.

نظرت نور إلى والدها نظرة مطولة وقد لاحظت تغير تعابير وجهه، ثم أومأت برأسها موافقةً دون أن تتفوه بكلمة.

في صعيدٍ آخر ذهب الأستاذ محمد إلى متجر الطعام وأخذ من عندهم كمية طعام لا يُعد ولا يُحصى، يحتوي على الأرز والمكرونة وما يستعمله الناس في يومهم، واستأجر عربة كبيرة تقوم بتوصيل الأكياس إلى القرية، وبعد أن وصل إلى هناك رحب به أهل القرية ترحيبًا شديدًا، فكان الجميع يحيونه ويرحبون به بعد أن صاح شاب في أهل القرية أنه قد أتى الغريب مرة أخرى، الذي أنقذ الفتاة من الموت وامتلأت النوافذ برجال ونساء وأطفال يلوحون إليه بأيديهم وظلوا ينظرون لبعض في سعادة ويخبر الحاضر الغائب أن الشاب الغريب قد أتى

ثم خرج من عربته وأمر سائق العربة الأخرى أن يتوقف وتوجه إلى جميع الناس من حوله قائلًا:

- من اليوم لن يذهب أحد إلى النوم وهو جائع، من اليوم لن يموت أحد من شدة الجوع، من اليوم لن يكون أحد مريض دون دواء.

ظلوا يستمعون له وينظرون إليه في دهشة وسعادة في آنٍ واحد، لا تصدق أعينهم ما يرونه أمامهم بعد أن أمر من معه أن يقوم بتوزيع أكياس الطعام على كل فرد في القرية، فظلوا يهتفون باسمه ويدعون له بالصحة والبركة.

شعر الأستاذ محمد بسعادة لم يشعر بها من قبل بعد أن أدخل السرور على أهل القرية بأكملها، ثم توجه إليهم بعد أن قام بتوزيع جميع الطعام وأخبرهم أنه سيأتي كل سبت من كل أسبوع يوزع عليهم من مثل تلك الأكياس، وقال:

- إلى وقت أن تعمر القرية من جديد ويملأ سوقها الطعام

وتابع:

- أعلم أن هذا الطعام لن يكفي أسبوعًا كاملًا ولكن أعدكم أن هذا السوق سيكون ممتلئًا بالطعام عما قريب..

شكر أهل القرية الأستاذ محمد على ذلك وظلوا يدعون له بالخير والبركة، ويهتفون باسمه ولكنه تعجب عندما لم يجد الفتاة التي أنقذها ولم يجد أمها، فسأل عنها أهل القرية فأخبروه أنها لم تجمع صحتها بعد من أجل الخروج وأن أمها تقوم برعايتها، فسألهم عن مكان بيتها فساعده شاب على ذلك إلى أن ذهب إلى هناك وقام بطرق الباب، ففتحت له أم الفتاة وعندما رأته تعالت السعادة والبهجة وجهها، وقامت بالترحيب به ترحيبًا شديدًا ثم دخلت سريعًا وأحضرت مقعدًا ووضعته خارج البيت وقالت:

- اجلس يا بني، لو كان عمها هنا لكنت أدخلتك اعذرني.
- ليست هناك مشكلة يا أمي، أخبريني.. كيف هي صحة ابنتك؟
- بخير يا بني

وتابعت كلامها أنها تحتاج فقط لراحة لعدة أيام لكي تستعيد صحتها، ثم دعت له بالخير وأنها لن تنسى معروفه إلى آخر يوم في حياتها.

- ليس هناك معروف يا أمي، أنا فعلت ما يجب عليَّ فعله

ثم أخرج كيس الطعام من العربة، وقال:

- ذلك الكيس لكِ يا أمي.

نظرت إليه المرأة المسنة في خجلٍ شديد، فلاحظ ذلك الأستاذ محمد، فأخبرها أنه قد قام بإعطاء أهل القرية مثل ذلك الكيس أيضًا، ثم قام وهمَّ بالذهاب، فقالت:

- لا يوجد عندي ما أضيفك به، اعذرني يا بني، سأعوضك في المرة القادمة.

شعر الأستاذ محمد بالحزن، لا يستوعب أن هناك بيتٌ خالٍ من الطعام والشراب، وحدث نفسه قائلًا:

- رغم شدة الفقر الذي عليه تلك المرأة وهذه القرية بأكملها، متفائلون!

ثم قطعت شروده عندما قالت:

- متى ستأتي مره أخرى يا بني؟
- الأسبوع القادم بإذن الله يا أمي

ثم أخبرها أنه يجب أن يذهب الآن لكي لا يتأخر على عمله.

بعد قليل..
توجت نور إلى مكتب والدها في ارتباكٍ شديد، وفي رأسها أسئلة كثيرة، لا تعلم لماذا طلبها والدها في هذا الوقت من الصباح، وعلامات الخوف تسيطر على وجهها، محدثة نفسها:

- ما الذي يريده مني والدي؟ ولماذا أشعر بالخوف هكذا وكأنه أول مره يريد التحدث معي؟!

وبعد أن طرقت الباب وأذن لها بالدخول، وجدته جالسًا على مكتبه وواضعًا رأسه بين يديه، ثم أمرها بالجلوس فأخذت كرسي بجواره وجلست وساد الصمت قليلًا..
بعد أن قام من على مقعده وتحرك إلى الشرفة ونظر من وراء ستائرها على حديقة القصر، وطالت نظراته للحظات..
تتعقبه نور بطرف عينها، فتوجه إليها في حزم وسحب كرسي المكتب، وقال عابس الوجه وهو يهم بالجلوس مرة أخرى:

- ابنتي لماذا فعلتِ ذلك؟

فنظرت إليه نور في صمت، ثم سألته في خوف:

- وما الذي فعلته أنا يا والدي؟

فأخبرها بنبرةٍ حازمة أنها من ستخبره بكل شيء حدث بعدما أعطاها علبة الحلوى لكي تدخل بها السرور على قلب أصدقائها، وتكون صدقة جارية عن أمها.
صعقت نور من ذلك وظلت تنظر إلى والدها في صمتٍ وتحدث نفسها:

- كيف علم بذلك!

ثم نظرت لوالدها وعيناها تملأها الدموع بعد أن أيقنت أن والدها علم بكل شيء، ثم قامت عن المقعد متوجهةً إلى أبيها تطلب منه السماح، فأشار إليها والدها أن تجلس مكانها مرة أخرى..

بعد أن جلست نور مرة أخرى على المقعد نزلت دموعها على وجنتيها بغزارة، وأخبرته أنها آسفة على كل ما بدر منها..
كاد أن يضعف والدها أمامها ويسامحها، كيف لا وهي مدللته الوحيدة! ولكن أيضًا هو حزين فهو لم يربِ ابنته على ذلك ثم قام من على مكتبه، وقال:

- تعلمين يا ابنتي عندما تسممتِ ظلمت أصحاب المطعم بسببك.

وأخبرها أنه اتهمهم بأن طعامهم فاسد لأنه لم يخطر على باله ولو لحظة واحدة أنها تكذب عليه. وأكلت جميع الحلوى ولم تقم بتفريقها على أصدقائها، وتابع:

- وأيضًا لا أستوعب كيف أكلتِ كل ذلك بمفردك! وأكمل كلامه:
- إنني دائمًا آتي لكِ بالحلوى ولا أحرمك من شيء، ولكن تهوركِ وطمعكِ أوصلكِ أنكِ تسممين نفسك!

اعتذرت نور لوالدها وأخبرته أنها لن تفعل ذلك مرة أخرى
أخرج الأستاذ سعيد علبة الحلوى التي اشتراها لنور ووضعها أمامها على مكتبه، وأمرها أنها عندما تتعافى وتذهب إلى المدرسة، سيعطيها هذه العلبة لكي تقوم بتوزيعها على جميع رفاقها ولن تتناول منها شيئًا تأديبًا لها، وأخبرها هادئًا أن الطبيب مانع عنها تناول الحلوى لمدة شهر ونصف لكي يقوى جسدها مرة أخرى.
أومات نور برأسها أنها موافقة دون أن تنبس بكلمة، ثم همَّت بالمغادرة من الغرفة، فنطق والدها عابس الوجه بعدما تحركت لخطوات:

- لم أنتهِ من كلامي، عندما أنتهي سأسمح لكِ بالذهاب..

فاقتربت منه مجددًا وجلست على مقعد حديدي مرة أخرى وهي تشاهده يخرج صندوق صغير من مكتبه، أخرج منه صورة لزوجته نهى رحمها الله وأعطاها لنور، وقال باسمًا وهو ينظر إلى الصورة:

- انظري يا ابنتي

ظلت نور تنظر إلى الصورة وهي في غاية الدهشة، هذه المرأة تشبهها كثيرًا، ثم خطر على بالها أنها أمها فنظرت إلى والدها

فأومأ لها برأسه مؤكدًا، وتابع:

- نعم كما تفكرين، هذه والدتك يا نور

ظلت نور تنظر إلى الصورة وتقبلها وشرعت في البكاء مرة أخرى، ولكن هذه المرة لم تستطع أن تتحكم في نفسها، تلألأت دموعها على وجنتيها بغزارة، وملأت صورة أمها بالدموع. اقترب منها والدها وظل يربت على ظهرها بحنانٍ ويمسح على رأسها ويقبلها وأخبرها أنها من أوصته أن يربيها تربيةً صالحةً، فحملقت نور في الصورة، وقالت:

- أنا آسفة يا أمي، أعدك أنني سأكون كما تريدين.

ثم توجهت إلى والدها وقبلت يديه وما أن أومأت أن تعتذر، قال لها:

- سامحتكِ يا ابنتي

وتابع وهو ينظر في عينها مباشرة:

- أعلم يا ابنتي أنكِ لن تقومي بهذا مرة أخرى ولكن لا تنسِ.. ليس من الذكاء الوقوع في الخطأ مرتين

وأكمل:

- لذلك علينا التعلم من أخطائنا
- حسنًا يا والدي، لن أنسى ذلك ما حييت، هل تسمح لي بالذهاب الآن؟

أشار إليها والدها بيديه لكي تذهب، ولكن توقفت قدمها مرة أخرى ولكن لم تجرؤ على النظر للخلف، عندما أخبرها أن تذهب غدًا الى صديقتها ضي مع سائق المدرسة وتعتذر لها عما بدر منها تجاهها.

كانت تلك الكلمات كالصاعقة التي وُجهت إلى نور، ولم تعرف كيف عرف والدها بهذا، فأومأت برأسها موافقة دون أن تنظر إليه وذهبت إلى غرفتها مسرعة.

ذهب الأستاذ سعيد إلى شركته مباشرة بعد تحدثه مع ابنته، وأبلغ السكرتيرة ليلى أن تبلغ الأستاذ محمد بوصوله ولكنها أخبرته أنه لم يأتِ بعد.

- عندما يأتي أخبريه أنني في انتظاره..

- حسنًا سيدي.

وبعد مرور نصف ساعة وصل الأستاذ محمد إلى الشركة، وقص للأستاذ سعيد كل ما فعله في القرية وأنه لم يترك أحد من أهل القرية لم يأخذ كيس الطعام.

شكر الأستاذ سعيد صديقه، ودعا الله أن يجعل هذا العمل العظيم في ميزان حسناته.

- ولكن أخبرتني أن سوقهم فارغًا من الطعام..
- نعم سيدي، ليس لديهم أي شيء في سوقهم

تنهد الأستاذ سعيد وظل يفكر قليلًا، ثم أخبر صديقه أنه لا يتخيل أبدًا أن هناك أحد يسكن في هذا العالم فقير لهذا الحد، ثم تابع بحزن:

- أشعر بالذنب الشديد أن هناك أناس يعيشون ذلك بالقرب منا، ولم نكن نشعر بهم من قبل.

ثم أمر الأستاذ محمد بعد أن أخرج زفيرًا حانقًا أن يذهب بعد يومين ويملأ سوقهم بالطعام والملابس وبكل ما يحتاجونه لأنه لا يصح الانتظار أكثر من ذلك، ثم صمت برهة، وسأله إن كان عندهم مستشفيات وأطباء أم لا..

فأخبره الأستاذ محمد أنه لا يعلم، فسأله الأستاذ سعيد متعجبًا عن الفتاة التي أنقذها قد ذهب بها إلى أي مشفى، فأخبره أنه قد ذهب بها إلى مشفى خارج قريتهم؛ لأنه لم يكن هناك فرصه يسأل أحدًا لشدة مرضها إن كان عندهم مشفى أم لا.

- حسنًا يا صديقي، على كل حال عندما تذهب قم بملء السوق بكل ما يحتاجونه، واعلم لي إن كان عندهم مشفى وأطباء أم لا، مع أنني لا أظن ذلك، ولكن يجب أن نتأكد. وأيضًا تفقد حالهم مرة أخرى واسألهم إن كانوا يريدون شيئًا آخر أم لا.
- حسنًا سيدي.

***

الفصل الثالث

إن فقدان أحد الوالدين أو كلاهما
يترك جرح كبير في القلب لا يُشفى
ومع مرور الزمن يظل يكبر هذا الجرح
إلى أن يأتي وقت وتتمنى أن يقف بك الزمن
وتجتمع بهما.

توجهت نور إلى غرفتها وهي تبكي وبين يديها صورة والدتها وتتمتم ببعض الكلمات منها:

- كنت أتمنى أن تكوني معي يا أمي، إنني بحاجتكِ وبشدة..

كانت نور تظن أنها تتحدث الى نفسها وحيدة، ولم تكن تعلم أن هناك من يسمع حديثها، حيث كانت تقف الخادمة حكمة أمام باب حجرتها وعندما كانت تترقبها سبحت في ذكرياتها، حيث كانت تذهب بها إلى الحضانة عندما كان عمرها خمسة أعوام وتتركها وتذهب، كانت تبكي في كل مرة بطريقة هستيرية وتتشبث بملابسها ولا تريدها أن تتركها وتذهب. كانت تظن الخادمة حكمت في بادئ الأمر أن معلمات الحضانة يعاملونها معاملةً سيئة، ولكن الحقيقة في بعض الأحيان قد تكون مؤلمة بل كان بكائها خوفًا أن تتركها الخادمة ولا تعود لها مرة أخرى، فقد كانت تخاف من الفقد كثيرًا بسبب فقدها لأمها منذ ولادتها، لا كرهًا في الحضانة كبعض الأطفال!

يقول علماء الطب النفسي أن أول عامين من حياة الإنسان هم أكثر عامين يخاف فيهم الإنسان من فقدان أحد والديه، لذلك نبه الأطباء النفسيين أن الأم التي تعمل طوال اليوم وتترك طفلها الرضيع في الحضانة دائمًا يجب ألا تتركه وتنشغل عنه، لأن في تلك المرحلة يخاف الطفل كثيرًا من فقد أحد والديه وهذا يؤثر على نفسيته كثيرًا.

توجهت الخادمة حكمة بعد أن فاقت من شرودها إلى نور وهي متأثرة بما سمعته منها، وعلى وجهها الحزن، ثم ضمتها إلى صدرها وأخبرتها بعد أن عقدت حاجبيها أنها تعلم أنه ليس سهلًا تحمل فقدان الأم، وأنها مهما حاولت تعويضها غياب أمها لن تستطيع ذلك لأنها تعلم جيدًا أن غياب الأم لا يعوضه أحد، ولم تستطع تمالك نفسها أمام صغيرتها نور وبكت بدموع أبت أن تفارقها، نظرت نور لها في تعجب ومسحت لها دموعها، ثم نطقت وأخبرتها أنها وأباها لم يجعلاها تشعر بغياب أمها وأنهم بالنسبة لها كل شيء، ثم نظرت لها نظرة امتنان وشكرتها على ذلك.

أومأت الخادمة برأسها وهيا تأخذها في حضنها مرة أخرى محاولة التخفيف عنها. تعلم أن نور تقول مثل هذا الكلام لكي لا تشعر أن أحدًا يشفق عليها ولكن في الحقيقة أنها تفتقد أمها وبشدة.

بعد يومين..

ذهب الأستاذ محمد إلى القرية بعربته وخلفه عربة كبيرة بداخلها كل ما يحتاجونه من ملابس، وطعام، وحتى ألعاب الأطفال.

وعند دخوله بالعربة حياه أهل القرية جميعهم من جديد، من نساء، وأطفال، وشيوخ. كل منهم يظهر على وجهه السعادة بقدومه مرة أخرى إلى أن توقف امام السوق وتوقفت العربة من خلفه وظل أهل القرية يمشون خلفه أيضًا، ويخبر الحاضر الغائب بالحضور إلى أن اجتمع حشد كبير أمام السوق.

نظر الأستاذ محمد إلى الجمع من حوله ثم أمر مساعده أن يفتح العربة من الخلف، وبعد فتحها أمر الخدم أن يقوموا بوضع كل شيء في مكانه الخاص بمساعدة أهل القرية، فنظر أهل القرية إلى بعضهم البعض في دهشة، لا يستوعبون مايحدث أمامهم، هل حقيقة أم حلم

وبعد عدة ساعات من هذه اللحظة أصبح السوق معمرًا بجميع أنواع الطعام، والخضار، وألعاب الأطفال، والملابس، بجميع الأحجام وكل شيء يمكن للإنسان أن يحصل عليه في حياته، تغير كبير يجعل حياته أكثر سعادة من قبل وهذا هو قمة العوض من الله.

بعد انتهاء أهل القرية من السوق، ظلوا يحمدون الله على هذه النعمة، وعادت لهم السعادة والفرحة التي قد سُلبت منهم على وجوههم من جديد.

منذ زمن بعيد أوصل شدة فقرهم أغلبهم للهلاك، وأخذ منهم بعض أحبتهم.

تقدم إليهم الأستاذ محمد وظل ينظر لهذه الوجوه السعيدة ويحمد الله أن الله اصطفاه وجعله سبب في إدخال السرور عليهم، ثم سألهم في سعادة إن كان عندهم مشفى وعيادات أم لا..

نظر أهل القرية إلى بعضهم البعض في تعجبٍ، هل حقًا يريد أن يبني لهم مشفى وعيادات أيضًا! فخرج رجل من بينهم يُدعى
أبو الفضل، وأخبره أنه ليس لديهم أي مشفى إلا عيادة ليس فيها ما يحتاجه المريض لفحصه. تعجب الأستاذ محمد من ذلك وحدث نفسه قائلًا

- إذًا كيف كانوا يعيشون هؤلاء الناس؟

سألهم الاستاذ محمد هل يوجد عندهم حكيم في القرية أم لا؛ فظلوا صامتين ولم يجبه أحد بشيء، إلا أن خرج رجل في الستينات يظهر عليه الحكمة والوقار، وأخبره أنه طبيب هذه القرية وأنه عنده خبرة كبيرة في الطب، وأنه يفهم في عدة مجالات في الطب فهو دكتور جراحة، وباطنة، ونسا، وأطفال، وشهد أهل القرية بكلامه فظل يدرس مجالات كثيرة في الطب عدة سنوات لكي يستطيع مساعدة أهل قريته، ولكن العائق الذي بينه وبين مساعدة أهل القرية كما يجب هو أنه ليس لديه أدوات الطب التي يجب أن تكون مع أي طبيب، فاندهش الأستاذ محمد من ذلك، وسأله متعجبًا عن المال الذي يكسبه من عمله.
نظر إليه الحكيم دون أن يتفوه بكلمة فأردفت امرأة:

- هو يساعد أهل القرية دون مقابل

توجه إليه الأستاذ محمد وربت على كتفه بحنان، ودعا الله أن يطيل عمره ويجعل هذه المساعدة في ميزان حسناته، قال ذلك بصوت مسموع، ثم توجه إلى أهل القرية مرة أخرى مخاطبًا:

- من اليوم لن يموت أحد من شدة الجوع، من اليوم لن يموت أحد من مرضه بسبب أنه لا يستطيع الذهاب إلى طبيب، من اليوم لن تنزل دمعة أم على ابنتها لأنها لا تستطيع أن تذهب بها إلى المشفى، من اليوم كل شيء سيكون مختلف..

هلل أهل القرية جميعهم وسجدوا لله شاكرين أنه استجاب لدعائهم، فإنهم يعلمون أن سلاح المؤمن الدعاء.

هم الأستاذ محمد بالرحيل بعد أن قال هذا الكلام، فصاحت امرأة بأعلى صوت باسمه، فتوقف ونظر خلفه، فإذا بها المرأة التي أنقذ ابنتها من عدة أيام بجانبها ابنتها معافاة.
توجه إليها وعلى وجهه السعادة مرحبًا بها سائلًا عن حالها
فأخبرته أنها بخير وأنها تود أن تشكره على معروفه ومساعدته لها ولابنتها مرة أخرى، وتابعت باسمةً أنها لن تنسى معروفه هذا إلى آخر يوم في حياتها، وترجو منه أن يقبل هذه الهدية بمثابة شكر له، وأخبرته في خجل أنها تعلم أنها ليست من مقامه.
- أستغفر الله يا أمي، هذا من واجبي..
ثم نظر إلى الفتاة مبتسمًا، وقال:
- حمدًا الله على سلامتكِ، أتمنى أن تكوني بصحة جيدة.
فبادلته هي أيضًا بابتسامة، وأخبرته أنها بخيرٍ بفضل من الله ثم بفضل مساعدته لها
ابتسم الأستاذ محمد وأخبرها أنها إذا احتاجت إلى أي شيء هي وأسرتها تطلب منه دون تردد
- حسنًا سيدي، أطال الله في عمرك.
ثم أومأ بالذهاب، فوجد باص مدرسة نور يدخل القرية فاندهش لذلك، وحدث نفسه قائلًا:
- لماذا أتى العم مجدي إلى هنا؟
ثم توجه إليه وأشار إليه بيديه لكي يتوقف وتبادلا التحية، ووجد نور تخرج من الباص وبين يديها صندوق هدايا كبير بداخله بعض الحلوى والورود بألوانها الجميلة فأردف إليها متعجبًا وسألها عن سبب مجيئها الى هنا، فأخبرته باسمةً أنها أتت لزيارة صديقتها ضي وأن العم مجدي أخبرها أن بيتها في هذه القرية
ثم نظر العم مجدي وأشار بيده، وقال:
- نعم إن بيتها هناك
فنظرت الفتاة التي أنقذها الأستاذ محمد وأمها في اندهاش وسألتها:
- هل تقصدين اختي ضي؟

نظر إليها كل من الأستاذ محمد ونور وهما متعجبين لذلك، وقالا في صوتٍ واحد:

- هل هي اختك؟
- نعم.

ثم أمسكت نور من يديها وأخبرتها أن تأتي معها لأن اختها جالسة في البيت.

اصطحبتها إلى بيتها وطرقت الباب ولكن لم يجب أحد، فظلت تطرق الباب عدة مرات إلى أن قامت ضي وأسرعت بفتح الباب وما أن كانت تخبر اختها أن تصبر ولا تطرق بهذه الطريقة، صُدمت عندما وجدت نورٍ بصحبة اختها فظلت ضي تنظر لها في دهشة، فسألتها نور باسمةً:

- لماذا تنظرين هكذا عزيزتي ضي؟ إنني نور ليس حلم!

رحبت بها ضي في سعادة وأخبرتها أن تعذرها لأنها لم تتوقع زيارتها، ثم أمرتها بالدخول.

دخلت نور ورحبت بها ضي وهي في غاية السعادة، وكاد قلبها يرقص فرحًا من شدة سعادتها، فهي لم تتوقع هذه الزيارة حتى في أحلامها.

أسرعت ضي إلى المطبخ وأحضرت بعض الحلوى والعصير إلى نور وأخبرتها أنها لم تقم بواجب الضيافة على أكمل وجه، ولكن في المرة القادمة ستقدم لها أفضل من ذلك، فربتت نور على كتفها، وأخبرتها بعد أن أخذت رشفة من العصير وتذوقت الحلوى أن طعمه لذيذ.

- إن أمي من صنعته
- شكرًا خالتي.
- لا شكر على واجب يا ابنتي، إن ضي دائمًا كانت تحدثني عنكِ بالخير وأخبرتني أنها تحبك كثيرًا

فاندهشت نور من ذلك وظلت تنظر لضي في صمت، وحدثت نفسها أن كيف لضي أن تحبها بعد الذي فعلته معها سابقًا وأيضًا تتكلم عنها في غيابها بطريقة جيدة، وتابعت:

- إنها فتاة حقًا طيبة

قطع تفكيرها والدة ضي عندما أخبرت ابنتها أنها ستتركها مع صديقتها بمفردهما؛ لكي تأخذ صديقتها راحتها وستقوم هي واختها الكبيرة بعمل واجبات المنزل.

فأومأت ضي برأسها موافقةً دون أن تتفوه بكلمة

توجه الأستاذ محمد إلى العم مجدي وسأله في تعجبٍ كيف كانت ضي تذهب إلى المدرسة واختها كانت تموت بسبب أنهم ليس معهم المال للذهاب بها إلى المشفى؟ تنهد العم مجدي وقص عليه كل ما حدث من عدة سنوات. إن أباها كان صديقه المقرب وعندما توفى من الوباء الذي انتشر في القرية، كانت والدتهم ستخرجهم من المدرسة، ولكن بعدما أخبر الأستاذ سعيد أن هناك فتاتان يتيمتان تحتاجان إلى مساعدة من أجل إتمام دراستهما، أخذ عهدًا على نفسه أنه سيتكفل بمصاريفهما المدرسية كل عام بمساعدتي، ولكن لم يعلم الى الآن أنهما تسكنان في هذه القرية وأن ضي هي الفتاه التي أتت لزيارة ابنته.

سعد الأستاذ محمد من سماع ذلك ودعا للأستاذ سعيد بالخير.

توجهت نور إلى ضي وأخبرتها أن تسامحها على ما فعلته معها من قبل، وأنها أتت إليها لكي تتطلب منها السماح، وترجو أن تسامحها على كل ما بدر منها من سوء معاملة لها، أو أي قول بذيء سمعته منها، وإن قبلت هذه الهدية يكون قد سامحتها، ثم تابعت باسمة وهي تغمز لها بعينيها أنها جلبت لها ألوان الورد التي تحبها.

قامت ضي بعناقها وشكرتها على ذلك وأخبرتها أنها تحبها كثيرًا، لذلك لم تحزن منها ثم تنهدت، وقالت باسمة:

- لذلك إنني سامحتك على كل شيء

انفجرت أسارير نور وعانقت ضي وشكرتها على ذلك وأخبرتها أنها لن تنسى معروفها هذا.

ظلت نور وضي تتحدثان مع بعضهما إلى أن لفتت نظر نور لوحة معلقة على الحائط، فأردفت إليها وظلت تتأملها فقطعت شرودها اخت ضي، قائلة:

- هل أعجبتك؟
- نعم، إنها حقًا في غاية الروعة والجمال
- إن اختي ضي هي من رسمتها، إنها تحب الرسم كثيرًا

نظرت نور إلى ضي وكأنها لا تصدق ما تسمعه، ثم أومأت ضي برأسها مؤكدةً كلام اختها، ثم تابعت الفتاة كلامها أن اختها ضي تكرس وقتها للرسم، ولا تخرج من البيت إلا للضرورة كالذهاب إلى المدرسة.

ثم أخبرتها أنها بعد رجوعها من المدرسه تقوم بعمل واجباتها، وبعد ذلك تجلس للرسم إلى وقت النوم ولا تفعل شيء آخر، وتابعت باسمةً:

أظن أنها ستكون فنانة يومًا ما، إن حافظت على هذه الموهبة وسعيت في تنميتها..

سعدت نور كثيرًا لذلك، وشجعت ضي على ممارسة هوايتها باستمرار لكي تكون أفضل من ذلك.

ثم سمعت صياح العم مجدي يأتي من الخارج ويأمرها أن تأتي لكي لا يتأخر عن عمله، قامت نور بتوديع والدة ضي واختها وأسرعت إلى الخارج بصحبة ضي إلى أن وصلا إلى الباص، ثم قامت ضي بعناق نور بحرارة شديدة.

أخبرتها أنها سعيدة جدًا بهذه الزيارة، وتتمنى أن تأتي مرة أخرى، فأومأت نور برأسها موافقة، وركبت الباص وهي تشير إليها بيدها من النافذه إلى أن خرجت من القرية.

بعد خروج نور من القرية، ظلت تنظر من الشرفة وهي شاردة وتفكر في أمر ما..

اتجه الأستاذ سعيد إلى المسجد الذي بجانب شركته يصلي ويدعي الله أن يوفقه في إكفال أهل هذه القرية بأكملها، وتلبية حاجاتهم وطلباتهم فهو غايته الوحيدة أن يكون ماله كله من أجل الفقراء والمحتاجين، ويكون خادمًا لله بماله الذي أنعم عليه به، وبعد انتهاء الصلاة رفع يديه يتوسل إلى الله أن يوفقه في ذلك ويفتح له طريق الفلاح والنجاح، فرآه شيخ المسجد فانتظره حتى انتهى من دعائه، ثم تقدم إليه وربت على كتفه، وقال:

- عبدٌ فقيرٌ إلى الله يدعو الله بحاجته

ثم أخبره أنه يجب على كل عبدٍ أن يعلم أن حاجته بيد من بيده ملك كل شيء، فيجلس مثل جلسته هذه ويطلب منه ما يريد.

نظر إليه الأستاذ سعيد ودموعه تنزل على وجنتيه بغزارة متأثرًا بهذا الكلام، وقال:

- نعم هو كذلك، لذلك جئت إليه أطلب منه حاجتي

فسأله الشيخ عن حاجته التي طلبها من الله، فأخبره الأستاذ سعيد أنه يتمنى من الله أن يوفقه في عمل الخير، وأن يجعل استثمار ماله من أجل الفقراء والمحتاجين.

نظر إليه الشيخ، وقال باسمًا:

- إذًا أنت تقتدي بصحابي جليل في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم

فأقبل إليه الأستاذ سعيد في لهفة، وسأله عن قصة هذا الصحابي.

أخبره الشيخ إدريس أنه كان هناك صحابي اسمه "خباب بن الأرت" -رضي الله- عنه كان شديد الكرم محبًا للفقراء والمساكين، يخشى الله -سبحانه وتعالى- وفي أواخر حياته كثر ماله وامتلك الكثير من الذهب والفضة، فأنفق ماله بصورة لا تخطر على بال أحد، فقد وضع دراهمه ودنانيره في مكان محدد داخل بيته، يعرفه ذوو الحاجات من الفقراء والمساكين، ولم يضع عليه قفلًا، ولا رباطًا فكان الفقراء والمحتاجون يأتون إلى بيته ويذهبون إلى موضع المال يأخذون منه ما يشاءون دون سؤال أو استئذان، ومع ذلك فقد كان يخشى أن يُحاسب على ذلك المال وأن يُعذب بسببه.

شعر الأستاذ سعيد بسعادة وسكينه لم يشعر مثلها من قبل بعد سماع قصة هذا الصحابي الجليل، وقال في سعادة:

- سأجعل هذا الصحابي قدوة لي وسأجعل كل مالي للفقراء.
- نعم لتكن نيتك هكذا، واحذر الرياء واجعل نيتك كلها لله تفلح في الدنيا والآخرة.

***

الفصل الرابع

كن كعبدٍ غني يملك كل شيء، ولكنه في الحقيقه لا يملك أي شيء سوى أنه غنيٌ باللّه.

قبَّل الأستاذ سعيد يد شيخه وشكره على كلامه الجميل، وذهب إلى شركته وهو في غاية السعادة والسرور، وعندما دخل غرفة مكتبه وجد الأستاذ محمد في انتظاره، فتعجب الأستاذ محمد من السعادة الشديدة التي تظهر على وجه صاحبه، وما أن أراد أن يسأله عن سبب سعادته، فسأله الأستاذ سعيد:

- هل وجدت مستشفيات وعيادات في القرية؟

أخبره الأستاذ محمد أنه وجد عيادة واحدة فقط ولا تتوفر بداخلها أدوات طبية، وأيضًا لا يوجد غير حكيم واحد ولكنه ماهر كما أخبره أهل القرية بذلك وعنده علم بأقسام كثيرة في علم الطب

ظل الأستاذ سعيد منصتًا لكل كلمة يقولها صديقه وما فعله في هذا اليوم، وبعد ذلك توجه إلى غرفة الخزينة وأمره أن يتبعه وأخرج منها صندوقين مملوئين بالذهب. يراقب الأستاذ محمد ذلك وهو متعجبٌ ثم توجه إليه الأستاذ سعيد بعد وضع صناديق الذهب على المكتب أمامه

وأخبره أن يذهب اليوم مرة أخرى إلى القرية ويأخذ معه مهندسين الإعمار والعمال لكي يبدأوا في بناء المستشفيات والعيادات وكل شيء يريدونه، وأكمل كلامه أن يأخذ حكيم القرية للأماكن التي تبيع الأدوات الطبية، ويقوم بشراء كل شيء يحتاجه الحكيم، وتابع:

- وسأجعل الطبيب عامر يذهب معك ويساعد حكيم القرية إلى أن تُبنى المستشفيات.

ظل الأستاذ محمد ينظر إليه في دهشة كبيرة ولا يدري ماذا يقول، وما أن همَّ بالتحدث ظل يتلعثم في كلامه، ضحك عليه صديقه، وقال:

- لماذا أنت متجعبٌ هكذا يا صديقي؟ هل هذا الذهب شيءٌ أمام الجنة؟
- لا، ولكن سيدي.. هل حقًا ما تقول؟
- نعم إنه كذلك، ولكن لا تنسَ أنت أيضًا بإذن الله مُثاب، لأنك أنت من تساعدني في ذلك.

شعر الأستاذ محمد بسعادة وربت على كتف صديقه، وأخبره أنه سيقوم بكل ما طلبه منه على أكمل وجه، وأنه سيذهب الآن إلى القرية مرة أخرى.
وما أن أومأ الأستاذ محمد بالخروج من الغرفة، توقفت قدمه عندما سأله الأستاذ سعيد أن ينتظر، ثم أخرج شيك بداخله مال كثير من المكتب ثم توجه إلى صديقه، وقال:

- خذ هذا مكافئة لك.

انطبعت الدهشة على وجه الأستاذ محمد، وأخبره أن هذا المال كثير جدًا.

- إنه هدية لك يا صديقي على مجهودك الذي تبذله.

عانق الأستاذ محمد صديقه وشكره على ذلك، ثم خرج من الشركة بصحبة الطبيب عامر متوجهًا إلى القرية مرة أخرى.
وفي صباح اليوم التالي استعدت نور لكي تذهب إلى المدرسة بعد أن تم شفاءها تمامًا، قبلها والدها بين عينيها وعانقها وأخبرها أن تتعامل بلطف مع جميع أصدقائها، وأعطاها علبة الحلوى وكيس من البلالين لكي تقوم بتوزيعها على جميع أصدقائها، وتقوم بتصليح ما فعلته من قبل. أومأت نور برأسها موافقةً ووعدت والدها أنها ستكون فتاة لطيفة، ولن تحزنه منها مرة أخرى، وبعد أن أومأت بالذهاب إلى المدرسة تذكرت صندوق هدايا قامت بشرائه لصديقتها ضي، فأسرعت وأحضرته من غرفتها وودعت والدها وذهبت وبعد أن ركبت باص المدرسة قام جميع الأصدقاء بالترحيب بها ثم جلست في صومعة العربة كعادتها تنظر من الشرفة بفارغ الصبر أن يصل الباص، لكي يأخذ ضي من المكان الذي تقف فيه خارج قريتها، وبعد دقائق وصل الباص، وبعد أن ركبت ضي الباص أشارت لها نور لكي تأتي وعانقتها بشدة فاندهشت كل فتيات الباص من ذلك وظللن ينظرن لها في تعجب، ومنهن من حدثت نفسها قائلة:

- مستحيل ما تفعله نور! ألم تأخذ ضي عدوة لها منذ أن تعرفت عليها؟ يبدو أنها تقوم بخداعها!

ومنهن من يقلن:
- يبدو أن مرضها لقنها درسًا لن تنساه!
ظلت ضي تتحدث مع نور وهي في غاية السعادة بذلك، فهي سعيدة بتغير نور معها ومعاملتها الحسنة لها.
قطع كلام ضي سائق الباص أنها قد وصلت، لم تشعر بالوقت بسبب حديثها مع نور، فالجلوس مع شخص تحبه لا يجعلك تشعر بمرور الوقت. يمر الوقت وكأنه كالبرق.
تنهدت ضي وأخبرت نور في أسف أنها قد وصلت سريعًا، ولم تشعر بمرور الوقت، وتابعت:
- أراكِ غدًا يا صديقتي
عندما كانتْ نور تودع ضي تذكرت صندوق الهدايا فأخرجته من حقيبتها سريعًا وأخبرتها أنها قد أتت لها بالهدايا، وتابعت باسمةً:
- أتمنى أن تنال إعجابكِ!
عانقت ضي نور ثم قبلتها على وجنتيها وشكرتها على ذلك، ثم توجهت إلى المدرسة وهي في غاية السعادة، وبعد انتهاء الحصة الأولى وفي وقت الاستراحة استغلت ضي هذه الفسحة في إخراج صندوق الهدايا لكي ترى ما بداخله..
قام أهل القرية بالترحيب به كعادتهم ولكن بعض منهم تعجب من قدومه مرة أخرى في نفس اليوم، فتوجهت إليه الفتاة التي أنقذها وسألته عن سبب مجيئه مرة أخرى، فقال:
- هل مللتِ مني لهذه الدرجة؟
شعرت بالخجل الشديد، وأخبرته أنها لم تقصد ذلك.
- إذًا أنتِ فضولية! ولكن ستعرفين بعد قليل..
ظلت واقفة في مكانها من شدة الخجل والإحراج الشديد، لا تعلم إن كانت أخطأت عندما سألته هذا السؤال أم لا، فهي عفوية تتحدث دون أن تفكر.
شعر الأستاذ محمد بخجل الفتاة، فأخرج بعض عيدان الريحان وأخبرها باسمًا أنه أتى لها بعيدان الريحان من حديقة المدينة، ويتمنى أن تقبلها كهدية منه.
ظلت الفتاة تنظر له في صمت ثم ذهبت من أمامه دون أن تتفوه بكلمة.

- نظر أهل القرية إلى بعضهم البعض في سعادة وهم يشاهدون ذلك، فقال بعضهم للآخر:
- يبدو أنه قد وقع في حبها!

ومنهم من قال:

- إن أحبها حقًا فهذا ليس كثيرًا عليها. إنها تستحق شخص مثل الأستاذ محمد.

فأومأ البعض برؤوسهم موافقين، قائلين:

نعم، إنها تستحق ذلك!

بعد سماع الأستاذ محمد كلام أهل القرية، شعر بالخجل الشديد ثم توجه إليهم وظل ينظر لهم في صمت، ثم أخبرهم في سعادة أنه سيقوم ببناء المستشفيات والعيادات وكل شيء ينقصهم في هذه القرية.

انطبعت الدهشة على وجوه أهل القرية وظلوا ينظرون له في ذهول مما سمعوا، ومنهم من سجد لله شاكرًا بعد سماع ذلك، ومنهم من حمد الله، ومنهم من ظل يهتف باسمه.

ولكن كان هناك من يراقب ذلك وهو في غاية السعادة..

وما أن انتهى من إخبار أهل القرية بكل شيء، أخبر مهندسي الإعمار مشجعًا لهم أن يقوموا بعملهم على أكمل وجه، ثم توجه إلى الحكيم وأخبره أن يأتي معه لكي يجلبوا جميع الأدوات الذي يحتاجها في الطب ففرح الحكيم بذلك.

ولكن استأذن منه أن يذهب ويجهز نفسه، فأذن له بذلك واستغل انتظار الحكيم في أن يذهب إلى بيت الفتاة، وبعد أن ذهب وطرق الباب فتحت له أمها ورحبت به في سعادة.

بلغته فرحةً أن ابنتها جاءت وأخبرتها بكل ما سيفعله في هذه القرية، وأنه سيبني عيادات ومستشفى، وتابعت باسمةً أنها سجدت لله شاكرة ودعت له بعد سماع هذا الكلام.

نظر إليها الأستاذ محمد مخاطبًا نفسه:

- إذًا كانت تترقبني وأنا لم أشعر بذلك!

فقطعت شروده والدتها، وقالت:

- أخبرني بما تريده يا بني، كنت أود أن أدخلك ولكن أنت تعلم.. لا يوجد رجال في البيت.
- لا عليكِ يا أمي، أنا فقط أريد رؤية ابنتك..

صاحت السيدة بابنتها أن تأتي وتكلم الأستاذ محمد، فأخبرتها بصوت قد سمعه أنها مشغولة في بعض الأعمال، ولن تستطيع أن تأتي الآن فنظرت إليه السيدة في خجل، وأخبرته أنها ستذهب وتتحدث معها..

ولكن الأستاذ محمد منعها، وأخبرها أن تتركها الآن ما دامت مشغولة وسيراها في وقت آخر.

- حسنًا يا بني.

مرت الأيام يومًا تلو الآخر إلى أن مضى شهر..

تجلس ضي وهي تضع رأسها بين يديها وتفرك شعرها الناعم بأصابعها الناعمة الصغيرة، تتذكر الصندوق الذي أهدته لها نور وكانت سعيدة به كثيرًا، وجلست وهي في غاية الاشتياق لرؤية الهدايا التي بداخله، فكانت المفاجئة أنها وجدت بداخله بعضًا من الحشرات الميتة والقاذورات، ورسالة مكتوب بداخلها:

- أنا لم أحبكِ أيتها الفقيرة الحقيرة قط، ولن أحبك ما حييت، إنني جئت إليكِ لكي أعتذر لكِ من أجل والدي فقط، ولكن اعلمي.. أنا لم أحبكِ ولو مرة واحدة، لذلك عندما تريني في باص المدرسة اعتبري أنني لست موجودة، ولا تأتي للتحدث معي مرة أخرى أيتها الفقيرة اليتيمة.

في الصباح الباكر توجه الأستاذ محمد إلى الشركة، ووجد صديقه الأستاذ سعيد يقف أمام الشركة في انتظاره وهو متلهف لمعرفة ما حصل معه في القرية خلال الشهر الماضي، فصافحه وعانقه بشدة لقد زاد نار الاشتياق بينهم خلال هذا الشهر، والآن قد انطفت هذه النار وأصبحت رمادًا بعد لقائهم ببعضهم البعض.

اطمئن الأستاذ سعيد على حال صديقه وأخبره أن يذهب ويأخذ قسطًا من الراحة لكي يأتي ويخبره بما حدث معه خلال هذا الشهر بالتفصيل.

- حسنًا يا صديقي، سأذهب إلى الغرفة الآن لكي أنام، وبعد أن أستيقظ أخبرك بكل شيء.

***

الفصل الخامس

أحترم ذلك الشخص الذي يسعى من أجل أن يحصل على حبيبته لتكون معه مدى الحياة.

دلف الأستاذ محمد غرفته التي بداخل الشركه ونام على مضجعه، ولكنه لم يستطع أن يشرع في النوم سريعًا رغم تعبه الشديد ظل يتذكر هذه الفتاة السمراء التي سحرته بقوة شخصيتها، كيف لا وهو عندما قدم لها أول هدية لم تقبلها ولم توافق على مقابلته ولو لمرة واحدة رغم إلحاحه الشديد على أمها واختها ضي أكثر من مرة، ولكنها لم توافق على ذلك.

تتجاهله عندما كانت تذهب إلى الجامعة، أو لشراء مشتريات البيت لأمها، كان يذهب خلفها من أجل التحدث معها ولكنها لم تترك له فرصة لذلك.

فهي تعلم أنها كنز ثمين تستحق من يطرق بابها، فهي ملكة تعلم أن السعي إليها والدخول من الباب يجعلها جوهرة ثمينة نادرة، لا يستحقها أي شخص إلا ذاك الشخص الذي طبق قول -الله تعالى-:

(وادخلوا البيوت من أبوابها).

وقتها سيدخل جنتها الأبدية لكي ينعم بها في الدنيا والآخرة.

بعد حلول الليل، حيث السكون الذي يعم الشركة بأكلمها يستيقظ الأستاذ محمد من نومه ولكنه صُدم من حلول الليل وهو مازال نائمًا؛ فقام من فراشه سريعًا متوجها إلى غرفة الأستاذ سعيد طارقًا الباب، فأذن له بالدخول، فتنهد وحمد الله أنه ما زال موجودًا ولم يذهب، وبعد أن دخل تبادلا التحية وأخبره في خجل أنه قد نام كثيرًا، ولم يشعر بذلك وطلب منه أن يسامحه.

- لا عليك يا صديقي، إنني أقدر ذلك.

ثم سأله أن يخبره بكل ما حدث معه في القرية خلال الشهر الماضي تنهد الأستاذ محمد، وأخرج زفيرًا هادئًا، وأخبر صديقه أنه قد بنى ثلاث عيادات مجانية كما أمره، وأتى بأطباء للعمل بها وأصبح أهل القرية بأكملها سعداء بذلك، ومن بعد بناء هذه العيادات قد تغير حالهم كثيرًا وتعالج الكثير من المرضى، وأصبحت صحتهم أفضل كثيرًا عما سبق، ثم تابع بعد أن أخرج زفيره الثاني:

- إن العيادات كانت سبب في إنقاذ الكثير من الموت، خصوصًا الأطفال بفضلٍ من الله

شعر الأستاذ سعيد بسعادة بالغة، وشكر صديقه على ذلك، ثم سأله عن بُناة المشفى
فأخبره أن العمال لا زالوا يعملون به، وأنه سيستغرق منهم لبنائه مدة تتراوح من سنة لستة أشهر.

- حسنًا، لا تجعلهم يتأخرون أكثر من ذلك.
- سأفعل بإذن الله.

ظل الأستاذ محمد صامتًا قليلا يتذكر شيئًا، ثم قال:

- تذكرت شيئًا مهمًا، وأيضًا أمرتهم ببناء السوق من جديد،

وأخبره أنه علق بداخله بعض مصابيح الإنارة في أركان السوق مع حلول الليل، وزينه بألوان الزينة المختلفة والبالونات، وكلف بعض العمال بتبخير السوق صباحًا ومساءً، لكي يعطي رائحة عطرة وجذابة لكل من يدخل هذا السوق.
ثم صمت برهة وتابع كلامه في سعادة، أنه بنى أيضًا بوابة دخول خاصة بالسوق مكتوب عليها:
(أهلًا بكم أيها الزوار، سوق قرية المنشاوي يرحب بكم) وجعل بوابة الخروج في آخر السوق مكتوب عليها (نشكركم لزيارتكم أيها الزوار)
ثم قال باسمًا:
- قد أصبح شيء آخر بعد الانتهاء منه، وهذا بعد ما تعاون أهل هذه القرية مع بعضهم.
صمت برهة وأخبره فرِحًا أن سكان أهل القرية أفضل ما رأى في حياته؛ لأن كل منهم يقفَ مع الآخر ويقدم له يد المساعدة
ومن يستطيع منهم أن يقدم يد العون لأخيه يفعل ذلك دون تردد، وأنهم أيضًا يتميزون بالكرم رغم شدة الفقر الذي كانوا عليه.

- نعم هو كذلك يا صديقي، دائمًا الفقراء يتميزون بصفات حميدة ليست في كثير من الأغنياء.

ثم تابع الأستاذ سعيد كلامه أنه قد شعر بالاشتياق لذهابه إلى هناك، وأنه يود أن يذهب ليتعرف على أهل القرية، ولكن عندما يتبدل حالهم أكثر من ذلك.

أخبره الأستاذ محمد أنه سيذهب بعد يومين بعد إذنه لكي يتابع العمال، وسيعود في نفس اليوم، إن أراد أن يذهب معه إلى هناك ويرى القرية..

ولكن الأستاذ سعيد رفض ذلك لأنه لا يتحمل رؤيه فقير أمامه يحتاج إلى شيء وهو ينعم بكل هذه الأملاك، فأمره أن يذهب هو ويلبي لهم كل احتياجاتهم، ثم تقدم الأستاذ سعيد إلى صديقه وربت على كتفه بحنان، وأخبره أن يأخذ حذره لأنه لا يريد أن يعرف أحد أنه من يقوم بالمساعدة.

نظر إليه الأستاذ محمد نظرة مطولة ولم يتفوه بكلمة..

- لماذا تنظر هكذا يا صديقي! هل أخبرتهم بشيء؟

اومأ الاستاذ محمد برأسه بعدم الموافقة، وأخبره أنه لم يخبر أحدًا عنه بشيء.

- حسنًا سأذهب الآن إلى البيت لأنني تأخرت على ابنتي نور، أراك غدًا يا صديقي.

قام الأستاذ سعيد بتوديع صديقه وما أن أومأ بالذهاب توجه إليه مرة أخرى بعدما تذكر أمرًا، وقال:

هل يوجد في تلك القرية مساجد؟

أخبره الأستاذ محمد في سعادة أنه هناك أكثر من مسجد في القرية، وهذا أكثر ما يهتمون به وأن شيخ المسجد كل يوم بعد صلاة العشاء يعطيهم درسًا دينيًا وفي الصباح يذهب الأطفال بعد صلاة الفجر لحلقة القرآن، يجتمعون في المسجد كرجلٍ واحد وكأن على رؤوسهم الطير فهذه الحلقة ودرس المساء أهم عندهم من الطعام والشراب.

- ما شاء الله هذا جيد، نحن هنا في هذه المدينة كالسجناء بداخلها، لا أحد هنا يهتم بمثل هذه الأشياء!
- نعم هو كذلك يا صديقي، كل منهم هنا يتسابق مع الآخر.. أن يكون منصبه أعلى من الآخر
- حسنًا على كل حال، سأذهب الآن وأراك غدًا.

ذهب الأستاذ سعيد من الشركة متوجهًا إلى بيته بعربته السوداء، وعندما اقترب من بيته سمع صياح ابنته يتلألأ من بيته بشدة، فشعر بالقلق الشديد عليها وأسرع في مشيته، ولكن بعد أن اقترب من البيت اكتشف أن ابنته يعلو صوتها على الخادمة حكمة، وتخبرها أنها خادمة عندها ويجب أن تسمع كلامها لأنها هي من تعمل عندهم..

صُعق الأستاذ سعيد من كلام ابنته ولم يستطع تمالك نفسه فاتحًا باب القصر متوجهًا إليها وعلى وجهه الغضب الشديد، ثم أخبرها أن تأتي خلفه بعد أن نظر لها نظرة أرعبتها، ذهبت نور خلفه رويدًا رويدًا وهي تنظر إلى الخادمة حكمة في خوفٍ كأنها تستغيث بها وبعد دخولها الغرفه أمسكها من معصمها بشدة، وسألها عابسًا:

- ما الذي تقولينه لمربيتك؟ ماهذا الكلام الذي سمعته منكِ أخبريني؟!

نظرت إليها الخادمة حكمة، وحزنت عليها بعد أن ذهبت خلفهما في ترقبٍ، ثم توجهت للأستاذ سعيد كي تدافع عنها ولكنه أشار إليها أن تظل مكانها، ثم توجه إلى ابنته قائلًا:

- اعتذري من مربيتك الآن!
- لن أعتذر، إنها تريدني أن أفعل كل شيء رغمًا عني..

تجاهل الأستاذ سعيد كلام ابنته، وقال:

- إنني لا أريد سماع مبررات منكِ. كيف يعلو صوتكِ على صوت مربيتكِ وتتحدثي معها بهذه الطريقة البذيئة؟ اعتذري الآن!

قال ذلك وهو يمسك معصمها بقوة، فنظرت نور لمربيتها وهي تتألم من يدي والدها، وقالت بصوتٍ متقطع وهي تنظر إلى الأرض:

- إنني آسفة!
- اذهبي وقبلي رأسها وقولي لها بصوتٍ مسموع عن ذلك.

صُعقت نور من كلام أبيها وظلت تنظر إليه تارة، وإلى الخادمة حكمة تارة أخرى، ثم توجهت إليها، وفعلت ما أمرها به والدها، وبعد ذلك ذهبت إلى غرفتها والدموع تنزل على وجنتيها بغزارة،

وعندما أرادت الخادمة حكمة الذهاب خلفها، نظر إليها الأستاذ سعيد غاضبًا، وقال:

- يكفي تدليل لها، لا تذهبي خلفها من الآن عندما تقوم بفعل غير لائق.

وبعد قليل وجد ابنته تخرج من غرفتها وعينها حمراء من كثرة البكاء متوجهةً إليه بعد أن ارتدت فستانها القصير، قائلةً:

- هل سنتنزه اليوم كما أخبرتني يا والدي؟

نظر إليها الأستاذ سعيد في تعجبٍ محدثًا نفسه:

- كيف أتت هذه الفتاة بكل تلك الجرأة! ثم توجه إليها وعلى وجهه الغضب، وسألها:
- لماذا خرجتِ من غرفتك؟ لا أريد أن أراكِ اليوم مرة أخرى، وتابع كلامه:

هل نسيتِ ما فعلتِه منذ قليل؟

ذهبت نور إلى غرفتها مرى أخرى وهي تبكي بحرقة، وصوت بكائها يتلألأ في جميع أنحاء القصر وقلب الخادمة حكمة يتألم على حالها

توجه الأستاذ سعيد إلى المربية حكمة في حزن قائلًا:

- هذه الفتاة تتطاول كثيرًا، نحن لم نربِها على ذلك، لا أعلم من أين تأتي بهذه الجرأة!

ثم توجه إلى غرفته مغلقًا باب الغرفة خلفه..

ظل مستيقظ إلى الصباح لم يغمض له جفن بسبب حزنه على حال ابنته، وفي الصباح بعد أذان فجرٍ جديد، ذهب الأستاذ سعيد إلى المسجد لأداء صلاة الفجر كعادته ولكنه هذه المرة كان مهمومًا، ظل يدعو الله أن يهدي له ابنته نور التي لم يعرف لماذا تتصرف دائمًا بطريقة غير لابقة.

ولكنه تذكر كلام الأستاذ محمد وهو جالس على سجادة صلاته، أن في القرية يهتمون بحلقات القرآن كثيرًا ويحفظون أطفالهم القرآن منذ الصغر، ويغرسون بداخلهم القيم والأخلاق الحميدة؛ فقرر أن يتحدث مع الشيخ إدريس لكي يحفظ ابنته القرآن، فتوجه إليه

وتبادلا التحية وأخبره أنه يريد أن يحفظ ابنته القرآن، ويعلمها بعض القيم والأخلاق الحميدة، فرحب الشيخ كثيرًا بذلك وأخبره أن حلقات القرآن يومين في الأسبوع، ففرح كثيرًا الأستاذ سعيد واتفق معه أنه سيأتي له بابنته نور.

وبعد يومين.. توجه الأستاذ محمد بعد شروق الشمس إلى القرية، فوجد لافتة على بوابة القرية مُعلقة، فجذبته من شدة جمال ألوانها فقد كانت باللونين الأحمر والأصفر المزرقش بالورود البرتقالية، ومكتوب عليها بخط أسود اللون (أهلًا بكم في قرية المنشاوي، أعزائي الكرام هنا حياة جديدة ترحب بكم، هنا السعادة، هنا الأمل، هنا الحب، هنا الحياة) وتوقيع خفيف بخط الأيدِ، ولكن لم يظهر اسم الموقع.

حدث الأستاذ محمد نفسه بعد أن تأملها للحظات:

- مبدعٌ من فعل هذه اللافتة!

ثم تابع:

يجب أن أعرف الشخص الذي فعلها، وبعد أن دخل من بوابة القرية وجد فتاة ترتدي فستانًا فضفاضًا باللون الأخضر مع خماره الذي كان باللون البيج، فتوقف قليلًا ينظر إليها، فطريقة سيرها ليست غريبة عليه، فعلم أنها هي وأسرع خلفها عندما تأكد من ذلك، فوجدها تمسك بين يديها بعض الكتب، فقال في سعادة:

- أهلًا بكِ أيتها الفتاة، أخيرًا لقد تقابلنا مرة أخرى!

وتابع:

- على ما أظن ليست صدفة!

ولكنها لم تلقِ له بالًا ولم تلتفت له وجعلته يحدث نفسه، فأسرع خلفها مرة أخرى، وسألها لماذا تتعامل معه بهذه الطريقة، وهل فعل شيئًا ما أحزنها ولم يشعر بذلك.

فنظرت إليه بعينيها الخضراوتين الجميلتين، وقالت في عتاب:

- عيبٌ عليك أن توقفني في طريقي مثل قاطع الطريق!

ابتسم الأستاذ محمد على كلامها، وقال مازحًا:

- ليست مشكلة، اعتبريني قاطع طريق.

وتابع:

- إنني لا أحب أن أوقفك في الطريق هكذا، ولكنني كنت أود التحدث معكِ.

تركته مرة أخرى وذهبت خارج القرية متوجهةً إلى الباص، فأسرع خلفها وعندما ذهب إلى هناك وجد العم مجدي في انتظارها، فألقى عليه التحية، ثم أخبره العم مجدي أنه يجب أن يذهب الآن لكي لا تتأخر هويام على الجامعة.

شعر الأستاذ محمد بسعادة بعدما علم اسمها وهو ينظر إليها، ثم قال باسمًا:

- إن اسمها جميل جدًا

وبعد قليل..

ظل الأستاذ محمد يتنزه في طرقات القرية بأكملها على قدميه بعد اختفاء الباص من أمامه، يتأمل أهلها وكل منهم منشغلٌ بعمله، فرآه بائع القماش فرحب به، وأخبره أنه سيكون سعيدًا إذا جلس وشرب معه مشروبه المفضل

فرحب الأستاذ محمد بالفكرة وجلس يشرب معه، ثم سأله إن كان يعرف الشخص الذي عمل لافتة الترحاب على بوابة القرية، وتابع: إنها جميلة جدًا وجذابة!

أخبره بائع القماش أنها فتاة من أهل القرية هي من فعلتها، ثم تابع: إنها مبدعة كثيرًا، تشبه والدها رحمه الله، فسأله

- وهل والدها أيضًا كان يفعل ذلك؟

- نعم إنه كان يكتب بخط جميل جدًا، فكان يستغل موهبته في فعل لافتاتٍ رائعة!

ثم أخبره أن من كان يريده أن يعمل إعلانات من أجل عمله أو شيء آخر كان يعمل عنده، إلى أن أصبح مشهورًا بين أهل القرية بالمخططِ البارع.. كان هذا قبل الفقر الذي كان يعم أهل القرية بأكملها.

سأله الأستاذ محمد في تعجب:

- وما سبب الفقر الذي كنتم عليه!

أخبره بائع القماش بكل شيء حدث لهذه القرية منذ خمسة أعوام..

كان هناك تاجر قماش يأتي من بلاد بعيدة كل البعد عن هذه البلاد، وكان يأتي مرة كل شهر إلى قرية المنشاوي، ليبيع لتجارها القماش لأن قماشه كان مميزًا لا يشبه أي قماش آخر.

وفي يومٍ اختلف بائع القماش مع رجل من أهل قريتنا ووقف أهل قريتنا معه لأنه كان مظلومًا، فأقسم هذا الرجل أنه سيدمر هذه القرية، وتابع

أنه لم يبالِ أحد من أهل القرية بكلامه، ولكنه بعد أيام قليلة بعد ذهاب التاجر، انتشر الوباء في جميع القرية، وأخبرهم هذا التاجر في رسالة تركها أنه من فعل ذلك، ومن بعدها أصبح أهل القرية بهذه الحالة.

تعجب الأستاذ محمد من كلامه، وقال:

- وكيف فعل ذلك؟
- لا أحد يعلم إلى الآن كيف جعل الوباء ينتشر في قريتنا.

ربط الأستاذ محمد على كتفه وأخبره أن الله عوضهم عن كل شيء مروا به، ثم سأله عندما همَّ بالذهاب هل يعرف الفتاة التي علقت اللافتة لأنه يود أن يشكرها

- لا أعلم من تكون سيدي، صديقي من أخبرني عنها وعن قصة والدها رحمه الله، ولكنه ليس موجود الآن.

شكر الأستاذ محمد بائع القماش على حسن الضيافة وذهب يتنزه في طرقات القرية مرة أخرى، ثم بعد ذلك توجه إلى عمال المشفى وأمرهم أن يعملوا بأقصى ما يمتلكون من قوة، وأخبرهم أنه يريد أن ينتهي هذا المشفى خلال ستة أشهر؛ لأنه لا يريد أن يتأخر في بنائه أكثر من ذلك، ثم تابع كلامه مشجعًا لهم:

- وسأضاعف لكم الأجر إن شاء الله

سعد العمال كثيرًا وأومأوا برأسهم موافقين، وترك الأستاذ محمد مهندسي الإشراف عليهم، لأنه سيعود إلى المدينة لكي لا يتأخر على عمله.

وبعد مرور ساعة ونصف..
توجه الأستاذ محمد إلى الشركة وأخبر الأستاذ سعيد أن أهل القرية لا ينقصهم شيء بعد الآن إلا بناء المشفى، بعد أن صاروا يدًا واحدة يعملون بجد ونشاط لتعمر قريتهم مرة أخرى.
شكر الأستاذ سعيد صديقه على ذلك وأخرج زفيرًا هادئًا وحدث نفسه قائلًا:

- من الآن أستطيع النوم براحة.

وبعد قليل ذهب الأستاذ محمد لكي يشرف على عمال الشركة كعادته، وظل الأستاذ سعيد على مكتبه يقوم بتوقيع بعض الأوراق المهمة.
وبعد حوالي نصف ساعة.. وفي أثناء إشراف الاستاذ محمد على العمال ظل يتذكر هويام عندما كانت تمشي أمامه بزيها الفضفاض، فابتسم عندما ذهبت وتركته وهو يتحدث معها. انتبه الأستاذ سعيد على شرود صديقه بعدما خرج من غرفة المكتب وهو يبتسم على حاله فاقترب منه، وقال:

- إذًا صديقي قد وقع في الحب دون أن أعلم بذلك!

ظل الأستاذ محمد على حالته دون أن يشعر أن الأستاذ سعيد يتحدث معه، فظل العمال ينظرون إليه في دهشة ويبتسمون، منهم من يحدث نفسه قائلًا:

- لقد وقع في الحب حقًا!

ومنهم من قال:

- يبدو أنها سحرته إلى درجة أنه لم يشعر بحديث الأستاذ سعيد له!

ففاق من شروده بعد أن ربت الاستاذ سعيد على كتفه، وقال مازحًا:

- هل صديقي وقع في الحب دون أن يخبرني بذلك؟

نظر إليه الأستاذ محمد في خجل قائلًا:

- هل تتحدث معي سيدي؟

فأجابه أحد العمال:

- إن سيدنا يتحدث معك منذ فترة!

فظل الأستاذ سعيد يضحك، ويضحك العمال من حوله ثم توجه إلى مكتبه بعد أن أمره أن يأتي خلفه إلى الغرفة.
ذهب الأستاذ محمد خلف صديقه وهو يشعر بالخجل الشديد لا يدري ماذا يفعل، وعندما ذهب إلى هناك نظر إليه الأستاذ سعيد واخبره بنبرة صارمة أنه يراه دائمًا في الفترة الأخيرة وهو يشرف على العمال شاردًا، خاصةً بعد كل مره يرجع فيها من القرية، ثم أكمل كلامه:

- هل لك أن تخبرني لماذا كل هذا الشرود؟

طاطأ الأستاذ محمد رأسه وظل صامتًا قليلًا، ثم قال:

- اعذرني سيدي، لن أهمل عملي منذ الآن.
- إنني لم أخبرك يا صديقي أنك تهمل عملك، ولكن هل هناك فتاة تحبها أو ما شبه؟

وتابع باسمًا:

- تعلم أنني سأساعدك في هذا الموضوع..

رفع الأستاذ محمد رأسه في خجل وظل ينظر إلى صديقه دون أن يتفوه بكلمة، فشعر الأستاذ سعيد بذلك، فقال:

- حسنًا، ليست هناك مشكلة إن لم ترِد أن تخبرني بشيء

وأكمل كلامه قائلًا:

- ولكن إن أراد كاتم أسراري أن يخبرني بشيء، فهو يعلم أنني موجود في أي وقت.

أومأ الأستاذ محمد برأسه موافقًا وهمَّ بالخروج من الغرفة، ثم حدث نفسه قائلًا:

- تحلَّ بالقوة، ما الخجل في ذلك؟

ثم نظر إلى الأستاذ سعيد مرة أخرى، وقال في سعادة:

- إنني معجب بفتاة
- ماذا تقول يا صديقي لم أسمع؟
- معجب سيدي بفتاة في القرية..

ظل الأستاذ سعيد يضحك، ثم قال:

- والله إنني أرى أنك واقع في حب هذه الفتاة، ولستَ معجبًا بها يا صديقي!

نظر إليه الأستاذ محمد في صمت واحمرَّ وجهه من شدة خجله.

***

الفصل السادس

يجب على الإنسان أن يكون صادقاً مع نفسه وأيضاً صادقاً مع مشاعره؛ لأن الحب ليس للجبناء.

- على كل حال أخبرني من هي هذه الفتاة؟
- تتذكر الفتاة التي أنقذتها من الموت؟
- نعم.
- إنها هي.

ابتسم الأستاذ سعيد، وأبلغه أنه يعلم أنه أحب هذه الفتاة عندما جاء وأعلمه عنها لأول مرة.

نظر إليه الاستاذ محمد في تعجب، ثم أكمل الأستاذ سعيد كلامه باسمًا، وأبلغه أن عيناه وطريقة كلامه حينها عنها، وهو يخبره أنه أنقذها في غاية السعادة وتوحي أنه قد وقع في حبها، ولكنه لم يخبره بذلك، انتظر الأيام والمواقف هي من تثبت ذلك.

ثم تقدم الأستاذ سعيد بالقرب من صديقه وأخبره بعد أن ربت على كتفه، أن لا يخجل من إظهار حبه، وأيضًا هما أصدقاء لا يخفيان شيئًا عن بعضهما البعض منذ الصغر.

فكل منهما كان نعم الصديق للآخر في السراء والضراء، عندما تراهما تقول هذه الصداقة قوية جدًا.

إن الصداقة الحقيقية هي تلك التي تجعلك تشعر أنك مع صديق لن يتخلى عنك مهما كان. يتقبلك كما أنت. يثبت لك بأفعاله طوال الوقت أنه صديق حقًا وفي.

أخبر الأستاذ محمد صديقه أنها لا تريد التحدث معه وتتجاهله دائمًا، حتى عندما رآها وهي ذاهبة إلى الجامعة وأراد التحدث معها تركته وذهبت يتحدث مع نفسه!

تبسم الأستاذ سعيد وظل يتذكر حبيبته نهى عندما رآها لأول مرة، وأعجب بها، وأراد أن يتحدث معها؛ تركته أيضًا وذهبت ولم تستمع له

ثم فاق من شروده وأخبر صديقه بذلك فنظرإليه الأستاذ محمد في تعجبٍ وظل يضحك، ثم قال:

- يبدو أن هذا هرمون منتشر في النساء، تتحدث معهم ويتركونك وتذهب تتحدث مع نفسك.

ربت الأستاذ سعيد على كتف صديقه، وقال باسمًا:

- النساء دائمًا تحب أن تتدلل لذلك ليس هناك مشكلة في ذلك، وتابع:
- يبدو أنها فتاة صالحه يا صديقي، لذلك أنصحك، لا تجعلها تذهب من يدك.
- إنها يتيمة!

نظر إليه الأستاذ سعيد في حزنٍ وتذكر رحيل أبيه وأمه عندما أصابهم حادث شنيع أمام عينه، ورحلوا معًا لدنيا الحق، ثم أخبره أن يرى ولي أمر غير والدها.

انفجرت أسارير محمد وأخبره أنه يريد أن يتقدم لها غدًا، فأعجب الأستاذ سعيد بذلك قائلًا:

- خير البر عاجله.

ثم أبلغه أن يذهب غدًا لطلب الفتاة في المساء بعد انتهائهم من العمل وهو سيذهب معه أيضًا

فرح الأستاذ محمد وأخبر صديقه مازحًا أنه سيبدأ من الآن تجهيز نفسه من أجل الذهاب لطلب العروس غدًا.

ضحك الأستاذ سعيد، وقال:

- حسنًا يا صديقي، افعل ما يحلو لك.

بعد انتهاء الأستاذ سعيد من عمله توجه إلى قصره كعادته، ودخل على ابنته نور وهي تعزف على آلتها الموسيقية، فظل يمسح على رأسها ويقبلها وهي جالسة في مكانها ثم اقترب من أذنها قائلًا:

- ابنتي اليوم سنذهب إلى المسجد سويًا.

نظرت إليه نور في دهشة، وتوقفت عن العزف، وقامت من على آلتها الموسيقية، ثم توجهت إلى والدها، وسألته في تعجب:

- لماذا سنذهب معًا؟ إنني لم أذهب إلى المسجد منذ عدة سنوات!

فأخبرها والدها بعد أن أجلسها على قدميه أنها ستحفظ قرآن بعد صلاة العشاء مع الشيخ إدريس، وسيكون معها فتيات من عمرها.

ظلت نور صامتة قليلًا وهي تفكر في طريقة تقنع بها والدها أنها لا تريد الذهاب، وأنها لا تريد أن تحفظ القرآن، ولكنها تذكرت ما فعلته

مع الخادمة حكمة وحزنه منها؛ فأومأت برأسها إيجابًا على ذلك ولم تظهر اعتراضها خوفًا من أن يحزن منها أكثر من ذلك، ثم تركته وذهبت، وهي تقول:

- حسنًا يا والدي، سأذهب الآن لارتداء ملابسي.

تركها والدها ولم يتفوه بكلمة، متوجهًا إلى غرفة مكتبه وأخرج من المكتب صندوقًا مزينًا ببعض الورود ثم تمتم لنفسه، وقال:

- قد حان الوقت

بعد أن فتح الصندوق أخرج منه القرآن الكريم ثم أغلق الصندوق مرة أخرى، متوجهًا إلى غرفة ابنته، فوجدها جالسة أمام المرآة تلبس فستانًا قصير إلى الركبة، فنظر إليها في تعجبٍ، ثم حدث نفسه أنها لا بد أن ترتدي ملابس أكثر حشمة وهي ذاهبة إلى المسجد، ولكن سرعان ما أخبر نفسه أنها صغيرة وعندما تكبر سيجعلها ترتدي ملابس أكثر حشمة، قائلًا:

فقطعت ابنته تفكيره عندما رأت والدها واقفًا وبين يديه القرآن الكريم، فأسرعت إليه وسألته:

- هل هذا لي يا والدي؟

فأجابها:

- نعم يا صغيرتي.

ثم أكمل:

- هل تعلمين لمن هذا المصحف؟

فنظرت إليه ابنته قائلة:

- لمن يا والدي؟

فأجابها مبتسمًا أنه لأمها رحمها الله، وهي من أخبرته أن يعطيه لها عندما تكبر من أجل أن تحظى به عندما كانت على فراش الموت.

نظرت نور إلى والدها بدموعٍ أبت أن تفارقها، ثم قالت:

- رحمكِ الله يا أمي.

توجهت نور بصحبة والدها إلى المسجد، وبعد انتهاء صلاة العشاء توجه بها إلى الشيخ إدريس فوجده جالسًا، وأمامه طلابه فنظر إليه

الشيخ وبعض طلابه وانطبعت على وجوههم الدهشة والخجل عندما رأوا نور بهذه الملابس، منهم فتاة ترتدي إدناءً واسعًا.
ارتبك والد نور عندما وجدهم ينظرون إلى ابنته بهذه الطريقة، وظل صامتًا ولم يتفوه بكلمة، فجلست نور بجانب الفتيات بعد أن ألقت التحية على شيخها فقام الشيخ من المجلس بعد أن رحب بها في خجلٍ وأشار لوالدها أن يأتي خلفه.
بعد أن ذهب والد نور خلف الشيخ، نظر إليه الشيخ في حزنٍ وعتاب، وأخبره أنه لا يصح أن يجعل ابنته تأتي إلى المسجد وهي ترتدي ملابس قصيرة، وتابع عابسًا الوجه، أنه مثل هذه الملابس لا يصح أن تخرج بها خارج البيت، فكيف يجعلها تأتي بها إلى بيت الله!
شعر الأستاذ سعيد بالخجل، وأخبر الشيخ أنه تركها ترتدي ما تشاء هذه المرة لكي تحب أن تأتي في المرات القادمة.
فأجابه الشيخ في عتاب أن ابنته ليست صغيرة، وإن لم يأخذها إلى البيت الآن ويجعلها ترتدي ملابس أكثر حشمة، ستعتاد على ذلك ولن توافق في المرة القادمة ان ترتدي ملابس أكثر حشمة.
ثم أخبره أن نور يظهر عليها أنها أكبر من سنها، وبعد عدة سنوات ستصبح عروس فكيف يجعلها تجلس أمامه بهذه الملابس! ثم أكمل كلامه:
إنني شعرت بالخجل منها.

- حسنًا يا شيخي سآخذها لترتدي ملابس محتشمة وأعتذر على ذلك.

توجه الأستاذ سعيد إلى ابنته وأمرها أن تأتي خلفه، وبعد خروجهما من المسجد أخبرها أنه أخطأ عندما تركها تأتي بيت الله بملابس قصيرة، ولكن نور لم يعجبها ذلك وظلت تتذمر إلى أن وصلت البيت وأخبرت والدها أنها لا تريد أن تحفظ القرآن. وأنها لا تريد أن تذهب إلى المسجد مرة أخرى، ولكن والدها أصرَّ على ذهابها، وإن لم تذهب لن يجعلها تجلس مرة أخرى على آلتها الموسيقية.

وافقت نور على طلب والدها بعد إلحاحه الكثير عليها، وذهبت مرة أخرى إلى المسجد وعلى وجهها معالم الحزن وهي تنظر إلى شيخها
عابسة الوجه، وتشعر بالخجل من ملابسها الفضفاضة التي ترتديها.
نظر إليها الشيخ باسمًا مرحبًا بها:
- ابنتي نور، أهلًا وسهلًا بكِ، أنرتِ حلقة القرآن بأكملها.
نظرت نور للشيخ نظرة مطولة توحي بعدم الرضا ولم تتفوه بكلمة، لأنها تعلم أنه من أخبر والدها بملابسها، ولكن الشيخ تجاهل ذلك فهو يعلم أن نور منذ الصغر قد دللها والدها بشدة لدرجة أنها عندما كانت تفعل سلوك سيء كان يتجاهل ذلك، ولا يرشدها على الصواب بحجة أنها مازالت صغيرة وحُرمت من أمها منذ الصغر، فهو لا يريد أن يضغط عليها.
وعندما كان الشيخ يعترض على ذلك كان يقول:
- ما زالت صغيرة، عندما تكبر ستعلم الصواب من الخطأ.
توجه الشيخ إلى نور، وسألها كم تحفظ من القرآن.
نظرت إليه نور في ارتباكٍ لا تدري ماذا تقول، ثم أخبرته أنها لا تحفظ شيئًا من القرآن.
صُعق الشيخ من كلامها وانطبعت الدهشة على وجوه الطلاب من حوله، فتعجبت نور من ذلك وقامت من مجلسها دون أن تأخذ الإذن من الشيخ وصاحت بأعلى صوت:
- لماذا تنظرون إليّ هكذا؟
دخل والدها في هذه اللحظة وظهر على وجهه الغضب من فعلتها، ثم أشار إليها محذرًا أن تصمت وتجلس مكانها.
أمرها الشيخ بالجلوس مرة أخرى محدثًا نفسه أنها مع الوقت ستكون فتاة صالحة، عندما يعلمها القرآن والآداب وعندما تختلط وتجتمع بين هؤلاء الفتيات الصالحات؛ ستصبح أيضًا صالحة مع الوقت.

ولكن شعر الشيخ بالحزن الشديد لأنه علم أن نور لا تصلي عندما أخبرته أنها لا تحفظ شيئًا من القرآن، ولكن لم يحزن من الفتاة بل من والدها وظل ينظر له في عتابٍ عندما كان جالسًا في آخر المسجد يقرأ القرآن منتظرًا ابنته.

توجه الشيخ إلى نور وأخبرها أنه سيحفظها اليوم سورة الفاتحة أولًا، لكي تستطيع أن تصلي بها، ثم بعد ذلك يحفظها بعض الصور الصغيرة بعد أن تتقن حفظ سورة الفاتحة.

أجابته نور أنها لن تصلي لأنها ما زالت صغيرة، وعندما تكبر ستصلي ثم تابعت:

- ولكن ليست مشكلة، سأحفظها أولًا.

نظرت الفتيات والشيخ إلى نور في تعجب، فقالت فتاة ممن تجلسن:

- أنتِ لستِ صغيرة يا نور، أنتِ كبيرة، وإن لم تبدأي الصلاة الآنَ؛ ستكون صعبة عليكِ في الكبر، هكذا ما أخبرنا به شيخنا.

نظرت إليها نور في غضب، وقالت وهي تخفض صوتها لكي لا يسمعها والدها:

- ليس لكِ دخل في ذلك، وأيضًا أنا ما زلت صغيرة!

صمتت الفتاة وولم تتفوه بكلمة احترامًا لشيخها، فقال الشيخ متجاهلًا حديثهما لأنه يريد أن يحبب نور في حلقة القرآن، لذلك سيصبر عليها:

- ابنتي نور، سأعطيكِ سورة الفاتحة وأريدكِ أن تبدأي الصلاة بها كل يوم في صلاة الصبح قبل ذهابك إلى المدرسة

ثم أكمل:

وعندما تعتادين على الحفاظ على صلاة الصبح يا ابنتي ستصلي بالتدريج باقي الصلوات، اتفقنا يا ابنتي؟

أومأت نور برأسها للشيخ موافقةً، وقالت:

- حسنًا يا شيخي، سأفعل ذلك بإذن الله.

بعد انتهاء حلقة القرآن، توجه والد نور إلى ابنته وهو يشعر بالاستياء الشديد منها عندما وجدها تصرخ في وجه الفتيات، لا

يدري ماذا يفعل معها. لقد أخبرها أكثر من مرةٍ أن تتكلم بطريقة جيده مع الآخرين، ولكن هي تفعل ذلك منذ الصغر ولم تجد من ينهاها عن ذلك، وكان والدها يتركها تفعل ما تشاء.

وفي اليوم التالي بعد أذان الفجر توجه والد نور إلى المسجد لأداء صلاة الفجر كعادته، وبعد انتهاءه من الصلاة، اقترب منه الشيخ إدريس وتبادلا التحية وظل ينظر إليه نظرة مطولة وهو يضع كفه بكفه، فنظر إليه الأستاذ سعيد، وأخبره أنه يعتذر عما بدر من ابنته بالأمس،

ثم تابع معاتبًا نفسه:

- ولكن كل هذا بسببي، لو كنت سمعت لكلامك في بادئ الأمر، لم أكن سأمر بكل هذا ولكن تأخر الوقت!

فتعجب الشيخ من ذلك، وقال:

- لم يتأخر الوقت، ولكن تحتاج إلى صبرٍ لغرس القيم والأخلاق الحميدة بداخلها.

أخبر الأستاذ سعيد شيخه أنه استاء من أفعال ابنته السيئة، ولا يدري ماذا يفعل معها، وأنه قد أخبرها أكثر من مرةٍ أن تتصرف بلباقة مع من حولها، ولا تقم بالصراخ في وجه من تحدثه، ولكنها لا تستمع لكلامه وأيضًا لا يدري كيف أتت بهذه الطريقة في الحديث مع الآخرين، لأنه لا يتحدث أحد في القصر بهذه الطريقة، فأخبره الشيخ أنها نشأت على ذلك ولم تجد من يدلها على الصواب وتحتاج بعض الوقت لكي تحسن من سلوكياتها.

ثم تابع:

- ولكن اجلس الآن، ولا تحزن من كلامي
- لن أحزن يا شيخي، فأنت شيخي وأتعلم منك!

قص الشيخ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم على مسامع الأستاذ سعيد:

(علموا أولادكم الصلاة لسبعٍ واضربوهم عليها لعشرٍ)

- أخبرني كم عمر ابنتكَ الآن
- بعد عدة أيام ستبلغ الثالثة عشر

- ولم تحفظها شيئًا من القرآن إلى الآن! ولو سورة الفاتحة!

ثم تابع:

يجب أن تعلمها الصلاة، قم بتشجيعها على ذلك وكافئها دائمًا إلى أن تعتاد.

- حسنًا يا شيخي، سأفعل ذلك.

ثم أخبره الشيخ أن مخالطتها للبنات الصالحات اللواتي من عمرها أمرٌ مهم، لذلك يجب أن يعلم من اللواتي تصاحبهن ابنته، لأنه أخبره منذ قليل أنه لا يوجد أحد يتكلم بهذه الطريقة في القصر، لذلك هناك أحد في حياة ابنته متأثرة به كثيرًا وتتعلم منه.

تعجب الأستاذ سعيد من ذلك، وقال:

- أصدقاء ابنتي كثر، ولكن لم يخطر ببالي أبدًا أن ابنتي من الممكن أن تكون متأثرة بأصدقائها أو تتعلم منهن!
- كيف ذلك يا سعيد؟ إن الأصدقاء لديهم دور كبير في سلوكيات أبنائنا!

ثم تابع وهو يربت على كتفه:

- أنصحك أن تركز مع ابنتك أكثر من ذلك، لأن التربية ليست متعلقة فقط بالمال.

ثم تابع:

- ويجب أن تجعلها ترتدي ملابس أكثر حشمة!
- حسنًا، سأفعل ذلك.

ودع الأستاذ سعيد شيخه وذهب بعد حديثهما الطويل إلى عمله، وبعد وصوله للعمل وجد محمد يقف مشرفًا على عمال الشركة شاردًا كعادته ابتسم على حاله، وظل يتذكر نفسه عندما كان يشرد دائمًا في حبيبته نهى التي خطفت قلبه دون موعد عندما رآها لأول مرة.

عندما يحب القلب بصدق تعجز الجوارح أن تتصرف بلباقة، فالحب كحقنة بنج يجعلك لا تشعر بتهورك وكأن كل ما تفعله طبيعي من وجهة نظرك، أما من وجهة نظر الآخرين سيعتبرونك حينها شخص مجنون.

بعد حلول الليل توجه الأستاذ سعيد في صحبة صديقه محمد إلى القرية، فوقف بعربته قليلًا على البوابة القرية الرئيسية، وظل ينظر إلى اللافتة التي جذبت انتباهه هو الآخر ويتأملها ويقرأ ما عليها، وتمتم لنفسه بصوت قد سمعه محمد:

(أهلًا بكم في قريةً المنشاوي، أعزائي الكرام، هنا حياة جديدة ترحب بكم، هنا السعادة، هنا الأمل، هنا الحب، هنا الحياة).

بعد إعادة قراءتها عدة مرات، توجه الأستاذ سعيد إلى صديقه وسأله من فعل هذه اللافتة الجميلة، فأخبره أن هناك شاب أخبره أنها فتاة من أهل القرية، ولكنه لم يعلم إلى الآن من هي هذه الفتاة.

- أريدك أن تعلم لي في أقرب وقت، إنني بحاجة ماسة إليها.
- حسنًا سيدي.

ركن الأستاذ سعيد عربته داخل القرية، فوجد مصابيح القرية تنير جميع شوارع القرية.

ظل يتأمل القرية رويدًا رويدًا، شوارعها النظيفة وحدائقها الخلابة، وأشجارها، ويستنشق رائحة الياسمين التي تنتشر في كل مكان، فنظر إلى صديقه، وسأله هل حقًا أهل هذه القرية كانوا يعانون من الفقر!

وتابع:

- كل ما أراه الآن جميل جدًا، الذي أخبرتني به والذي أراه الآن شيء آخر!
- نعم هو كذلك يا صديقي، فالقرية وأهل القرية تبدل حالهم كثيرًا وهذا بفضلك أنت.

ثم صمت وكأنه يتذكر شيء، وسأله إن كان قد أراه على صور القرية عندما التقطها في أول يوم ذهب فيه إلى القرية، فأومأ الأستاذ سعيد برأسه بعدم الموافقة، وقال في لهفة:

- أريد أن أراها الآن..

فأخرج الأستاذ محمد هاتفه من جيبه وهم يمضون قدمًا وفتح صور القرية، وظل يريه صورة صورة؛ فصُعق الأستاذ سعيد عندما رأى

حال القرية وأهلها من قبل، ولم يستطع أن يكمل باقي الصور فقلبه لم يتحمل ذلك وربت على ظهر صديقه بحنان ودعا له.

فقال الأستاذ محمد:

- أيضًا لم يكن عندهم مصابيح، كانت القرية بعد حلول الليل شديدة الظلام.
- ليجعل الله كل ما فعلته في ميزان حسناتك يا محمد.

ولكنه تعجب عندما لم يجد شخصًا خارج البيت، فقد كان السكون يعم جميع القرية بأكملها والطرقات، فنظر لصديقه وسأله عن سر هذا الهدوء، فأخبره أنهم بعد صلاة المغرب الكل يذهب إلى بيته لتناول وجبة العشاء لأنهما ينامون مبكرًا، ويشرعون في عملهم بعد صلاة الفجر. فأعجب الأستاذ سعيد بذلك، وقال:

- إذًا إنهم يتمتعون بصحة جيدة وعلى فطرتهم التي خلقهم الله عليها.
- نعم هم كذلك، رغم شدة الفقر التي كانوا عليها.

وأكمل فرحًا:

- فإن أجسامهم قوية!
- حسنًا وأين العيادات؟

فأجابه:

- في آخر هذا الممر.

سأله الأستاذ سعيد متعجبًا:

- هل جميعهم في ممر واحد؟
- نعم.
- كيف ذلك؟ وكم مساحة القرية؟
- إنها كبيرة جدًا سيدي.

تنهد الأستاذ سعيد وأخرج زفيرًا هادئًا، وسأله لماذا لم يجعل العيادات متفرقة في جميع القرية، لإلا يتعب سكانها الذين يسكنون بعيدًا عنها..

فأخبره الأستاذ محمد أنه لم تخطر على باله هذه الفكرة، وأنه جعلهم يبنون جميع العيادات في هذا الممر لأنه فارغًا ولم يُبنَ بداخله شيء.
وتابع:
- والمشفى من هنا بعد نصف ساعة مشيًا على الأقدام.
ظل الأستاذ سعيد صامتًا ولم يتفوه بكلمة وهو يشعر بالغضب تجاه صديقه، لا يدري ماذا يقول له ففضل الصمت وكتم غيظه لكي لا يقول له شيء يحزنه، فهذا اليوم مهم بالنسبة له وأيضًا فهو قد قام ببناء العيادات وانتهى الأمر. الكلام لا يغير شيئًا، ثم سأله عن بيت العروس فتوجه الأستاذ محمد إلى طريق البيت وأشار بيده إلى هناك فنظر إليه الأستاذ سعيد في سعادة، وقال:
- قد حان الوقت يا صديقي.
- نعم إنه كذلك!
طرق الأستاذ محمد البيت وقلبه يرقص فرحًا من شدة سعادته، ويشعر أيضًا بتوتر بالغ ولكن طمأنه صديقه بنظراته الحنونة.
بعد أن طرق محمد باب البيت فتحت هويام بعد أن ارتدت فستانها وخمارها عندما علمت أن الأستاذ محمد من يطرق الباب، فتعجبت عندما رأت بين يديه علبة الهدايا كبيرة..
حل الصمت على اثنيهما وكان كل منهما لا يدري ماذا يقول، فقطع هذا الصمت الأستاذ سعيد عندما قال:
- كيف حالكِ يا ابنتي؟ هل تفضلتِ بإحضار أحد من محارمك؟
نظرت هويام في ارتباك، ثم أخبرته أنه لا يوجد أحد من محارمها الآن، ولكن سيجد عمها في البيت المجاور لبيتهم.
وعندما انتهت هويام من كلامها سمعت عمها يصيح من الخلف، ويقول:
- من أنتم؟ ولماذا أتيتم في هذا الوقت من الليل؟
فنظر الأستاذ محمد خلفه، وعندما رآه عمها عرفه فتعالت السعادة على وجهه ثم اقترب منه وصافحه، فسأله ابو الفضل وهو ينظر إلى الأستاذ سعيد عن سبب زيارته في هذا الوقت من الليل..

شعر الأستاذ محمد بالخجل الشديد واحمر وجهه بشدة، فشعر صديقه بذلك، فقال:

- إننا أتينا يا عم لأمرٍ فيه خير، ولكن نود أن نجلس، هل تقبل استضافتنا؟

نظر إليه أبو الفضل في غضبٍ وعندما أراد أن يوبخهم لإتيانهم في هذا الوقت، أسرعت هويام قائلة وهي تشير بيديها إلى الداخل

- نعم تفضلوا الآن ما دام عمي قد أتى..

نظر إليها عمها في عتابٍ، وأخبرها أن تدخل الى الداخل وتحضر ثلاث مقاعد.

تعجبت هويام من ذلك وظلت واقفة في مكانها في خجل لا تدري ماذا تقول لعمها، فصاح فيها عمها مرة أخره فذهبت مسرعة وأحضرت ثلاث مقاعد ووضعهم أبو الفضل خارج البيت وأمر الضيوف بالجلوس، وأخبرهم أن عليهم أن يسرعوا من أمرهم لأن وقت نومه قد أتى.

نظر الأستاذ سعيد إلى صديقه في عتابٍ فهو لا يعلم أن أهل القرية لا يستقبلون أحدًا بعد صلاة العشاء، وأن هذا موعد نومهم، ثم توجه إلى أبا الفضل، واعتذر له بشدة على إتيانهم في هذا الوقت، وأخبره أنه لا يعلم أن هذا وقت لا يستقبلون فيه أحدًا.

نظر إليه أبو الفضل وظل يضحك بشدة، ثم قال مستنكرًا:

- والذي يجلس بجانبك لا يعلم أيضًا!

اعتذر إليه الأستاذ محمد وهو يشعر بالخجل من كلامه، وأخبره أنه قد نسي أنهم ينامون مبكرًا لأن من عادتهم في المدينة أنهم ينامون في وقت متأخر.

- ولكنك جئت إلى القرية ومكثت فيه أكثر من شهر!

فأسرع الأستاذ سعيد قائلًا وهو يربت على كتف ابا الفضل:

- نعتذر لك مرة أخرى أيها العم الطيب، سنذهب الآن ونأتي غدًا إن كان مناسبًا في الوقت الذي تريده.

نظر إليه ابو الفضل في صمت مفكرًا ثم أومأ برأسه موافقًا كلامه وأخبرهم أن يأتيان الساعة الواحدة ظهرًا.

تقدم الأستاذ محمد بالهدايا التي أتى بها لهويام إلى ابا الفضل، وأخبره أنه قد أتى بها من أجل الزيارة ولا يصح له أن يرجع بها مرة أخرى
أبى ابو الفضل أن يأخذ منه شيئًا وأخبره أنه يجب أن يتعلم أولًا أن يستأذن الناس عندما يأتي لزيارتهم وما المواعيد المناسبة لهم.
صُعق الأستاذ محمد من كلامه مطأطئًا رأسه في خجل محاولًا كتمان غيظه، فهو لا يتحمل الإهانة بهذه الطريقة. مد الأستاذ سعيد يده لابا الفضل مصافحًا له، و أخبره أنه سيأتي غدًا في الوقت المتفق عليه ثم ربت على كتف صديقه محاولًا أن يخفف عنه.
بعد ذهاب الأستاذ سعيد والأستاذ محمد، طرق ابو الفضل الباب فتقدمت ضي بفتح الباب وصاح بأعلى صوتٍ أن تأتي إليه هويام في الحال، فذهبت مسرعةً وهي تشعر بالحزن مما رأته وسمعته من عمها من الشرفة، وعندما ذهبت إليه تقدم إليها قائلًا:

- لماذا يا ابنتي الجميلة تفتحين الباب في هذا الوقت من الليل؟ ألم تعلمي أن هذا الوقت لا نستقبل فيه الضيوف؟

أخبرته هويام أنها بعدما علمت أن الذي يطرق باب البيت الأستاذ محمد، جاء في خاطرها أنه قد يريد شيئًا مهمًا لأنه ليس من أهل القرية!

- أعلم يا ابنتي ولكن فضلًا.. لا تفعلي ذلك مرة أخرى
- حسنًا يا عمي.

ذهب أبو الفضل إلى بيته وهو يشعر بالحزن الشديد لما فعلته ابنة اخيه، ولكن هو يعلم أنها فعلت ذلك بحسن نية، لذلك لم يوبخها فهي أيضًا تسكن في قلبه ويعاملها كأميرة مدللة له هي واختها، ويحاول أن يعوضهما غياب ابيهما، لذلك يخاف عليهم بشدة حتى من نفسه، فعندما يغضب يخفي غضبه بداخله ولا يجعلهم يشعرون بذلك محاولًا دائمًا التعامل معهم برفق ولين.
بعد مرور ساعة ونصف..
تجلس نور في حزن وهي تنظر من الشرفة تتأمل جمال الطبيعة من حولها والأشجار والورود التي تطل من حديقة القصر، تتذكر ما حدث معها بالأمس في حلقة القرآن الكريم وما ألقته الفتاة على

مسامعها من نصح، فهي لا تتقبل النصيحة من غيرها مهما كانت ترى نفسها دائمًا أنَّ ما تفعله صحيح، ولا ترتكب اي خطأ، كيف ذلك يا نور والكمال فقط لله!
ولكن هي لا تشعر أن ذلك غرور ولا تتقبل فكرة أنها بشر ولديها ما لديها من عيوب مثل بقية الناس.
ترى أن جمالها والثراء الذي تعيش فيه يفوق كل شيء، وأنهما الأهم في الحياة لذلك أصبحت مغرورة ولا تشعر بذلك.
وعندما كانت جالسة في الشرفة رأت والدها يأتي بعربته متوجهًا إلى القصر فذهبت مسرعة لاستقباله، وأخبرته بحماس أنها قد اشتاقت إليه كثيرًا..

- وأنا أيضًا يا ابنتي

ثم توجه الأستاذ سعيد إلى غرفة النوم وجلس على مضجعه بعد أن قام بتغيير ملابسه وأجلس نور على قدميه وهو يمسح على رأسها ويقبلها ويقول لها في أذنيها:

- ابنتي الجميلة يا ذات الوجنتين الزاهرتين، لقد خطفتِ قلب أباكِ منذ أن أتيتِ إلى هذه الحياة

نظرت له نور في دلال وهي تبتسم بخبث، وقالت مازحة:

- نعم يا والدي إنه كذلك.

ثم تابعت باسمة:

- لو لم آتِ إلى هذه الدنيا، ماذا كنت ستفعل من غيري!

ظل الأستاذ سعيد يضحك على كلام ابنته، ثم أخبرها أنه لا يتخيل الحياة بدونها، ثم تابع باسمًا:
ولكن أخبرني هل هذه ثقة أم غرور؟
ظلت نور تضحك وعم صوت ضحكاتها جميع أنحاء القصر وأجابته:

- إنها ثقة يا والدي فأنا اعلم قيمة نفسي جيدًا.
- حقًا؟ إن ثقتك الزائدة ستقودك إلى الغرور يا ابنتي، لذلك احذري.

***

توجه الأستاذ محمد إلى بيته الذي تركه منذ فترة، وقام بقفل باب المنزل وراءه بشدة وشرارة الغضب تخرج من داخله وهو يتفوه بكلمات ليست مفهومة ويضرب الطاولة بقدميه، ويرمي ما عليها على الأرض ويكسر كل شيء من حوله، ثم بعد ذلك توجه إلى غرفة

نومه ورما بنفسه على سريره وهو يتصبب عرقًا من شدة غضبه، محدثًا نفسه:

- كيف يستقبلني بهذا الاستقبال؟ ألم يعلم من أنا! وهل نسي كل ما فعلته معه من خدمات وما قمت به في القرية التي يسكن بداخلها!!

ثم شرع في نوم عميق بعد تفوهه بهذا الكلام.

يجلس الأستاذ سعيد في غرفة مكتبه بعد أن نامت ابنته في سبات عميق وهو يغني لها الأغنية التي تحبها.

وبعد دقائق دخلت الخادمة حكمة بكوب الشاي بعد أن طرقت الباب وأذن لها بالدخول، فوجدت الأستاذ سعيد شاردًا في أمر ما وهو ينظر إليها فشعرت بالخجل وظلت واقفة ولم تتفوه بكلمة، فعم الصمت بينهما وعندما همت بالخروج بعدما وضعت كوب الشاي أمامه، توقفت قدمها عندما سألها الأستاذ سعيد عن الموعد الذي سيأتي فيه أخوها سيف من أجل زيارتها، فأخبرته في خجل أنه سيأتي أول الأسبوع القادم

تبسم الأستاذ سعيد، وأخبرها أن تخبره قبل أن يأتي بيوم أو يومين بمجيئه لأنه يريده في أمر مهم، فأومأت برأسها موافقةً دون أن تتفوه بكلمة.

جاءت الخادمة حكمة إلى قصر الأستاذ سعيد منذ اثنى عشر عامًا وعدة أشهر، بعد أن رأته حاملًا ابنته نور بين يديه ويبكي على قبر زوجته بعد أن تم دفنها بساعاتٍ وهو يتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة من شدة ألمه الذي طبعً على قلبه. عندما كانت هي أيضًا تقوم بزيارة زوجها الذي رحل عنها بعد شهر من الزواج وهي صامدة محتسبة الأجر من الله.

***

الفصل السابع

نتفاوت جميعنا في الألم والحزن عندما نفقد عزيز علينا، ولكن منا من يترك هذا الألم يكبر معه مع الأيام والسنوات، فلا يشفي جراحه ويظل يتعذب بقية حياته من شدة ألمه الذي تركه يكبر معه.. ومنا من يحتسب الأجر عند الله ويعلم أن الفقد من سنن الحياة؛ فيصبح قوياً بالله رغم ’لامه التي بداخله.

في صباح اليوم التالي يستيقظ الأستاذ محمد بعد شروق الشمس على صوت العصافير العذب، وهو يتذكر مذكرته التي تركها تحت وسادته منذ آخر مرة ترك فيها بيته، فمسح النوم من عينه وقام بفتح شرفة الغرفة ليتسلل نور الصباح في جميع الغرفة، ثم قام بفتح مذكرته الخالية من أي كلمة باستثناء أول ورقة كان مكتوب عليها بخط واضح كوضوح الشمس:

(الحب أعمى قد يجعل صاحبه يضر حبيبه دون أن يشعر، لذلك لا تتعلق بمن تحب لكي لا تتهور يا بني)

توقيع من أمك الحبيبة.

فتذكر أمه عندما كانت تكتب له هذه العبارة لكي لا يعلق قلبه بأحد مهما كان حبه لهذا الشخص، وهو يدعو لها بالرحمة والمغفرة، ثم قام بتقليب الصفحة التي تليها للمذكرة ودون بداخلها:

- عشقتكِ منذ أول لحظة رأيتكِ فيها يا ذات البشرة السمراء والعيونِ الخضراء الجميلة، أَحببتك وأحببت روحك الجميلة ونظرات عيونك الساحرة.

إن للغة العيون سحر عندما يقع القلب في الحب، ولكن لن يفهم هذه اللغة إلا محب صادق.

توجه الأستاذ محمد إلى المرآة وبدأ بتصيف شعره الناعم الذي تتدلى بعض خصلاته على وجهه، ثم وضع كريم الوجه على بشرته الخمرية

وبعد ذلك قام بارتداء قميصة الأبيض على بنطاله الأسود.

أصبح له شكل جذاب يسحر كل من يراه بجمال طوله، وجسمه النحيل بعض الشيء، وبعد ذلك ظل يبتسم لنفسه وهو ينظر في المرآة ويحدث نفسه بخبث:

- شاب وسيم مثلي لا يتكرر جماله ولن يتكرر حتمًا ستقع هويام في حبه، ثم صمت برهة، وتابع وهو يضحك بأعلى صوت:

- هذا إذا لم تقع في حبي!

بعد ذلك توجه إلى عربته الخاصة ذاهبًا بها إلى الشركة وهو يرفع رأسه بفخرٍ شديد، وبعد وصوله إلى هناك وجد الأستاذ سعيد يقف عند باب الشركة ينتظره، فقام باستقباله وهو منبهر بوسامته وكأنه أول مره يراه في حياته فعانقه، وقال باسمًا:

- ما هذا الجمال الذي أراه؟

ضحك الأستاذ محمد وسأله باسمًا:

- كأنك أول مرة تراني يا صديقي! ألم تلحظ أنني جميل منذ أن تعرفنا على بعضنا البعض!
- نعم هكذا يا صديقي، ولكن هذه المرة يظهر عليك وسامة أكثر جاذبية!

فأجابه مازحًا:

- نعم هو كذلك، إن وسامتي تطغى على كل شيء..

ضحك الأستاذ سعيد وهو يربت على كتفه، وأخبره أنه دائمًا يفاجئه بكلامه هو وابنته نور، وأنه لا يعلم إذا كانت هذه ثقة بداخلهم أم غرور!

تبسم الأستاذ محمد ولم يتفوه بكلمة، ثم توجه إلى ناحية العمال وقام بالإشراف عليهم كعادته وهم يقومون بصنع الملابس.

ثم توجه الأستاذ سعيد إلى مكتبه وظل يوقع على بعض الأوراق، وبينما هو كذلك تذكر ما أخبره به صديقه عن العيادات التي قام ببنائها جميعها في نفس الممر، فظل يفكر ماذا يمكنه أن يفعل ولكن لم يصل لشيء، فعقله مشوشًا كثيرًا من ناحية صديقه الذي يسعى دائمًا لإسعاده ودخول السرور عليه لأنه أمانة أمه وأبيه، ومن ناحية أخرى عمله وما يفكر فيه من ناحية الخادمة حكمة وابنته نور.

في صعيدٍ آخر..

تقف نور في غرفتها أمام المرآة تغني من شدة فرحتها، وبين يديها فستانها الجديد الذي ستذهب به إلى حفلة المدرسة.

بعد أن قامت بارتدائه جلست أمام المرآة مرة أخرى وتزينت ببعض الحُلي وقامت برفع شعرها، ثم أنزلت على وجنتيها بضعة من خصلات شعرها الأسود.
عندما رأتها الخادمة حكمة اندهشت من جمالها الجذاب، ثم نهضت نور وتلفتت حولها في سعادة بفستانها كسندريلا، وقالت فرحة:
- إنني سأكون أجمل فتاة في هذه الحفلة أيتها الخادمة حكمة
وظلت تضحك بصوت مرتفع
اقتربت منها الخادمة حكمة وهي تبتسم ثم قامت بتقبيلها على وجنتيها وعانقتها بشدة، واخبرتها أن تكون فتاة لطيفة ولا تفعل شئ يضايق الآخرين، ثم غمزت لها بعينيها وهي تقول:
- يا أجمل فتاة رأيتها في حياتي.
أومأت نور برأسها موافقة وقامت بتوديع الخادمة حكمة، ودلفت إلى باص الحفلة.
توجه الأستاذ سعيد والأستاذ محمد إلى دكان ابو الفضل في تمام الساعة الواحدة ظهرًا كما أخبرهما، وبعد ذهابهما إلى هناك وجدا دكان أبو الفضل مغلقًا وعليه لافتة صغيرة مكتوب عليها:
مغلق الآن، تعال في وقتٍ آخر.
تعجبا من ذلك وظلا ينظران إلى بعضهما البعض في دهشة، وظهر على وجه الأستاذ محمد الحزن وقال:
- هل يسخر منا هذا الرجل!
لكن طمأنته نظرات صديقه الحنونة وأخبره أن عليه أن يتحلى بالصبر في مثل هذه الأشياء، لأن عمل الخير دائمًا يحتاج إلى الصبر إذا أراد الوصول إليه وإتمامه على أكمل وجه. خصوصًا الزواج..
ثم سأل الأستاذ سعيد الدكان الذي بجانب أبا الفضل عنه، فأخبره أنه لم يفتح الدكان اليوم، وهذه أول مره تحدث معه من عدة سنوات فتعجب الأستاذ محمد وخطر على باله أنه من الممكن أن يكون قد فعل ذلك عقابًا له بسبب أنه أتى له البارحة في وقت نومه!
ثم قطع تفكيره صياح ابو الفضل من خلفه عندما قال:

- حللتم سهلًا، لقد أنرتم القرية بأكملها

انطبعت السعادة على كليهما ثم تقدم إليه الأستاذ محمد ومن خلفه الأستاذ سعيد، فنظرا بين يديه طاولة كبيرة، فنظر الأستاذ محمد والأستاذ سعيد إلى بعضهما البعض دون أن يتفوها بكلمة وحل الصمت بينهما، ثم قام ابو الفضل بوضع طاولة الطعام بجانب الدكان وهي تفوح منها رائحة الطعام الشهي ثم توجه إليهما، وصافحهما بشدة، وأخبرهما أنه يعتذر على تأخره.. فقد كان مشغولًا ببعض الأشياء.

ثم قال:

- تفضلا بتناول الطعام إنه لذيذ سيعجبكما كثيرًا.

ظل الأستاذ محمد ينظر إليه في تعجب محدثًا نفسه:

- لمَ كل هذه السعادة؟ هل يظن أننا فقراء لم نأكل مثل هذا الطعام من قبل! فقطع شروده الأستاذ سعيد عندما قال:

- يكفي رائحته، إن رائحته تخبر عن جماله ما شاء الله.

ما أجمل الأشياء الواضحة التي لا تحتاج أن تفعل من أجلها مجهود لكي تظهر لك معدنها، فهي واضحة كالقمر في شدة ظلام الليل الذي اكتمل وأصبح بدرًا

بعد أن كشف ابو الفضل عن الطعام تعجب الأستاذ سعيد والأستاذ محمد من أنواع الأسماك المختلفة التي لم يروها من قبل، وكان من بينهم سمك من النوع النادر اسمه "بقرة البحر" وسلحفاة.. فهذا لم يكن موجودًا في مدينتهما ولا أحد من أهل المدينة يعرفه.

بعد أن شعر أبو الفضل باندهاشهما، أشار إليهما بتناول الطعام ثم قال:

- تفضلا أرجو أن يعجبكما.

بعد تذوق الأستاذ محمد والأستاذ سعيد الطعام أعجبهما كثيرًا وقد ظهر على وجههما السعادة البالغة، وشكرا ابا الفضل على ذلك وسألاه من أين يأتي بهذه الأنواع من الأسماك، فأخبرهما أنه يصطادهم من البحيرة، لذلك تأخر في فتح الدكان اليوم.

ذهب في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر من أجل الصيد وبعد ذلك ذهب إلى ابنة اخيه هويام لكي تطبخه.
ظهر على وجه الأستاذ محمد السعادة وصاح بأعلى صوتٍ:
- إذًا هويام هي من أعدت هذا الطعام! إنه حقًا لذيذ.
لم يتمالك الأستاذ سعيد وابو الفضل نفسهما وظلا يضحكان عليه فشعر محمد بالخجل الشديد، ثم قال:
- لا تأخذوني، تفاجأت فقط عندما أخبرتني أنها من صنعته
نظر إليه أبو الفضل في حزم، وسأله متعجبًا:
- ولِمَ المفاجأة! انت لا تعلم شيئًا عن ابنة اخي، إنها ماهرة جدًا، وتابع:
- حتى أنها من فعلت لافتة الترحيب على بوابة القرية بخط يدها
ثم رفع حاجبيه، وتابع:
- أم أنك تحكم على الناس دون أن تتعامل معهم؟
أخبره الأستاذ سعيد بعدما شعر بالانزعاج من رده على صديقه بهذه الطريقة أنه لا يقصد ذلك، ولكن هو سعيد أنها تستطيع أن تصنع الأكل بهذه المهارة لأنه يحب الطعام كثيرًا، وأيضا أتى لكي يطلب يدها منك على سنة الله ورسوله.
نظر إليه أبو الفضل في تعجب، وقال...
تجلس الخادمة حكمة أمام المرآة تصفف شعرها الأملس الطويل الذي ينسدل إلى آخر ظهرها، وبينما هي كذلك إذ بها تتذكر يوم زواجها الذي مرة عليه عدة سنوات من الشاب الذي أحبته بصدق، وانتظارها له لفترة من الوقت إلى أن بنى نفسه، وبعد كل هذا تفقده بعد زواجهما بشهر. ورغم ذلك هي صابرة تحتسب الأجر من الله.
كيف لشخصية مثل الخادمة حكمة التي تغلبها العاطفة في كل شيء تأتي بكل هذا الصبر! وكأنه يوجد شيء وراء ذلك لا نعرفه وأيضًا يمر عليها اثنى عشر عامًا بعد رحيل زوجها رحمه الله ولا تفكر في الزواج وترفض أي عريس يريد التقدم لها، وكأن لسان حالها يقول:
(إن الله يخبئ لي الأفضل).

وبينما هي كذلك قطع شرودها صوت طرق الباب فظلت ماكثة في مكانها للحظات قبل أن تتسارع دقات قلبها في أمل، فهي تعرف من هو الشخص الذي يطرق الباب بهذه الطريقة، ثم قالت في سعادة بالغة:

- يبدو أنه قد أتى..

أسرعت كي تفتح باب القصر بعد أن تأكدت أنه هو، فقالت في فرح شديد:

- أنت إذًا يا اخي! لقد اشتقت إليك كثيرًا
- ولكن قد زال الاشتياق الآن يا اختي
- نعم يا اخي معك حق، ولكن كنت أخبرتني أنك ستأتي اليوم وليس الأسبوع القادم لكي أصنع احتفالًا صغيرًا برجوعك

وتابعت باسمة:

- وأيضا الطعام الذي تحبه

ظل سيف يضحك، ثم قال:

- كل هذا من أجل رجوعي! لو كان يوم زفافي ماذا كنتِ ستفعلين؟
- انوِ فقط الزواج وأنا سأفعل لك وليمة لم يفعلها أحد من قبل

حك سيف ذقنه بأطراف أصابعه بهدوء وظل ينظر إلى اخته بطرف عينه دون أن يتفوه بكلمة، لأنه أيضًا لا يفكر في الزواج الآن فهو يريد أن يبني حياته أولًا وبعد ذلك يفكر في الزواج.

ذهبت الخادمة حكمة إلى المطبخ لإحضار الطعام لأخيها وذهب خلفها وظل يتحدث معها، وطال بينهما الحديث، ثم أخبرته أن الأستاذ سعيد عندما يرجع إلى البيت ويجده سيفرح كثيرًا.

وتابعت:

- كان قد سألني عنك وأخبرته أنك ستأتي الأسبوع القادم.

تنهد سيف، وقال:

- إن امتحانات الجامعة بعد شهرين يا اختي، لذلك أتيت اليوم لكي أكون معكم لعدة أيام

عانقته اخته، وقالت:

- خيرًا فعلت.

ثم استأذن سيف اخته بعد تناول الطعام أنه سيذهب إلى غرفته لكي يأخذ قسطًا من الراحة.

نظرت إليه الخادمة حكمة بدلال وقالت عابسة:

- حسنًا يا اخي، يبدو أنك قد مللت مني سريعًا!

ظل سيف يضحك وهو يقبل رأس اخته، ويقول:

- ستظلين كالطفلة كما أنت يا حكمة، لن تكبري أبدًا، مع أن عمرك الآن الثامنة والثلاثون!
- نعم هو كذلك يا اخي، كلما تقدم عمري عامًا، أحدث نفسي قائلة: سأكون أعقل من العام الماضي، ولكن أتفاجأ أنني لا أكبر أبدًا.

ظلا حكمة وسيف يضحكان وملأت ضحكاتهما أركان القصر.

***

الفصل الثامن

ستظل هذه الذكريات محفورة بداخلنا إلى الأبد، لذلك اترك دائماً ذكريات جميلة بينك وبين أحبتك.

نظر ابو الفضل إلى الأستاذ محمد وأخبره أنه عندما رآه ومعه علبة الهدايا بالأمس وأتى معه صديقه، علم أنه أتى لطلب يد هويام لذلك كان قاسيًا معه بعض الشيء، لكي يرى هل سيأتي مرة أخرى لطلب الفتاة أم من أول اختبارٍ له لن يأتي مرة أخرى، ثم صمت قليلًا ونظر إليه مرة أخرى، وسألهُ عن الشيء الذي جذب ابنة اخيه إليه لكي يطلب يدها، لأن بنات الأغنياء يملأن المدينة عنده. أومأ الأستاذ محمد برأسه

ثم أخبره أنه يرى هويام لا تشبه بنات المدينة وأن فيها شيئًا مختلفًا عنهن، وتعجبه ملابسها كثيرًا لأنها فضفاضة وهو يحب ذلك كثيرًا.

أعجب ابو الفضل بكلامه وظل يفكر قليلًا، ثم سأله عن الشيء الذي سيفعله من أجل أن يأخذها زوجة له..

رد عليه الأستاذ محمد سريعًا وأخبره أنه سيفعل كل شيء من أجلها، وإن طلبت روحه سيعطيها لها.

ضحك ابو الفضل على كلامه، ثم أخبره أن البدايات دائمًا تجعل الإنسان ينظر في الأفق، ثم بعد ذلك يهبط سريعًا، ثم تابع باسمًا:

- لا تترك البدايات تجعلك تبالغ يا بني

ثم أبلغه أنه لايريد روحه بل يريد أخلاقه ومعاملاته الحسنة وعلاقته بربه، وتابع:

- ما الذي ستفعله ابنة اخي بروحك إن لم تكن تتميز بهذه الصفات!

ثم أشار بيديه وأخبرهما أن هذا الزمن انعدمت فيه الأخلاق، لذلك أول شيء يريده من الرجل الذي سيتزوج ابنة أخيه أن يعاملها معاملة حسنة كأميرة على عرش قلبه، ثم صمت برهة وأبلغه أن عربته وبيته الكبير لن ينفعا ابنة اخيه بشيء إن لم يكن يعاملها معاملة طيبة.

- ابنة اخيك ستكون أمانة عندي يا عمي، لا تقلق سأكون نعم الزوج لها.

- حسنًا، أتمنى ذلك، ولكن يجب أن آخذ رأي ابنة اخي أولًا.

ثم أخرج ابو الفضل ورقة من جيبه وسأله أن يكتب عنوان بيته، وعمله، واسمه بالكامل في هذه الورقة.

نظر الأستاذ محمد في تعجبٍ وحدث نفسه:

- إن هذا الرجل غريب الأطوار!

لأنه كان يظن أنه سيرحب به أكثر من ذلك عندما طلب منه يد ابنة اخيه، لأنه غني وذا منصب عالٍ وما فعله مع أهل قريته ليس بقليل.

بعد أن قام الأستاذ محمد بكتابة جميع ما طلب ابو الفضل، أعطاه الورقة و قام بتوديعه هو والأستاذ سعيد، وبعد أن ذهبا تقدم إلى صديقه وأخبره أنه يبالغ بعض الشيء في موضوع الطلبات التي طلب منه أن يكتبها في الورقة.

- لم يبالغ يا صديقي، أنا لدي ابنة وأعلم جيدًا لماذا يفعل ذلك، غدًا عندما تكون لديك ابنة ستتذكر كلامي.

تنهد الأستاذ محمد، وأخرج زفيرًا هادئًا، وأخبره أنه واثق أن هويام ستوافق عليه وإن وصل بها الحال أنها تعارض عمها إن لم يوافق عليه ستفعل ذلك دون أن تتردد.. ثم تابع كلامه وأخبره أنه سيذهب غدًا إلى القرية لكي يراها.

نظر إليه صديقه في تعجب، ثم قال:

- هل ستذهب من أجل أن ترى هويام؟
- نعم سأفعل ذلك
- لا تتهور يا محمد، الرجل قال لك أنه سيخبر ابنة اخيه أنك طالب يدها على سنة الله ورسوله، أعطِهم الوقت إلى أن يردوا عليك لكي لا تفعل شيئًا تندم عليه.
- وما الذي سأندم عليه؟ إنني واثق أن هويام تحبني!
- إذًا ما الذي يقلقك؟ اصبر إلى أن يرد عليك عمها، وتابع كلامه:
- وأيضًا أريدك بجانبي غدًا إلى آخر اليوم، لأن غدًا الأعمال كثيرة.

أومأ محمد برأسه موافقًا على كلامه وهو غير مقتنع بما قاله صديقه، ثم توجه إلى الشركة لإتمام عمله وعندما كان واقفًا كعادته يشرف على عمال الشركة أخرج مذكرته من جيبه وقام بتدوين:

- لقد عشقتكِ وعشقت اللحظات التي رأيتكِ فيها.

ثم نظر في الصفحة الأول من المذكرة وقام بقراءة كلام أمه عدة مرات..

(الحب أعمى قد يجعل صاحبه يضر حبيبه دون أن يشعر، لذلك لا تتعلق بمن تحب لكي لا تتهور يا بني).

ثم صمت قليلًا وقال يحدث نفسه:

- أعدك بأنني لن أتهور يا أمي، ولن أذهب غدًا لرؤيتها وسأستمع لنصيحة صديقي العزيز.

توجه الأستاذ سعيد إلى قصره بعد رجوعه من القرية لكي يأتي ببعض الأوراق قبل ذهابه إلى الشركة، ولكن بعد أن وضع يده في جيبه لم يجد مفاتيح القصر، وعندما أراد أن يذهب لكي يبحث عنها في عربته تذكر أنه قد نساها في القصر على مكتبه، فقام بطرق الباب وعندما فتح الباب انطبعت الدهشة والسعادة على وجهه في آنٍ واحد عندما وجد سيف هو من فتح باب القصر.

فظل ينظر له لكي يتيقن أنه حقيقة وليس في حلم، فقطع شروده سيف قائلًا بلهفة:

- لقد اشتقت إليك يا والدي!
- وأنا كثيرًا يا بني، تعال إلى هنا

أخذه الأستاذ سعيد في حضنه وظل يربت على ظهره في حنان، وقال في سعادة:

- ما هذه المفاجئة يا بني؟ متى أتيت؟
- منذ الصباح
- أهلا وسهلًا بك في بيتك مرة أخرى
- أهلًا يا والدي الحبيب

قال ذلك وهو يضمه بشدة، وبعد دخولهما إلى القصر، جلس الأستاذ سعيد وبجانبه سيف وأخبره أنه كان يريده في أمر مهم وأنه أخبر أخته حكمة بذلك، وتابع كلامه:

- ألم تخبرك اختك بذلك!

ردت عليه حكمة سريعًا

- اعذرني سيدي إنني نسيت أن أخبره بذلك، أخبرته فقط أنك سألت عليه

وتابعت باسمة وهي تغمز لسيف بعينيها:

- كدت أنسى اسمي أيضًا عندما تفاجأت أنه أتى

ضحك الأستاذ سعيد على كلام حكمة، ثم قال:

- لا أريد أن تكون سببًا لفقد اختك ذاكرتها..

تعالت ضحكاتهم أركان القصر، ثم ذهب الأستاذ سعيد بعد قليل إلى مكتبه وقام بأخذ بعض الأوراق والمفاتيح وأخبر سيف أنه سيتحدث معه في الأمر المهم بعد رجوعه من العمل.

بعد ذهاب الأستاذ سعيد من القصر بحوالي ساعتين ونصف، رجعت نور من حفلتها وهي في غاية السعادة والسرور، فقامت الخادمة حكمة بالترحيب بها وسألتها كيف كانت حفلتها..

ظلت نور تقص عليها كل ما حدث معها في الحفلة بالتفصيل كعادتها، ولكن الخادمة حكمة كانت ترحب بذلك بشدة وتقوم بسؤالها عن كل شيء فهي تعتبرها كابنة لها، كيف لا وهي من ربتها منذ نعومة أظافرها، حتى أنها تخاف عليها أكثر من نفسها.

وبينما هما كذلك سمعت نور صوت أقدام تقترب من الغرفة، فصمتت قليلًا، ثم قالت بصوت منخفض:

- هل يوجد أحد في القصر غيرنا؟

وتابعت كلامها في خوف:

- اليوم إجازة لكل من يعمل في القصر، إنني أشعر بالخوف.. يبدو أن هناك حرامي تسلل إلى القصر!

ضحكت الخادمة حكمة على كلامها، وقالت:

- لا تخافي يا صغيرتي

وعندما أرادت أن تخبرها بأن أخاها سيف قد أتى، وجدته أمامها وهو يخفي وجهه بقناعٍ أسود، ويقول:

- نعم إنني أنا الحرامي يا نور الذي تسلل إلى القصر

ارتعبت نور وقامت برمي نفسها في أحضان الخادمة حكمة وهي تصرخ، فقام سيف بنزع القناع من على وجهه وهو يضحك بأعلى صوت

فنظرت إليه اخته في عتاب، وقالت:

- لقد أرعبت الفتاة يا اخي، لا تفعل ذلك مرة أخرى من فضلك
- لا عليكِ أيتها الخادمة، إنني لم أتفاجأ هذه المرة. في كل مرة يأتي يقوم بفعل أشياء غريبة كالأطفال!

ضحك سيف، وقال:

- لقد مرت عدة أشهر لم أركِ، لقد كبرتِ يا نور!
- نعم إنني كبرت وعقلت أيضًا، ولكنك تكبر ولا تعقل أبدًا. يظل عقلك صغير كما هو.

وتابعت:

- وأيضًا حركاتك الجنونية لم تتخلَ عنها أبدًا، ويبدو أنك لن تتخلى!

ضحك سيف من كلامها، وقال:

- نحتاج إلى بعض الجنون في هذه الحياة البائسة يا نور.
- أنت فقط تبرر أفعالك الجنونية.

قالت نور ذلك وهي تصعد المصعد متوجهةً إلى غرفتها

سيف الأخ الوحيد لدى الخادمة حكمة فهي من ربته بعد رحيل أمها وابيها، وأحسنت تربيته وساعدها الأستاذ سعيد في ذلك بعد أن جاء إلى قصره..

رغم صغر سنه إلا أنه شخص صارم وشخصيته قوية، كل من يراه يهاب منه ويخافه، قوي البنيان عريض القامة، من يراه يقسم أنه شخص في أواخر العشرينات من عمره، صعب، ولكن مع أهل بيته والقريبين إلى قلبه غير ذلك، يتميز بروح الفكاهة معهم ويصنع من الملح سكر، حتى عندما كان الأستاذ سعيد يضطر للمبيت في عمله

وسيف موجودًا عنده، كان يترك القصر وأهل بيته أمانه عنده وهو مطمئن لأنه كان يثق فيه بشدة ويراه رجلًا.
توجه سيف إلى أخته، وقال:
- إن نور إلى الآن تقول لكِ خادمة! لم تتخلَ عن هذه الكلمة؟ إني ظننت مع الوقت أنها ستناديكِ بأمي!
نظرت إليه اخته في عتاب، وأخبرته أنها لن تكون بمثابة أمها مهما كان، وسألته أن يترك الفتاة تقول ما تشاء
أومأ سيف برأسه موافقًا دون أن يتفوه بكلمة بعد أن أدرك أن أخته على حق.
ترك ابو الفضل دكانه دون أن يغلقها، وتوجه إلى بيت ابنة اخيه بعد ذهاب الضيوف من عنده، وطرق الباب فقامت هويام بفتح الباب فاندهشت عندما رأت عمها بين يديه صندوق الهدايا الذي أتى به الأستاذ محمد البارحة وحدثت نفسها قائلة:
- إذًا قد أتى في المعاد الذي أعطاه له عمي، ظننت أنه حزن ولن يأتي مرة أخرى!
فقطع ابو الفضل شرودها بعد أن دخل إلى الداخل وأخبرها أن تخبر أمها أن تأتي وتجلس، لأنه يريد أن يخبرهم بشيء مهم، وبعد دقائق كانت هويام وأمها جالستين أمام ابو الفضل، فنظر إليهم ابو الفضل في صمت وطال صمته قليلًا، فقالت هويام قاطعةً هذا الصمت الذي استحوذ على ثلاثتهم:
- ما الأمر يا عمي؟ إن الفضول كاد يقتلني
- تعالي إلى جانبي يا ابنة اخي..
بعد أن جلست هويام بجانب عمها، أخبرها أن الأستاذ محمد أتى لكي يطلب يدها على سنة الله ورسوله، وأخبرها أنه مهندس وأنه يعمل في شركة صديقه الذي أتى معه بالأمس، وتابع كلامه:
إنه أيضًا كما نعلم ساعد أهل قريتنا، وجعل الخير يعمر القرية بأكملها وتركهم لا يحتاجون لشيء، وذكرها أنه من أنقذها من الموت عندما كان غائبًا عن القرية، ظلت هويام تنصت إلى عمها هي وأمها، ثم قالت والدتها:
- نعم لقد أنقذ حياة ابنتي من الموت، فأنا مدينة له
فأومأت هويام برأسها موافقة كلام أمها، ثم قالت:

- نعم وأنا مدينه له بروحي يا عمي.

فربت عمها على كف يدها، وقال:

- كل ما ظهر لنا من الأستاذ محمد يوحي بالخير.

وأكمل كلامه:

- ولكن يجب أن نعلم كيف تكون معاملته لأقرب الناس إليه.

وأخبرها أنه لا يعرف من أين يأتي الخير، وأن عليها بالاستخارة والدعاء واللجوء إلى الله، وأن تدعو الله أن يظهر لها هذا الشخص على حقيقته، وأنه سيأخذ بالأسباب وسيسأل عليه في كل مكان وضع قدمه فيه.

- حسنًا يا عمي سأفعل ذلك بإذن الله.

ترك أبو الفضل هويام وذهب إلى دكانه مرة أخرى بعد أن أعطاها صندوق الهدايا الذي أتى به الأستاذ، ثم توجهت هويام إلى غرفتها بعد أن وضعت الصندوق على مكتبها دون فتحه وهي تشعر بضيق شديد لا تعلم سببه وقد ظهر على وجهها ذلك، فذهبت أمها خلفها وسألتها عن سبب ظهور الحزن على وجهها فأخبرتها هويام أنها لا تعلم.

ابتسمت أمها وسألتها مازحة أن الرجل أنقذها من الموت، وأتى لكي يطلب يدها ثم رفعت حاجبيها متعجبةً وتابعت:

- وأنتِ حزينة بدل أن تفرحين!

تنهدت هويام وأخرجت زفيرًا هادئًا وأخبرت أمها أنها تتعجب من ذلك، لأنها لا تعلم لماذا شعرت بالضيق والخوف بعدما أخبرها عمها أن الأستاذ محمد يريد الزواج منها.

أخذتها أمها في حضنها وظلت تمسح على رأسها، وقالت:

- لا عليكِ يا صغيرتي، دائمًا التجارب والأشياء الجديدة تجعلنا نشعر بالخوف في بدايتها، لا تنسِ أنكِ شعرتِ بذلك أيضًا عند دخولك الجامعة لأول مرة.
- نعم يا أمي إنه كذلك، ولكن كل فتاة عندما يتقدم لها عريس تكون سعيدة.

ربتت أمها على رأسها بحنانٍ وأخبرتها أن شعورها بالخوف أمر طبيعي، وهي أيضًا شعرت بالخوف عندما طلب والدها يدها من جدها رحمه الله، ولكن بعد أن أتم الزواج شعرت معه بالأمان والحب لم تشعر بمثلهما من قبل، وتابعت:

- أحبني لدرجة لا تتخيليها يا ابنتي. كان يفعل المستحيل لأجل أن أكون سعيدة.

ثم نزلت دموعها على وجنتيها بغزارة وهي تقول:

- ليرحمه الله.

نظرت هويام إلى أمها في حزنٍ وهي تتذكر والدها، فقد كان نعم الاب لها، كانت تُدعى ابنة ابيها في جميع القرية بسبب حسن معاملته وتدليله الشديد لها.

وفي يومٍ كانت هويام تجلس على مائدة الطعام وسألت اباها وأمها من الذي سماها هويام، فظل ابوها وأمها ينظران لبعضهما البعض ثم وضع والدها الطعام من يديه واقترب منها ووضع يده على وجنتيها، وأخبرها هامسًا في أذنيها بصوتٍ قد سمعته أمها أنه من سماها هذا الاسم الجميل، فسألته هويام عن معنى اسمها فنظر ابوها إلى أمها في حبٍ شديد، وقال:

- هويام يعني شدة الحب والعشق الخالص.

أفاقت هويام من شرودها ونظرت إلى أمها وقلبها يتمزق حنين على ابيها.

***

الفصل التاسع

دائماً يرحل الأشخاص وتظل الذكريات الجميلة محفورة داخل القلب.. لذلك عليك أن تترك ذكرى جميلة يتذكرك بها غيرك بعد مماتك.

بعد انسدال ظلام الليل توجه الأستاذ سعيد إلى قصره بعد الانتهاء من عمله وهو يشعر بحماس شديد بما سيخبر به سيف، ثم بلغ نور أن تخبر سيف أنه ينتظره في غرفة المكتب، وبعد دقائق طرق سيف باب الغرفة فأذن له الأستاذ سعيد بالدخول وأخبره أن يتفضل ويجلس على المقعد الذي أمامه، ثم صمت قليلًا وهو يضع بعض الورق في مكتبه وسيف ينظر إليه ويترقبه في صمت.

ثم قال الأستاذ سعيد باسمًا:

- أريد أن أطلب منك يد اختك على سنة الله ورسوله..

فنظر إليه سيف في تعجبٍ لعله يعي ما يقوله، ثم قال:

- هل تمزح معي يا والدي؟

تبسم الأستاذ سعيد وأجابه متعجبًا:

- ولمَ المزاح يا بني؟ أنا أطلب يدها حقًا!

تعالت ضحكات سيف من شدة فرحته وقام من على المقعد الذي يجلس عليه، ثم قال:

- حقًا يا والدي! هل تريد الزواج من اختي؟!

ابتسم الأستاذ سعيد وأومأ برأسه موافقًا، وقال:

- حقًا يا سيف، ماذا أفعل أكثر من ذلك لكي تصدقني؟

أخبر سيف أباه أنه سعيد بذلك، وأنه سيذهب الآن لكي يخبر اخته أنه يريد الزواج منها، لأنه لا يستطيع الانتظار أكثر من ذلك وستفرح كثيرًا بهذا الخبر.

توجه الأستاذ سعيد إلى سيف ثم قام يربت على ظهره، وقال:

- أكثر ما يعجبني فيك أنك دائمًا تحب الخير لغيرك، وتفرح لغيرك، وكأن هذه الفرحة من فرحتك..
- إنها اختي يا سيدي، وأنت الرجل الذي رباني كل تلك السنوات من الطبيعي أن أفرح بهذه الطريقة

قال ذلك وهو يحتضن أباه ثم ذهب.

ولكن سيف من طبيعته أنه يحب الخير لغيره حتى وإن كان هذا الخير ليس لأحد من أفراد أسرته، لأن الله أنعم عليه بقلب طاهر

سليم لم يُخدش بأي مرض من أمراض القلوب، فهو على فطرته السليمة التي خلقه الله عليها.
ذهب سيف إلى اخته سريعًا يكاد قلبه يرقص من شدة الفرح، فوجدها واقفة في المطبخ تعد العشاء فأمسك بمعصمها وأخبرها أنها يجب أن تأتي معه إلى غرفتها في الحال، لكي يخبرها بشيءٍ سيسعدها كثيرًا فتعجبت اخته من ذلك، وقالت:

- اترك يدي يا اخي دعني أعد الطعام أولًا!
- لا يا اختي، تعالي معي أولًا، سأخبركِ بشيءٍ سيجعلك سعيدة طوال حياتكِ

ذهبت الخادمة حكمة إلى غرفتها بصحبة سيف وأخبرها وهو تظهر على وجهه السعادة البالغة أن الأستاذ سعيد يريد الزواج منها على سنة الله ورسوله.
صُعقت اخته من كلامه وظلت تحملق بعينيها لعلها تعي ما يقوله، ثم قال باسمًا:

- إن والدي يريد الزواج منكِ

وتابع:
لماذا تنظرين هكذا؟ هل أقول شيئًا غريبًا!
فسألته حكمة غير مصدقة:

- هل حقًا يريد الزواج مني؟!

فأومأ سيف برأسه موافقًا، وأخبرها أن والده حقًا يريد الزواج منها على سنة الله ورسوله.
وأكمل:

- ألم تسعدي بذلك؟

نظرت إليه حكمة بعد أن طُبعت السعادة على وجهها، ثم قامت من أمامه دون أن تتفوه بكلمة متوجهة إلى المطبخ تعد باقي الطعام، فذهب سيف خلفها وهو ينظر لها في تعجبٍ، ثم قال بعد صمتٍ طال بينهما:

- ألن تقولي شيئًا يا اختي؟

فنظرت إليه اخته باسمةً، وقالت:

- مثل هذه المواضيع تحتاج إلى تفكير. دعني أفكر وأخبرك بقراري

وتابعت:

- خذ هذا الطعام وضعه على الطاولة، وأخبر أباك أن يأتي لكي يتناول العشاء

بعد أن ذهب سيف لكي يضع الطعام على الطاولة ظلت حكمة تبتسم في خجلٍ محدثةً نفسها:

- حقًا هل يريد الأستاذ سعيد الزواج مني؟

وبعد أن وضع سيف جميع الطعام على المائدة، توجه إلى ابيه وأخبره من خلف باب الغرفة أن يأتي لتناول العشاء، وبعد قليل كان الأستاذ سعيد يمكث على رأس المائدة بجانبه سيف، وظل منتظرًا قليلًا أن تأتي الخادمة حكمة كعادتها لتناول الطعام، ولكنها لم تأتِ، فظل سيف يترقبه بطرف عينه، ثم سأله:

- والدي، ألن تتناول العشاء؟

فنظر إليه، وقال:

- لماذا لم تأتِ حكمة؟
- إنها لا تريد، يبدو أنها ليس لديها شهية.

فنظر إليه في تعجبٍ وحدث نفسه قائلًا:

- تلك أول مرة تحدث بعد أن جاءت القصر!

ثم سأله قائلًا:

- وهل أخبرتها بطلبي؟
- نعم.
- وماذا قالت:
- ستفكر في الأمر

فسأله الأستاذ سعيد ما علاقة تناول الطعام بطلبه، وأنه اعتاد أن تكون جالسة معه على نفس المائدة..

- يبدو أنها تشعر بالخجل الشديد يا والدي.

تنهد الأستاذ سعيد وأخرج زفيرًا هادئًا، وقال:

- حسنًا، معها حق أن تخجل!

ثم أشار بإصبعه إلى سيف، وقال:

- ولكن إنني على عجله بمعرفة قرارها، لذلك أخبرها أن تأخذ قرارها سريعًا.

بعد تناول الطعام..

ظل الأستاذ سعيد جالسًا في غرفته داعيًا الله أن توافق حكمة بالزواج منه، ولكن لم يعرف النوم له طريقًا هذه الليلة إلى أن سمع أذان الفجر، فذهب كعادته لأداء صلاة الفجر في المسجد المجاور لقصره.

وبعد شروق الشمس تستيقظ الخادمة حكمة على صوت تغريد العصافير العذبة التي تأتي من حديقة القصر، فقامت من على مضجعها مسرعةً وهي تفتح الشرفة، لتطل رائحة الريحان التي تنبعث من الحديقة إلى داخل الغرفة، ثم قالت:

- يا الله! قد أشرقت الشمس وأنا لم أستيقظ لأداء صلاة الفجر في موعدها! ثم حدثت نفسها قائلة في عتاب:
- لقد كبرتِ يا حكمة وخرفتِ كثيرًا، كيف تتركين موعد صلاة الفجر يفوتك!

ثم ذهبت مسرعة إلى أداء صلاة الصبح، وقامت بتحضير الفطور ولكنها تعجبت من عدم استيقاظ الأستاذ سعيد إلى الآن، فقامت بإيقاظ سيف وأخبرته أن يذهب لكي يقوم بإيقاظه.

ذهب سيف وقام بطرق باب غرفة النوم عدة مرات وهو يشعر بالخجل الشديد، ولكن لم يرد عليه، فتعجب من ذلك وشعر بالقلق الشديد عليه ثم ذهب مسرعًا وأخبر اخته بذلك، فشعرت بالخوف هي أيضًا وذهبت إلى غرفة مكتبه وقامت بطرق الباب ولكن لم يرد عليها أيضًا، فازداد خوفها عليه وقامت بفتح باب غرفة مكتبه، ولكنها لم تجده فتوجهت إلى اخيها وأخبرته أن يقوم بفتح باب غرفة نومه لعله يكون نائمًا في سُباتٍ عميق ولا يسمعه.

ولكن كانت المفاجئة أنه ليس موجودٍ أيضًا، فذهبت الخادمة حكمة لكي توقظ نور لكي لا تتأخر على ذهابها للمدرسة، وأخبرت سيف

أن يبحث عنه في الطابق العلوي للقصر، وإن استدعى الأمر أن يبحث في جميع أنحاء القصر يفعل ذلك.

ظل سيف يبحث في كل طابق من القصر إلى أن وصل للطابق السابع من القصر ولكنه لم يجده، فذهب إلى اخته لكي يخبرها بذلك فسمع نور تتأفف وتقول بصوت مرتفع:

- لا أريد الاستيقاظ والذهاب إلى المدرسة اليوم، اتركوني وشأني. لماذا كل يوم تزعجوني وتوقظوني من نومي؟

فشعر سيف بالغضب، وحدث نفسه قائلًا:

- لماذا تتحدث هذه الفتاة بهذه الطريقة مع اختي!

ثم صاح بأعلى صوتٍ أن تأتي له اخته فهو لا يصح له دخول غرفة نور لأنها ليست صغيرة.

توجهت إليه اخته، وقالت:

- هل وجدته يا اخي؟

فنظر إليها في غضب، وقال:

- لم أجده يا اختي، وقال بصوت مرتفع لكي تسمعه نور:
- ولكن لماذا هذه الفتاة تتحدث معك بهذه الطريقة!

أخبرته اخته في عتابٍ أن يخفض صوته لكي لا يحزن الفتاة، لأنها ليست من عادتها التحدث معها بهذه الطريقة وأنها تحترمها كثيرًا، ولكنها لا تعلم ما الذي حدث لها هذه المرة، وتابعت:

- لا تنسَ أنها بمثابة اختٍ لك.

خرجت نور من غرفتها، وقالتٍ بعد أن عقدت حاجبيها:

- ليس لك شأن، أتحدث معها كما أريد.

غضب سيف بشدة وكاد أن يوبخها، ولكن أخذته اخته بعيدًا عن الغرفة وأمرته أن يضع عقله بعقل الفتاة، وعليه أن يذهب الآن لكي ينظر إلى عربة ابيه إن كانت في الخارج أم لا.

- حسنًا يا اختي.

ذهب سيف إلى الخارج وهو يشتعل غضبًا، ثم توجه إلى المكان الذي يترك فيه الأستاذ سعيد عربته، ولكن لم يجدها فذهب وأخبر

اخته بذلك، فشعرت بالقلق الشديد.. ثم ذهبت إلى غرفتها وظلت تنظر للفراغ من حولها وتفكر، ثم سألت نفسها:

- أين ذهب هذا الرجل؟ أم أنه ذهب إلى شركته مبكرًا اليوم!

ظل عقل الخادمة حكمة في شتاتٍ إلى أن سمعت سيف يتحدث مع نور ويبلغها أن اخته هي من تبقت له من عائلته، لذلك لا يريد أن يسمعها مرة أخرى تتحدث معها بهذه الطريقة.

ظلت نور تضحك بسخرية، ثم قالت:

- يبدو أنكما نسيتما أنكما خدامين لدينا، ولكن تريدان من يوقفكما عند حدكما!

سمعت الخادمة حكمة هذا الكلام فنزل على قلبها كالصاعقة، فتوجهت حكمة إلى سيف لكي لا يحدث بينهما مشاجرة، وقامت بإمساكه من معصمه متوجهةً به إلى المطبخ، وقالت:

- خذ هذا الطعام واذهب به إلى الشركة، وأعطه إلى ابيك، يبدو أنه قد ذهب اليوم إلى عمله مبكرًا، وتابعت كلامها بصوتٍ منخفض:
- لا اريدك أن تتدخل مرة أخرى بيني وبين نور، ولا تنسَ أن أباها من رباك!

تنهد سيف ونظر إلى اخته بغضبٍ، وقال:

- هل تريدين عندما أسمعها تتحدث معكِ بهذه الطريقة أن أجلس هناك ولا أفعل شيئًا؟!
- ليس بإمكانك فعل أي شيء يا اخي، من فضلك اذهب الآن..

وتابعت عابسةً:

- لا أريد التحدث معك في هذا الموضوع مرة أخرى.

تنهد سيف وأخذ الطعام من اخته دون أن يتفوه بكلمة، ثم تذكر والتفت إلى أخته وسألها:

- وماذا عن موضوع والدي؟ هل أخذتِ قرارك؟
- سأخبرك في المساء عندما يعود والدك.

بعد ذهاب سيف إلى الشركة توجه إلى مكتب الأستاذ سعيد وقام بطرق الباب عدة مرات، ولكنه لم يرد عليه أحد، فتوجه إلى السكرتيرة وسألها عنه، ولكنها أخبرته أنه لم يأتِ بعد.
فظل ينظر يمينًا ويسارًا باحثًا عن الأستاذ محمد لعله يعرف مكان اباه، فتوجه إلى السكرتيرة مرة أخرى ليسألها عنه، فوجد الأستاذ محمد يخاطبه من الخلف قائلًا:

- إنني هنا يا سيف.

فتوجه إليه سيف مسرعًا وصافحه، ثم سأله الأستاذ محمد هل أتى من أجل زيارة اخته

- نعم ومن أجل والدي أيضًا
- ومتى أتيت؟
- البارحة.

تبسم الأستاذ محمد ابتسامة خبيثة، ثم قال:

- هل تريد شيء يمكنني مساعدتك به؟

أخبره سيف أنه أتى لرؤية والده ولكنه لم يجده في الشركة، ثم سأله إن كان يعرف أين ذهب.
تعجب الأستاذ محمد من ذلك وأخبره أنه لم يأتِ بعد إلى الشركة، وسأله بعد أن انطبعت الدهشة على وجهه كيف يأتي ويسأل عليه وهو يمكث معه في نفس القصر! وأخبره أنه يجب من يسأله عنه وليس هو!
تنهد سيف وأخرج زفيرا هادئًا متجاهلًا كلام الأستاذ محمد وهو يشعر بالخوف الشديد على ابيه ولا يدري ماذا يفعل، فحاول الاتصال عليه مرة أخرى ولكن وجد هاتفه ما زال مغلقًا، فقرر المكوث في الشركة بعض الوقت لعله يأتي.
أدرك الأستاذ محمد أن سيف أتى معه بالطعام فاقترب منه، وسأله:

- لمن هذا الطعام؟
- إنه فطور والدي

رفع الأستاذ محمد حاجبيه في تعجبٍ، وقال:

- هل خرج من قصره دون أن يتناول الفطور أيضًا؟ هذا غريب!

وتابع:

- كيف لاختك أن تهمل عملها لدرجة أن يخرج الأستاذ سعيد دون أن تشعر بخروجه؟ وأيضًا دون فطور!

نظر إليه سيف في تعجبٍ وأخبره أن اباه عندما يريد أن يفعل شيئًا ليس من الواجب أن يأتي في كل مرة ويخبر اخته بذلك! ثم قال:

- أنسيت أننا من نعمل عنده وليس هو من يعمل عندنا؟

نظر إليه الأستاذ محمد في غضبٍ وأخبره أنه يعلم جيدًا أنه خادم عنده، وليس له مستقبل مشرق. سيظل خادمًا طوال عمره ليس مثله..

الأستاذ محمد المهندس الذي يحترمه كل من حوله!

ولكنه صُدم عندما صاح الأستاذ سعيد بأعلى صوتٍ من خلفه في عتابٍ ودهشة من طريقة كلامه مع سيف، وأخبره أنه لا أحد أفضل من أحد إلا في التقوى، وأنه لا يعامل أحدًا ممن يعملون عنده كخدم، بل كل فرد يعمل عنده بمثابة اخٍ له، وأنه يساعدهم بهذا العمل فصاح العمال موافقين كلامه قائلينَ:

- ليرضى الله عنك، لم نشعر يومًا أنك تختلف عنا في شيءٍ وكأنك فرد منا

ثم أشار الأستاذ سعيد بيده، وقال:

ولكي ينال الإنسان احترام الآخرين لا يجب أن يكون ذا منصبًا عاليًا، ولكن بأخلاقه الجميلة وتواضعه يجذب الناس إليه، وتابع قائلًا:

- إن سيف ابني الذي ربيته مع ابنتي نور، لا فرق بينهما، وأيضًا هو لا يعمل عندي لأنه مازال يدرس، ولكي تعرفوا جميعكم.. احترام سيف من احترامي.

قال ذلك هو ينظر للأستاذ محمد بغضب شديد، هكذا يكون الأستاذ سعيد عندما يحاول أحد إهانة أحدًا من أفراد عائلته.

توجه سيف إلى ابيه بعد أن قال هذا الكلام وعانقه بشدة، وأخبره أنه قلق عليه كثيرًا عندما لم يجده في القصر، ثم أعطاه الطعام، وقال:

- إن اختي أخبرتني أن أعطيك هذا الطعام لكي تفطر

شعر الأستاذ سعيد بسعادة بالغة، وقال:

- إن اختك لا تنساني أبدًا!

فنظر إليه الأستاذ محمد، وقال:

- ألم تأتِ لهذا القصر لكي تهتم بشئونك؟ إنها فقط تقوم بعملها.

فقال الأستاذ سعيد لسيف متجاهلًا حديث الأستاذ محمد متوجهًا إلى مكتبه:

- أريدك أن تأتي معي يا بني..

ذهب سيف مع ابيه إلى مكتبه وترك خلفه الأستاذ محمد يشتعل غضبًا، ثم قام الأستاذ سعيد بوضع الطعام على المكتب وهو يشعر بالسعادة من رائحته الشهية، ثم نظر إلى سيف وقام بوضع بعض الطعام أمامه وأخبره أن يتناول معه الفطور، ولكن سيف رفض وأخبره أن هذا الفطور له فقط، ولكن الأستاذ سعيد أصر عليه لكي يتناول معه.. وبعد تناول الطعام قال الأستاذ سعيد:

- هل قالت لك حكمة عن قرارها؟

- أخبرتني أنها ستخبرني بقرارها بعد رجوعك من العمل

قام الأستاذ سعيد من على مقعده بعد أن أخبره سيف بذلك وعلى وجهه السعادة، وقال مازحًا:

- إذًا سأعود الآن إلى البيت.

نظر إليه سيف وهو يضحك محدثًا نفسه:

- يبدو أن الحب يجعل الإنسان لا يستطيع التحكم في أفعاله، وإن كان هذا الشخص صاحب منصب كبير!

ثم شعر بتوتر شديد وتمتم ببعض الكلمات منها أنه يتمنى من الله أن توافق اخته لكي لا تتحول كل هذه السعادة إلى حزن، وتابع:

- ولكنني متأكد أنها ستوافق.

قطع شروده الأستاذ سعيد عندما ربت على كتفه وأخبره أن يظل معه إلى أن ينتهي من العمل، وبعد ذلك يذهبان معًا إلى البيت.
رحب سيف كثيرًا بهذه الفكرة وظل جالسًا مع ابيه.
كان هناك من يشعر بالغيرة من قرب سيف الشديد للأستاذ سعيد، فإن الأستاذ سعيد يحب سيف بشدة ويعامله كابن صغير له فهو كبر وترعرع بين أحضانه بعد أن التقى بالخادمة حكمة عند قبر زوجها وهو يزور عشيقته نهى رحمها الله، وعلم بكامل قصتها وأخبرها أنه يريد مربية لابنته، رحبت كثيرًا بالأمر ولكنها أخبرته أن لديها أخ يبلغ من العمر ثمانية أعوام، ولا تستطيع تركه في أي مكان، فإن أرادها أن تعمل عنده يجب أن تأخذ معها أخاها، فوافق الأستاذ سعيد على ذلك. وبالفعل بعد أن أتت الخادمة حكمة بأخيها إلى القصر أحبه الأستاذ سعيد كثيرًا وقام بتعليمه أفضل تعليم وأحسن معاملته وتربيته، وكان يعامله كابنٍ له ولم يفرق أبدًا بينه وبين ابنته نور في المعاملة، فأخذ سيفٌ من طباع الأستاذ سعيد قوة الشخصية فكان كل من يتعامل معه يضع ألف حساب، وفي الوقت نفسه كان رحيمًا بالضعفاء ويحب مساعدة المحتاجين ويحب الخير لكل من حوله.
لكن بعد أن التحق بالجامعه تركهم وأخذ بيتًا قريبًا من جامعته؛ لأن المسافة بين الجامعة والقصر كبيرة جدًا. قرر في هذه المرحلة الاعتماد على نفسه في كل شيء، حتى عندما كان الأستاذ سعيد يريد أن يعطيه المال لكي يدفع مصاريف الجامعة يرفض بشدة ذلك ويخبره أنه سيقوم بدفعها من كسب يده.
بعد عدة ساعات قرر الأستاذ سعيد أن يرجع هذه المرة من عمله مبكرًا عن المعتاد وعلى وجهه ابتسامة لم تفارق وجهه منذ أن خرج من شركته، وكأنه أيقن أن الخادمة حكمة موافقة على الزواج منه. وبعد وصولهما إلى القصر انتظر سيف الأستاذ سعيد أن يفتح باب القصر بمفتاحه كعادته ولكن الأستاذ سعيد أشار إليه بيديه بأن يطرق هو الباب، ففهم سيف ما يريده الأستاذ سعيد من ذلك وبعد أن

طرق سيف الباب عدة مرات قامت الخادمة حكمة بفتح الباب سريعًا وهي تسأله عابسةً:

- كل هذا الوقت توصل الطعام يا اخي؟ لقد قلقت عليك.

فأخبرها سيف أنه كان يقوم بمساعدة والده في بعض الأعمال

قال ذلك بينما يخرج الأستاذ سعيد من خلفه فشعرت حكمة بالخجل، وأسرعت إلى الداخل وهي تقول لاخيها بصوت قد سمعه الأستاذ سعيد:

- سألقنك درسًا لن تنساه يا اخي!

ظل الأستاذ سعيد يربت على كتف سيف وهو يضحك ويقول:

- لقد نجحنا يا بني.

فأومأ سيف برأسه موافقًا، ثم أخبر اباه أنه سيذهب خلف اخته لكي يعلم منها قرارها، ولكن تشبث الأستاذ سعيد بذراعيه وأخبره مازحًا أن يسألها بعد تناول العشاء لكي لا تنسد شهيتها مرة أخرى أو تشعر بالخجل ولا تأتي من أجل تناول الطعام.

ضحك سيف وأومأ برأسه موافقًا.

بعد قليل كان الأستاذ سعيد يمكث على رأس المائدة وبجانبه سيف منتظرين أن تأتي اخته بالطعام، وبعد بضع دقائق كان الطعام أمامهما ثم جلست الخادمة حكمة على الكرسي الذي أمام الأستاذ سعيد كعادتها وساد الصمت بينهم جميعًا.

ظلت حكمة تنظر بطرفي عينيها إلى الأستاذ سعيد وهي تشعر بالخجل الشديد منه، وكان الأستاذ سعيد يشعر أن حبيبته تشعر بالخجل لذلك لم يتفوه بكلمةٍ واحدةٍ محاولًا تجاهلها فظلت نور تنظر لهما في صمت، ثم قالت بسخرية:

- لماذا يحل الصمت هكذا على الطاولة؟ إنني أشعر بالملل!

ثم نظرت إلى أبيها، وتابعت:

- هل هناك شيء ما يا والدي؟

فنظر الأستاذ سعيد إلى الخادمة حكمة وقامت هي أيضًا بنظر إليه في آنٍ واحد، ثم قال سيف سريعًا:

- لا يوجد شيء يا نور.

نظرت إليه نور غير مصدقة، ثم قالت:

- أتمنى ذلك..

***

بعد تناول العشاء ذهب سيف إلى اخته فوجدها جالسة على حافة سريرها ويظهر على وجهها الحزن، فتوجه إليها متعجبًا، وقال:

- ماذا بكِ يا اختي؟ لماذا اراكِ حزينة هكذا؟
- ليس هناك شيء يا اخي.
- كيف ذلك يا أختي؟ إن وجهكِ عابس ويظهر عليه الحزن الشديد!
- أخبرتك يا أخي أنه لا يوجد شيء

تنهد سيف، وقال:

- وماذا عن قرارك بشأن الأستاذ سعيد؟

قامت حكمة من على مضجعها متوجهةً إلى شرفة غرفتها، ثم أخرجت زفيرًا حانقًا، وقالت هادئة:

- لست موافقة يا اخي

صُعق سيف من كلامها، وسألها مندهشًا:

- هل أنتِ متأكدة مما تقولينه يا اختي؟

أردفت إليه حكَمة في غضبٍ وقالت بعدما حدقت بعينيه:

- نعم، أنا لست موافقةً على هذا الزواج، وأرجوك اخرج الآن من غرفتي!

ظل سيف ينظر لها في حزنٍ لا يدري ماذا يقول، فشخص مثل الأستاذ سعيد لا يُرفض وأيضًا هي تعرفه جيدًا، ولكن هل هناك سبب جعل حكمة ترفض هذا الزواج؟

فكلنا نعرف الأستاذ سعيد ونحبه بشدة، لا أحد تعامل معه أو سمع عنه، أو تحدث عنه في مكانٍ ما لم يحبه.

جلست الخادمة حكمة أمام الشرفة تبكي بعد ذهاب اخيها من عندها وكادت دموعها لا تفارق عينيها من كثرة البكاء، وتمزق قلبها من شدة الألم بينما ذهب سيف إلى الأستاذ سعيد وهو يشعر بارتباكٍ شديد ويظهر على وجهه الحزن، فهو لا يدري كيف سيخبر أباه بقرار اخته

وهو منذ قليل كان سعيدًا وعلى عجلةٍ لكي يعرف بقرارها وكأنه أيقن أنها موافقة.

أبطأ سيف من حركته وتمنى أن تنشق الأرض وتبلعه وهو في طريقه إلى ابيه لكي يخبره بقرار اخته، وعندما رأى الأستاذ سعيد

ملامح ابنه وطريقة مشيته تيقن أن حكمة ترفض الزواج منه، ولكن حاول عدم إظهار حزنه أمام سيف، وقبل أن يخبره سيف بقرار اخته سبقه الأستاذ سعيد، وقال:

- ليست مشكلة يا سيف، حصل ما هو خير.

ثم توجه إلى غرفته وأغلق علي نفسه الباب دون أن يعطي فرصة لسيف ليخبره بشيء لأنه لا يستطيع سماع ذلك.

توجه سيف مرة أخرى إلى أخته فوجدها قد أغلقت باب الغرفة، فقام بطرق الباب ولكنها لم تجبه وقامت بمسح دموعها التي تدفقت على وجنتيها بشدة، ثم دلفت إلى سريرها وظلت محدقة في الفراغ من فوقها تتذكر وقوف الأستاذ سعيد بجانبها في كل شيء كان يحدث لها، فشرعت في البكاء مرة أخرى وهي تتذكر كل شيء قبل أن تغلق جفونها المرهقة ويغلبها النعاس.

***

الفصل العاشر

وسادتي من تشهد بأحزاني.

إن البكاء عنده شدة الألم يهون على صاحبه بعض الشيء ويجعله يشعر براحة نفسية شديدة خصوصًا إن تخلى عنه أقرب الناس إليه في لحظة ضعفه..

ولكن البكاء والحزن قبل النوم يصيبك ببعض الأمراض النفسية مع الوقت، لذلك أنصحك أن تفعل شيئًا يجعلك تشعر بالسعادة قبل الخلود إلى النوم حتى وإن كان قلبك يتمزق من شدة الألم. أخبرك بذلك يا صديقي لأنني أخاف عليك كثيرًا وأعرف حقيقة هذا الألم.

في غرفة الأستاذ سعيد ظل شاردًا طوال الليل يفكر عن سبب رفض حكيمة الزواج منه.

وفي الصباح الباكر بعد شروق الشمس يجلس الأستاذ سعيد على طاولة بداخل المطبخ يعد لنفسه الفطور فهذه أول مرة يفعل فيها الفطور بعد إتيان حكمة إلى القصر، وبينما هو كذلك سمع صوت أقدام تقترب من المطبخ فخرج لكي يرى من هذا الشخص فوجده حكمة أمامه فأصابه صدمة بالغة عندما وجد وجهها أصفرًا وشفتيها زرقاوتين وعينها منتفخة ووجنتيها حمراوتين من شدة البكاء فظل ينظر إليها وطالت نظراته قبل أن تتسارع دقات قلبها، وهي تنظر إليه متعجبة لم تتوقع أنه يقف في المطبخ في هذا الوقت، فتركته وأسرعت بالذهاب إلى غرفتها، ولكنها توقفت عندما قال:

- ما الذي حدث لكِ يا حكمة؟

فأجابته شاردة دون أن تلتفت إليه:

- لا شيء.

فتقدم إليها وهو يشعر بالخوف الشديد عليها، وقال:

- كنتِ تبكين..

فقالت وهي تنظر إلى الأرض"

- ولماذا سأبكي؟

فقاطعها متعجبًا:

إنني لا أسألكِ يا حكمة. إنني أخبركِ أنكِ كنتِ تبكين وأيضًا بكيتِ كثيرًا

رفعت حكمة عينها إلى الأستاذ سعيد وظلت تنظر له في صمت ثم تركته وذهبت، فذهب الأستاذ سعيد خلفها وأخبرها أن تتوقف وتخبره لماذا كانت تبكي.

ظلت حكمة صامتة قليلًا تفكر، ثم قالت:

- كنت أبكي على زوجي رحمه الله

صُعق الأستاذ سعيد من ذلك وظل ينظر إليها في صمتٍ، وحدث نفسه قائلًا:

- كيف تبكي عليه الآن وهو قد توفي من أكثر من عشرة أعوام؟ أمرٌ غريب!

فقطع شروده عندما قالت:

- كان كل شيء بالنسبة لي، ظللت أتذكر جميع الذكريات التي كانت بيننا في المساء، لذلك كنت أبكي بحرقة وأصابني ما تراه..
- وهل هذا ما جعلكِ ترفضين الزواج مني؟

نظرت إليه الخادمة حكمة في إعياء شديد وظلت تمسك رأسها من شدة الألم. شعر الأستاذ سعيد أنها ليست بخير فسألها إن كانت بخير أم لا وما أن انتهى من سؤاله وجدها وقعت أمامه مغشيًا عليها فاقدة الوعي، فصاح بصوتٍ عالٍ قد سمعه جميع من في القصر أن يحضر الأطباء سريعًا، فقام سيف مفزوعًا من نومه وجاء أطباء القصر سريعًا عندما سمعوا صياح الأستاذ سعيد وقاموا بفحصها بعد أن وضعوها في غرفة الإسعافات، ظل الأستاذ سعيد وسيف خارج الغرفة يدعيان الله أن تكون بخير، ولكنه كان يفكر في كلامها لأنه لم يقتنع أن بكائها بسبب تذكرها لزوجها الراحل، وحدث نفسه قائلًا:

- هل تبكي على زوجها بهذه الطريقة الهستيرية بعد مرور كل تلك السنوات؟ أم أنني وضعت يدي على جرحها عندما طلبت الزواج منها؟

ظل الأستاذ سعيد يسير جيئة وذهابًا محدثًا نفسه وكأنه يحدث شخصًا آخر:

- إذًا إنها لم توافق لأنها تحن إلى زوجها! ثم صمت برهة، وتابع:
- ولكن هل ستظل باقي عمرها هكذا ولن تتزوج!

تشوش عقل الأستاذ سعيد كثيرًا من كثرة التفكير فهو ليس مقتنع مما قالته حكمة، ولكنها أيضًا صادقه مع نفسها إن كان الموضوع غير ذلك حتمًا كانت ستخبره عندما قام باستجوابها.

ممكن لشخص واحد فقط الاستحواذ على قلبك ويجعلك لا تتقبل العيش مع غيره، وإن كان قد رحل عنك إلى الأبد فقط لأنه استحوذ على قلبك وترك خلفه شيئًا ما بداخلك قد حُفر في أعماق قلبك.

دلف الأستاذ سعيد وسيف إلى الغرفة وهما فيه غاية السعادة عندما أخبرهما الطبيب بأن الخادمه حكمة فاقت من إغمائها وأنها أصبحت أفضل عن ما سبق..

فجلس سيف بجانبها وأمسك يدها وأخبرها أنها أخافته كثيرًا وشعر بالقلق الشديد عليها، ثم سألها مازحًا والأستاذ سعيد يشاهد ذلك:

- تعلمين لو كان أصابك مكروه يا اختي، لأصابني الجنون واحتُجزت في مشفى المجانين.

فقالت مازحة:

- أنت لا تحتاج أن يصبني شيء لكي تُحتجز في مشفى المجانين، حتى أن صغيرتي نور شاهدة على ذلك.

فظل الجميع يضحك وعلت ضحكاتهم أنحاء الغرفة وكأن حكمة لم تكن حزينة منذ قليل، قد نسيت حزنها وكل شيء عندما ضحك وجه أحبتها

لا أريد من هذه الدنيا سوى أن يكون أحبابي بخير.

ترك الأستاذ سعيد سيف مع اخته وذهب إلى شراء الدواء الذي قد كتبه لها الطبيب واللحم الطازج، وبعد رجوعه من البيت توجه إلى المطبخ يعد لها شوربة اللحم التي تحبها بشدة، ووضعها على صينية لونها فضي يزينها على أطرافها نقوش باللون الذهبي اللامع، ثم توجه بها إلى الغرفة وقام بطرق الباب، فأذن له سيف بالدخول فسألت الخادمة اخاها من يكون هذا الشخص الذي يطرق

الباب، فرأت الأستاذ سعيد أمامها وبين يديه طعامها المفضل فظلت تنظر إليه في سعادة ولم تستطيع إخفاء سعادتها وشكرته على ذلك.
(الاهتمام أهم من كل شيء حتى الحب، ولكن هذه كذبة قد قالها البعض ولكن الحقيقة، أن من يحب حقًا بصدق يهتم بتفاصيلك الصغيرة، يهتم بكل شيء يخصك؛ لأنه فقط يحبك).
بعد ذهاب الأستاذ سعيد من عند الخادمة حكمة، توجهت إلى اخيها وسألته:

- **ألن يذهب اليوم إلى عمله؟ ظننته قد ذهب عندما خرج منذ ساعة!**

فأجابها باسمًا:
-نعم، أنتِ محظوظة كثيرًا به يا اختي لأن الأستاذ سعيد لم يذهب إلى عمله اليوم من أجلك.
ظهر على وجه الخادمة حكمة الخجل، وقالت:

- **ليحفظه الله، إنه أعد شوربة لذيذة جدًا!**
- **-نعم هو يعلم أن هذه الأكلة المفضلة لديكِ.**

فحدثت نفسها قائلةً:

- **إنه يهتم بي، ولكن هذا الاهتمام لن يغير شيئًا في قراري، سأظل متمسكة بقراري مهما حدث.**

كان الأستاذ محمد جالسًا في الشركة على مكتبه في غرفته الخاصة، وبين يديه حساؤه المفضل وبينما هو كذلك سمع صوت العمال يأتي من خارج الغرفة يثنوا عليه أشد الثناء مع أحدٍ ما.. فتعجب من ذلك وخرج إلى الخارج لكي يرى مع من يتحدثون فوجد أمامه عم هويام، فعلم أنه أتى لكي يسأل عنه.
فرحب به أشد الترحاب وأخبر شيف الشركة بإعداد أفضل الطعام له، ولكنه رفض ذلك وأخبره أنه على عجلة من أمره لذلك سيكتفي بتناول الشاي فقط هذه المرة وسيعوض تناول الطعام معه في المرة القادمة، وبعد أن تناول الأستاذ محمد مع ابي الفضل كوب الشاي تركه يسأل عنه باقي العمال وذهب إلى مكتبه مرة أخرى.

وبعد أن قام ابو الفضل بسؤال العمال عن أخلاق الأستاذ محمد أخبروه أنه يعاملهم بطريقة حسنة، فسألهم:

- هل يراه أحد يصلي؟

فظل العمال ينظرون إلى بعضهم البعض منتظر كل منهم الآخر أن يجيبه، فأجابه شاب من بينهم أنه لا يراه أحد يصلي إلا نادرًا، فأومأ باقي العمال برؤوسهم موافقين كلامه، فتعجب ابو الفضل من ذلك فهو لا يصدق أن الأستاذ محمد الذي ساعد أهل القرية، ويقوم بمساعدة الفقراء والمحتاجين ويعامل العمال معاملة حسنة.. أن يترك أهم ركن من أركان الإسلام، فقرر أن يذهب لكي يسأل في المسجد المجاور للشركة لعله يؤدي الصلوات الخمس في المسجد، وبعد ذهابه إلى هناك تقدم إلى شيخ المسجد، وسأله إن كان يعرف الأستاذ محمد الذي يعمل في شركة "نور الصباح" فأجابه الشيخ أنه يعرفه منذ زمنٍ طويل.

- حسنًا وهل يأتي لأداء الصلوات الخمس؟

فأجابه شيخ المسجد أنه يأتي في بعض الأحيان لصلاة الجمعة فقط.

تجعب ابو الفضل من ذلك وظل يفكر قليلًا ثم تنهد وأخبر نفسه أنه سيذهب إلى مكان بيته الذي تربى فيه منذ الصغر، لكي يسأل عنه هناك أيضًا.

كان جميع من في القصر من أطباء وخدم يتعجبون من عدم ذهاب الأستاذ سعيد إلى عمله من أجل الخادمة حكمة، وكان البعض يحسدها على ذلك.. وأيضًا ابنته نور أخبرته أنها لا تصدق ذلك، وكيف يفعل ذلك من أجل خادمة تعمل عنده ولكنه لم يلقِ لذلك بالًا. ترك من يريد التكلم يتكلم كما أراد. المهم أنه بجانبها ويعمل لراحتها. وبعد إعداد الطعام توجه إلى غرفة ابنته لكي تأتي لتناول الغداء وجدها جالسةً على سريرها وبين يديها صورة أمها وتخبرها أنها لقنت الخادمة حكمة درسًا لم تنسَه في اليوم الذي طلب فيه الأستاذ سعيد يدها من سيف. ذلك عندما سمعت سيف يخبر اخته أن الأستاذ سعيد يريد الزواج منها من خلف باب الغرفة، فذهبت خلفها إلى المطبخ ووبختها وأمرتها أن تبتعد عن أبيها.

صُعق الأستاذ سعيد من ذلك وعلم حينها أن حكمة رفضت الزواج منه بسبب ابنته؛ فوقف مصدومًا قليلًا من كلام ابنته ثم دلف إلى غرفتها وجلس بجانبها، ونظر إليها للحظاتٍ طالت قليلًا، ثم حدثها هادئًا وهو ينظر إلى الصورة التي بين يديها:

- كيف حالكِ يا ابنتي؟

أومأت برأسها أنها بخير دون أن تنطق بكلمة أو ترفع عينها عن الصورة التي بين يديها، فقال وهو يمسح على رأسها ويقبلها:

- هيا كي نتناول الغداء..

فأخبرته نور وهي ما زالت تنظر إلى الصورة أنها ليست لديها شهية.

فقال والدها باسمًا:

- إنني أعددت الطعام الذي تحبينه. إن لم تأتِ سيتناوله سيف ولن يترك لكِ أي شيء!

فرفعت رأسها عن الصورة وقالت ضاحكة:

- حسنًا، هيا لنذهب.

توجه الأستاذ سعيد وابنته نور إلى الطاولة حيث يوجد عليها أنواع الطعام المختلفة، وجلست نور على الطاولة وهي تنظر إلى الخادمة حكمة وعلامات الحزن تظهر على وجهها، فلاحظ الأستاذ سعيد ذلك ووجدها فرصة لكي يشكر الخادمة حكمة على ما فعلته من أجلها لكي يذكرها بذلك، فنظر إلى جميع الجالسين وقال باسمًا بعد أن شكرته الخادمة حكمة على إعداده للطعام من أجلها:

- لقد جاء الوقت لكي أشكركِ على كل شيء فعلتِه من أجل نور. لقد عاملتِها وكأنها ابنة لكِ وكنت معها في السراء والضراء.

ثم نظر إلى ابنته وأكمل كلامه:

- إن نور تحبكِ كثيرًا وحبها لكِ ليس من فراغ، أنتِ من جعلتِ ابنتي تحبك كل هذا الحب لحسن معاملتكِ لها.

إن ما يحتاجه **منك الآخرون ليس كثرة مالك الذي في خزانتك، أو منصبك الذي تتباهى به أمامهم، ولكن بحسن معاملتك تستطيع أن تكسب قلوب من حولك.**

ثم نظر إلى نور وأكمل كلامه:

- **يجب دائمًا تذكر جميع ما يفعله الآخرون من أجلنا يا ابنتي، لا تنسِ ذلك.**

ثم نظر إلى حكمة نظرة مطولة وأردف:

- **أريدكِ أن تعلمي أنني لم أركِ في يوم من الأيام كخادمة عندنا، بل دائمًا أشعر أنكِ واحدة من أفراد أسرتنا.**

دمعت عينا حكمة وأجابته باسمةً:

- **أنت تعامل جميع من حولك هكذا لست أنا فقط.**

وتابعت بعد أن مسحت دموعها من على وجنتيها:

- **وما فعلته مع اخي ليس قليلًا، لا أعلم كيف سأرد لك هذا المعروف، ليرضى الله عنك.**

تنهد الأستاذ سعيد وأخرج زفيرًا هادئًا وأخبرها بعد أن نظر إلى سيف، أن سيف ابنه مكانته في قلبه كمكانة نور وأنه لا يوجد معروف لكي ترده له، وما فعله من واجبه، فإن مساعدة المحتاجين لمن يستطيع ذلك فرض عليه. وأنه يتمنى فقط الثواب والأجر من الله.

تركت نور الطعام من يديها وهي تشتعل غضبًا ووضعت رأسها بين يديها، ثم قالت مقاطعةً كلامهم:

- **أرجوكم لتصمتوا قليلًا، أصابني الدوار من كثرة كلامكم!**

نظر إليها الجميع بعد أن انطبعت الدهشة على وجوههم في صمتٍ من طريقة كلامها، ثم أخبرها والدها في عتابٍ أن تذهب إلى غرفتها إذا كانت تشعر بالدوار.

هو يعلم أن ابنته لا يعجبها هذا الكلام ومع ذلك يتماسك نفسه من تصرفاتها الغير لائقة التي تصدر منها بين الحين والآخر، خصوصًا بعد علمها أنه يريد الزواج من امرأة غريبة ظنًا منها أنها ستأخذ مكانة أمها، ولكن لا أحد يستطيع أن يأخذ مكان أمها مهما كان؛ لأن

قلب الأستاذ سعيد قد طبع قلبه بحب أمها رحمها الله لأنها الحب الأول له، هو أيضًا أحب الخادمه حكمة مع الأيام والشهور بعد أن جاءت إلى القصر ولكن حبه لها كان فقط لحسن معاملتها الحسنة التي كان يراها في معاملته لابنته.

ظل سيف يترقب حديث كل منهم في صمت دون أن ينبس بكلمة، ولكن بعد أن تحدثت نور بهذه الطريقة شعر بالغضب الشديد تجاهها بعد انتهاء الجميع من تناول الطعام ذهب الأستاذ سعيد إلى ابنته، وجلس بجانبها وسألها لماذا تحدثت بهذه الطريقة عندما كانوا يتناولون الطعام، فأجابته أنها كانت تشعر بالدوار فحسب. صمت الأستاذ سعيد قليلًا، ثم قال:

- هل أنت متأكدة من ذلك يا ابنتي؟

ثم تابع:

- أم لأنني أريد الزواج من الخادمة حكمة؟

نظرت إليه نور في تعجبٍ، ثم حدثت نفسها قائلة:

- إذًا أخبرته بما فعلته بها! إنها جبانة تخاف مني.

فقطع شرودها والدها عندما أخبرها أنه يتحدث معها لتجيبه على سؤاله الذي طرحه عليها، فقامت نور من على سريرها وهي غاضبة وأخبرته أنها من تكون هذه المرأة الشنيعة أمام امها لكي يتزوج منها؛ فصفعها أبوها على وجهها وهذه كانت أول مرة يمد يده على ابنته، بل على امرأة في حياته، ثم قال:

- لقد تماديتِ كثيرًا يا نور، كيف تقومي بسب امرأة أكبر من والدكِ!! ثم أشار بإصبعه إليها، وأكمل:
- وأيضًا من ربتك!

ظلت نور تبكي وتعلو صيحات بكائها ودموعها تنزل على وجنتيها بغزارة. لم تصدق أن يأتي يوم ويصفعها ابوها بهذه الطريقة لأنها مدللته الوحيدة، ثم قالت صارخة:

- هل تضربني يا والدي من أجل خادمة!
- إنني لم أضربكِ من أجلها، بل ضربتك على سوء خلقك

ثم خرج من عندها متجهًا إلى حديقة القصر وشرارة الغضب تخرج منه فلاحظ سيف غضبه، وذهب خلفه فأشار إليه بيده أن لا يأتي خلفه.

عندما لا نزرع القيم في نفوس الأبناء منذ الصغر ونقوم بتدليلهم بطريقة مبالغ فيها لدرجة أن لا نقوم بتعليمهم هذه القيم بحجة أنهم صغار؛ تكون هذه النتيجة التي نحصل عليها، فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

جلس الأستاذ سعيد في حديقة القصر تحت ظل الشجرة وهو ينظر إلى السماء محدثًا نفسه:

- لدي ابنة واحدة فقط قد فشلت في تربيتها، حتى أنني لم أستطع تعليمها احترام الآخرين خصوصًا من أكبر منها سنًا.

رأته حكمة من شرفة غرفتها التي تطل على حديقة القصر وهو يظهر على وجهه الحزن، فعلمت أنه ليس بخيرٍ فظلت تترقبه وقلبها ينبض حزنًا على ما هو عليه محدثةً نفسها:

- ما الذي أوصله لهذه الحالة التي هو عليها؟ يبدو أن شيئًا ما أحزنه بشدة!

ثم تذكرت ما فعلته نور على طاولة الطعام فأخبرت نفسها:

- يبدو أن صغيرتي نور من أحزنته، ثم صمتت قليلًا، وأكملت:
- لا، لا أظن ذلك. نور لا توصله لهذه المرحلة من الحزن!

فصمتت مرة أخرى، وتابعت:

- سأظل اطرح على نفسي الأسئلة من هنا، لأذهب وأعلم سبب حزنه

ذهبت الخادمة حكمة إليه وعندما اقتربت منه، علم أنها هي رغم أنه كان يعطيها ظهره ولكنه شعر بها.

الروح للروح، ولكن عندما يكون التوافق الروحي كبير حينها تشعر الروح بصاحبها.

التفت إليها الأستاذ سعيد بعد أن قام من تحت الشجرة وهو يبتسم ابتسامة صفراء محاولًا إخفاء حزنه بداخله مُرحبًا بها، ثم سألها إن كانت تريد شيئًا ما، فنظرت إليه حكمة في ترقبٍ، ثم سألته عن سبب

حزنه المفاجئ فأخبرها أنه لا يوجد شيء، فقامت بالإلحاح عليه أكثر من مرة ولكن أصر الأستاذ سعيد على أن لا يخبرها بشيءٍ وعليها أن تذهب في الحال. تقدمت الخادمة حكمة خطواتٍ وكادت أن تذهب كما أخبرها ولكن اوقفتها قدميها، وقالت:

- لن أذهب إلى أي مكان.

وأكملت:

- لأنه لا أحد يستطيع إخفاء حزنه وراء ابتسامة مصطنعة أمامي

فنظر إليها الأستاذ سعيد في غضبٍ وأخبرها أنها أيضًا خذلته وكذبت عليه هذا اليوم، عندما أخبرته أنها تبكي حنينًا على زوجها السابق

فصُعقت حكمة من ذلك وتمتمت ببعض الكلمات منها:

- كيف علم ذلك ومن الذي أخبره؟

ثم صمتت برهة وهي تفكر، ثم قالت:

- لا، لا أظن نور أخبرته أنها قامت بتوبيخي تلك الليلة!

تقدم إليها الأستاذ سعيد والغضب يخرج منه بشرارة وسألها إن كانت تريد أن تعلم كيف عرف بذلك، فظلت تنظر إليه في خجلٍ وهو ما زال ينظر لها في غضبٍ، ثم قال بصوت مرتفع كاد يرج أركان الحديقة من حوله:

- إنني سمعت نور وهي تقول أنها لقنتكِ درسًا لن تنسيه هذه الليلة، وأنها السبب في رفضك.

وتابع قائلًا:

- كيف تنظرين في عيني وتخبريني بغير ذلك! كيف جعلكِ ضميركِ تنظرين في عيني وأنتِ تكذبين!

ظل جسد حكمة يرتجف من الخوف، فهي لا تتحمل الأصوات المرتفعة وتخاف منها بشدة، تكاد تكون نقطة ضعفها

فشعر الأستاذ سعيد بذلك؛ فصمت وهدأ قليلًا.

الغضب يعمي صاحبه.

كاد أن يأخذها في حضنه ولكنها لا تحل له، فهو أول مرة يراها في هذه الحالة من الضعف منذ أن أتت القصر، دائمًا تتحلى بالقوة أمام الجميع.. ولكن تظل الأنثى ضعيفة أمام الرجل الذي تحبه مهما كانت قوتها.

لحظات صمت. صمت لا أكثر، لا يستطيع الأستاذ سعيد فعل شيء، لقد عجز أمامها فذهبت حكمة من أمامه متوجهةً إلى القصر وعينها لا تجف من البكاء، وهي تختفي من أمامه رويدًا رويدًا لا يدري ماذا يفعل لها، فأسرع خلفها وأوقفها عندما قال:

- اعذريني يا حكمة، لم أشعر بنفسي بما بدر مني.

فنظرت إليه بطرف عينها في خوفٍ، وقالت:

- ما فعلته لا يوجد له تبرير.

كان سيف يشاهد ذلك هو ونور من شرفة القصر بعدما سمعا صياح الأستاذ سعيد، وعلم حينها أن نور السبب في رفض اخته الزواج من الرجل الذي رباه وأحسن تربيته.

ظل ينظر لنور بعينه السوداء الواسعة في غضب.

تركته نور وذهبت بعدما شعرت بغضبه فهي تعلم جيدًا الحالة الذي يكون عليها سيف عندما يغضب، لذلك كان أفضل قرار اتخذته أنها انسحبت من أمامه دون أن تتفوه بكلمة.

رجع أبو الفضل إلى القرية بعد أن قام بالسؤال على عريس ابنة أخيه ثم توجه إلى بيتها وطرق الباب، فقامت ضي مسرعة بفتح الباب وقبلت يدي عمها، ثم صاحت بأعلى صوت أن عمها قد أتى فتركت هويام ما بيدها من أعمال وذهبت إلى عمها مسرعة متشوقة بما سيخبرها به عن الأستاذ محمد..

دخل عمها البيت بعد أن قام بالاستئذان، فألقت هويام بنفسها في حضن عمها فظل يمسح على رأسها، ثم أخبرها أنه ذهب إلى الشركة كما كانت تعلم وسأل عمال الشركة الذين يقوم بالإشراف عليهم الأستاذ محمد عن معاملته معهم، فأخبروه أنه يعاملهم أفضل المعاملة ويحسن إليهم

ثم تابع:

- وعندما يرتكب أحدهم خطأ في عمله يدله على الصواب برفق.

فشعرت هويام بسعادة بالغه ظهرت على وجنتيها قد لاحظها عمها ثم تابع:

- ذهبتُ بعد ذلك إلى المسجد الذي بجانب الشركة لكي أسأل أمام المسجد إن كان يأتي ليصلي الصلوات الخمس

فتساءلت هويام فرحة:

- وماذا قال؟

تنهد عمها بعدما نظر إلى عينها وأخبرها أن شيخ المسجد أخبره أنه لا يأتي المسجد إلا لأداء صلاة الجمعة فقط، ولكن في بعض الأحيان وليس كل جمعة، وأكمل كلامه:

- وهذا بعدما أخبرني عمال الشركة أنه لا يراه أحد يصلي إلا نادرًا

تعجبت هويام من ذلك وظلت صامتة تستمع لكلام عمها وهو يقص عليها كل شيء حدث معه في هذا اليوم، وأكمل كلامه أنه ذهب أيضًا

إلى بيته الذي تربى فيه منذ الصغر، رغم أنه كان بعيدًا جدًا عن الشركة إلا أنه أراد الذهاب لكي يجمع عنه معلومات أكثر من ذلك، ولكن بعدما سأل جيرانه الذين يسكنون معه في نفس البيت عن أخلاقه وعلاقته بربه..

نزعت هويام نفسها من حضن عمها وقالت بلهفة:

- وماذا قالوا؟

ظل ابو الفضل ينظر إليها قليلًا ثم أخبرها أن جيرانه أخبروه أنه لم يره أحد يذهب إلى الصلاة عندما كان يأتي إلى بيته بين فترة وأخرى،

وكانت أمه دائمًا منذ سنوات تحثه على الصلاة ولكن لم يكن يستمع لها إلا قليلًا، ثم صمت برهة، وتابع في حزن:

- أيضًا أخبروني أن أباه كان يضرب أمه دائمًا منذ أن أخذها من بيت أبيها.

اندهشت هويام من ذلك، وقالت متعجبة:

- كيف ذلك يا عمي؟ أيعقل أنه يوجد شيء مثل هذا؟
- نعم يا ابنتي، أشباه الرجال يفعلون ذلك، ولكن نحمد الله أنه لا يوجد شيء مثل ذلك في قريتنا، لذلك أنتِ تستغربين..
- نعم يا عمي، كان أبي رحمه الله دائما يعامل أمي برفق، ويحترمها كثيرًا، وأنت أيضًا تعامل خالتي نجوى برفقٍ، لم أرَ ما تحدثني به في حياتي أحمد الله على ذلك.

نهضت هويام ثم توجهت إلى عمها وأخبرته أنها لا توافق على هذا الزواج، فابتسم عمها وأخبرها أنه يعلم أنها لن توافق على شخصٍ لا يصلي، وهو أيضًا لا يوافق على هذا، وأيضًا لأنه تربى منذ نعومة أظافره يرى أمه تُضرب أمامه من قبل ابيه، فحتمًا سيفعل ذلك مع زوجته سيرى أن التفاهم والمعاملة الحسنة مع زوجته لا يكون إلا بالضرب، فأخبرها عمها أنه سيذهب إليه عما قريب ليخبره أن كل شيء قسمة ونصيب.

أومأت هويام برأسها موافقة كلام عمها.

يجلس الأستاذ محمد على مكتبه و أخرج مذكرته من جيبه ووقعت عيناه على ما كتبته له أمه في الصفحة الأولى:

(الحب أعمى قد يجعل صاحبه يضر حبيبه دون أن يشعر، لذلك لا تتعلق بمن تحب؛ لكي لا تتهور يا بني).

وبعد ذلك قلّب صفحة تلو الأخرى إلى أن أتى بصفحةٍ بيضاء ودون فيها:

- ستكوني لي ولن تكوني لأحدٍ غيري، سأربيكِ على يدي وستكوني ملكي وسأخفيكِ عن جميع العالم وعن كل شيء

ثم تبسم بخبثٍ، وقال وهو يرجع مذكرته في جيبه:

- سأمتلكِك يا ذات العيون الخضراء الجميلة.

بعد ذهاب حكمة إلى غرفتها أغلقت خلفها بابها بإحكام وأسندت ظهرها إليه، وظلت تبكي بحرقة، فطرق سيف الباب عدة مرات فلم تجبه فأخبره الأستاذ سعيد أن يأتي خلفه. وبعد قليل كان سيف

يجلس أمام الأستاذ سعيد على مكتبه فنظر إليه الأستاذ سعيد واخبره أنه يريد الزواج من اخته وفي أسرع وقت.
تعجب سيف من ذلك، ثم قال:

- إنني موافق يا والدي، ولكن أنت تعلم أن اختي غير موافقة!
- إنها موافقة يا سيف، ولكن قالت ذلك بسبب كلام نور له.

ظل سيف صامتًا قليلًا ثم أخبر الأستاذ سعيد أنه سيخبر اخته مرة أخرى وسيحاول إقناعها، ولكن إن لم توافق فليس له ذنب في ذلك، فأومأ الأستاذ سعيد برأسه موافقًا ثم ذهب سيف إلى غرفة أخته وطرق الباب، فأذنت له بالدخول فجلس على حافة السرير بجانبها وظل ينظر لها يفكر كيف يبدأ كلامه.. قطعت تفكيره عندما أخبرته فرحةً أنها موافقة بالزواج من الأستاذ سعيد وهي تمسح دموعها من على وجنتيها بأصابع يدها الناعمة، فانفجرت أسارير سيف واحتضن اخته من شدة فرحته ثم ذهب مسرعًا إلى ابيه دون أن يتفوه بكلمة، وفتح باب الغرفة دون أن يطرق الباب فوجد الأستاذ سعيد يرتدي ملابسه، فاحمر وجهه من شدة الخجل وما أن همّ بغلق الباب والخروج من الغرفة سريعًا أوقفته قدميه عندما قال له الأستاذ سعيد بعد أن ضحك على فعلته:

- بما أنك تهورت هكذا ياسيف وتظهر على وجهك السعادة، إذًا اختك موافقة!

طأطأ سيف رأسه من شدة الخجل وهو يحك ذقنه، ثم رفع نظره قليلًا وهو يصيح بأعلى صوتٍ:

- نعم إن اختي موافقة يا والدي.

ثم توجه إليه وألقى بنفسه بين أحضانه من شدة فرحته.

***

الفصل الحادي عشر

السعادة كحقنة المخدر، لا يشعر الإنسان بنفسه عندما يكون سعيداً، يتصرف حينها بتهور شديد وإن كان حكيماً.

مسك سيف ميكرفون القصر بعد أن ذهب من عند والده، وقال بصوت رخيم:

- ليعلم الحاضر الغائب أن زواج الأستاذ سعيد من اختي حكمة عماد الأسبوع القادم..

ظهرت على وجوه الخدم الدهشة وظلوا ينظرون إلى بعضهم البعض في تعجب، وترك كل واحد منهم ما بيده من عمل

وظلوا يحدثون إلى بعضهم البعض، فمنهم من شعرت بالغيرة تجاهها، وقالت متعجبة:

- لماذا اختارها هي؟ نساء القصر كثيرات

ومنهم من قال:

- كيف لأستاذ مثل الأستاذ سعيد أن يتزوج من خادمة!

فصاحت فتاة يكاد يبلغ عمرها الخامسة والعشرون تعمل في المطبخ:

- إن لم نكن نعرف أخلاق حكمة لقلنا أنها عملت له عملًا!

ولكن لم يكن مثلما قالوا لأنه فقط وجدها مختلفة.. مختلفة عن جميع من حوله، حتى أنها مختلفة عن جميع فتيات المدينة الثريات.

عندما نكون معًا، أشعر بالأمان والدفء الشديد، أشعر أن همومي في كفٍ وسعادتي وأنا معك في كفٍ آخر. فأمنيتي الوحيدة فقط أن تظلي بجانبي مدى الحياة ولا ترحلي كما رحل الباقون.

بعدما أخبر سيف جميع من في القصر أن زواج الأستاذ سعيد على أخته الأسبوع القادم، ذهب إلى المسجد المجاور وأخبر الشيخ إدريس أن يخبر أهل المدينة بذلك في إذاعة المسجد، وكل من أراد أن يأتي إلى الزفاف فليتفضل. فرح شيخ المسجد كثيرًا وأخبر سيف أنه كان يتمنى ذلك منذ أن أتت حكمة إلى قصر الأستاذ سعيد، ولكنه فقط النصيب والقدر هو من يجمع بين الأحبة عندما يأذن الله بذلك.

خلال ساعة فقط كانت المدينة بأكملها تعلم بزواج الأستاذ سعيد من حكمة الأسبوع القادم ولكن اعترض أغلبهم على ذلك، وقالوا:

- ستنظر لنا جميع المدن من حولنا نظرة عار، كيف لأستاذ مثل الأستاذ سعيد أن يتزوج خادمة تعمل عنده!

لذلك أكثرهم قرر أن لا يذهب لهذا الزواج ومنهم من قرر مقاطعته كليًا.

كان الأستاذ سعيد يعلم أن كثير من أهل المدينة سيعترض على ذلك، ولكن لم يبالِ بكلام الناس. هو فقط يسعى ليكون مع حبيبته على سنة الله ورسوله.

إن إرضاء الآخرين مثل الصحراء الواسعة، ليس لها بداية ولا نهاية، لذلك إذا أردت أن تفعل شيئًا لا يغضب الله ولا يضر غيرك فافعل ذلك دون أن تبالي بنظرة الناس لك.

بعد أن ذهبت نور من عند صديقتها من المدينة المجاورة للمدينة التي تسكن فيها، بعد إعلان سيف زواج اخته بساعات عندما توجهت إلى بوابة القصر، تعجبت من صوت الضجيج الذي يعم جميع القصر، فأسرعت إلى الباب الداخلي وظلت تطرق الباب سريعًا لكي تعلم ما الذي يحدث، ففتح سيف باب القصر، وقال باسمًا:

- أهلًا يا نور، كيف حالك؟

تجاهلت نور كلامه، ثم قالت:

- ما هذه الضجة؟ ولماذا الكل يظهر على وجهه السعادة؟

فظل سيف ينظر لها دون أن يتفوه بكلمة، فتابعت كلامها عابسة:

- لماذا أنت صامت؟ إنني أتحدث معك!

فأجابها شاب من الخدم:

- سيدتي إن زواج الأستاذ سعيد من الأستاذة حكمة الأسبوع القادم.

فنظرت إليه نور غير مصدقةً وأخبرته أن يلزم حده، وقالت:

- من الأستاذة؟ إنها خادمة مثلك وليست أستاذة!
- اعذريني سيدتي، أطلب العفو منكِ.

تركته نور وهي تبكي بحرقة وتقول بأعلى صوتٍ:

- لن يتم هذا الزواج!

فذهب سيف خلفها وأخبرها أن تصمت لكي لا تحزن اخته مرة أخرى، فيكفي أنها أحزنتها كثيرًا في الأيام السابقة، فصرخت فيه نور أن يصمت ولا يتدخل في شيء يخص أباها ثم توجهت إلى غرفة أبيها فوجدت الحلاق يصفف له شعره البني الطويل الذي ينزل على رقبته ويقوم بتسوية الحروف، فظلت تنظر لأبيها وللحلاق بغضب، ثم قالت:

- اخرج إلى الخارج أيها الوغد!
- أمركِ سيدتي

ثم ترك ما بيده وخرج مسرعًا

تعجب الأستاذ سعيد من فعلة ابنته وكلامها البذيء ثم أخبرها أن تتحدث مع غيرها بطريقة جيده وهو يقوم من على مقعدة ويظهر عليه الغضب، فقالت له:

- إنهم خدم يا أبي! فكيف تتزوج بواحدةٍ منهم! وأيضًا هل نسيت أمي بهذه السرعة!

تنهد الأستاذ سعيد وأخبر ابنته أنه لم ينسَ أمها ولن ينساها لأن لها مكانة كبيرة في قلبه، وزواجه من حكمة لا يعني أنه قد نسي حبيبته نهى ولكنه فقط يحتاج إلى هذا الزواج.

قاطعته نور وقالت وهي تصرخ في وجه ابيها:

- لست والدي بعد الآن وهذه الخادمة من اليوم عدوتي.

ثم تركت اباها وذهبت بعد أن قالت تلك الكلمات الجارحة، صُعق الأستاذ سعيد من كلام ابنته وحدث نفسه قائلًا:

- كيف لطفلةٍ في هذا أن السن تتحدث معي بهذه الطريقة؟

بعد مرور أسبوع يجلس الأستاذ سعيد في ساحة القصر بملابسه الأنيقة، كل من يراه يحسده على وسامته، ومن حوله الخدم يقومون بوضع أكبر وليمة على الطاوله لم تحدث من قبل في مدينتهم، تحتوي على اللحم الطازج والعصائر المختلفة والأرز والخضار وجميع أنواع الحلوى

وبعد دقائق من انتظار الأستاذ سعيد لعروسته؛ تطل بفستانها الأحمر الرقيق الذي تزينه الورود المخزرجه باللون الفضي، تظهر

أمامه رويدًا رويدًا وكلما تقدمت يظهر جمالها الخلاب ويزيد انبهار الأستاذ سعيد بهذا الجمال كأنه لم يرَها من قبل، وتطرق فرقة الأفراح على الدف ويعزفون الأغاني مرحبين بها.. إلى أن تقدمت وجلست بجانب عريسها وهي تشعر بالخجل الشديد من نظراته لها، وكلما نظرت له تجده ينظر لها ويبستم لها بحبٍ، فهي تعلم هذه النظرة جيدًا لأنها اعتادت منه هذه النظرات في الآونة الأخيرة ولكن في كل مرة تخجل، ولمَ لا تخجل وهي تعلم جيدًا أن هذه النظرة مليئة بالحب!

عندما تلتقي العيون تَكشف ما في القلب..

جاء الشيخ إدريس وكتب كتابهما، وبعد أن سمع من في القصر تم عقد قران الأستاذ سعيد على حبيبته حكمة. هلل من في القصر جميعهم وقاموا بضرب الألعاب النارية خارج القصر وتعالت أصوات زغاريد نساء القصر، ثم بدأت الأغاني تدوي في الأرجاء.

كانت الابتسامة تعلو كافة الوجوه عدا وجه الأستاذ محمد ونور.

كل من في القصر سعيد بهذا اليوم، فمنهم من هو سعيد لأنه سيتناول أشهى الطعام هذه الليلة، ومنهم من هو سعيد من أجل زواج الأستاذ سعيد.

ظلت نور تشاهد العرس من الطابق العلوي وهي تشعر بالغضب الشديد تجاهها إلى أن تقدم الأستاذ سعيد إلى عروسته وقام بعض الخدم بفتح علبة بداخلها عقد ألماس و بعض الحُلي المختلفة.

تفاجأت حكمة من ذلك فهي لم تتوقع في أحلامها أنها سترتدي في يوم من الأيام ألماسًا، ولكن لم تتفاجأ كثيرًا لأن ما يبهرها حقًا وما سيجعلها سعيدة هو مكوث الأستاذ سعيد معها تحت سقف واحد على سنة الله ورسوله.

اقترب الأستاذ سعيد من أذنيها، وقال هامسًا:

- مرحبًا بسلطانة قلبي!

ابتسمت حكمة واحمرت وجنتيها من شدة الخجل، فشعر الأستاذ سعيد بذلك، فقال مازحًا:

- إن وجنتيكِ البيضاوتين أصبحتا كالفراولة من شدة الخجل!

فلم تجبه حكمة بشيء واكتفت بالنظر في عينيه السوداويتين، فعندما تنظر في عينيه تشعر بالحب الذي ينبعث منهما وتشعر بكل شيء جميل وكأنها تسكن بداخلها. فعندما تجتمع العيون تصمت الجوارح وتخبر العيون بكل شيء.

تقدم الأستاذ محمد إلى الطابق الثاني بعد أن رأى نور تشاهد من فوق ووقف بجانبها، وظل ينظر لها وهو يشعر بهذا الغضب الذي ينبعث منها قائلًا:

- ما يفعله والدكِ سيندم عليه في يوم من الأيام. كيف يثق في امرأة فقيرة مثل هذه؟ وأيضًا لم يكتفِ بالزواج منها ويلبسها الألماس أيضًا!

نظرت إليه نور في دهشة، وقالت:

- وهويام ليست فقيرة؟
- ولكنني لست غني لهذه الدرجة، إن أباك أغنى رجل في المدينة، ما يفعله سيجلب العار للمدينة بأكملها وأيضا هذه المرأة تكبره سنًا!

تقدمت إليه نور في غضب، وقالت:

- رغم أنني لم أوافق على هذا الزواج، لم أتفوه بمثل هذا الكلام! كيف تتحدث عن والدي بهذه الطريقة؟ أم نسيت أنك تعمل عنده أيضًا! وتابعت:
- الخادمة حكمة تعمل عنده، وأنت أيضًا تعمل عنده، ما الفرق بينكما؟

فأشار إليها محذرًا كي تصمت وهو يشعر بالغضب الشديد من كلامها، ثم قال:

- هل تساويني أنا بهذه؟!

ثم تركها وذهب وهو يقول بصوتٍ لم تسمعه:

- سترين يا نور من سيعمل عند الآخر في يومٍ من الأيام، وهذا اليوم قريبٌ جدًا..

كان سيف يشاهد من الطابق الأسفل نور والأستاذ محمد وهما يتحدثان. هو يعلم جيدًا أن اثنيهما لا يوافقان على هذا الزواج، ولكن

تعجب عندما رأى وجه الأستاذ محمد تظهر عليه علامات الغضب بعد حديثه مع نور، وبعد أن نزل من الطابق العلوي ظل ينظر له، فشعر الأستاذ محمد بنظرات سيف فتوجه إليه، وقال:

- لماذا تنظر إلي هكذا؟ هل هناك مشكلة؟
- هل نور من جعلتك تغضب هكذا؟

فنظر إليه، وقال عابس الوجه:

- ليس لك شأن!

اقترب سيف منه، وقال:

- أعلم انك لم تحبني منذ أن أتيت قصر والدي منذ سنوات، ولكن لا يهمني ذلك.. نحن الاثنان نعلم جيدًا لماذا لا تحبني.
- أنت تتوهم فحسب يا سيف..
- أخبرتك أنه لا يهمني إن كنت تحبني أم لا، ولكن كن صادقًا مع نفسك ولا تنكر ذلك!

ثم تركه سيف وذهب. نظر إليه محمد في غضب وكاد أن يذهب خلفه ويعنفه، ولكن لم يستطع فعل ذلك بحضرة الأستاذ سعيد لأنه يعلم جيدًا أن الأستاذ سعيد بمثابة ابٍ له.

بعد لحظاتٍ، وصل ابو الفضل وهويام وضي بصحبة مساعد الأستاذ سعيد إلى القصر، تفاجأ الأستاذ محمد عندما رآهم، بينما نور قد ظهر على وجهها الغضب عندما رأت ضي، أما الأستاذ سعيد عندما رأى ضي ظهرت على وجهه السعادة والدهشة في آنٍ واحد وقام بالترحيب بها وتقبيلها بعد أن قام بالترحيب بعمها واختها، فنظر إليهم أبو الفضل في تعجب، وقال:

- هل تعرفان بعضكما؟
- نعم يا عمي، هذا والد صديقتي نور التي مرضت وجئت للاطمئنان عليها.
- لم أعلم أن هذا عمكِ يا ضي، ولكن سعدت بذلك كثيرًا

ربت ابو الفضل على كتف الأستاذ سعيد وبارك له، وقال:

- نحن أسعد

ذهبت كل من ضي وهويام بجانب العروس مباركتين لها في سعادة على زواجها، وأخرجت ضي من حقيبتها لوحة رسمتها بيدها وقدمتها هدية للعروس، فأعجبتها كثيرًا وشكرتها على ذلك.
بينما لفت جمال القصر ابو الفضل فظل يتأمله للحظات، وتظهر على وجهه الدهشة تارة، وتارة أخرى علامات التعجب من كبر القصر وضخامته وجماله، ظل يتأمل جدرانه المنقوشة باللون الذهبي وأرضيته التي تلمع من جمال رخامها وقوالب الورد العطرة التي تنتشر في أركان ساحة القص{، فلا حظ الأستاذ سعيد ذلك، وقال باسمًا:

- هل أعجبك يا عمي؟
- نعم، لم أتوقع أنك تعيش في قصرٍ مثل هذا!
- ولماذا لم تتوقع ذلك؟

فأجابه ابو الفضل:

- يظهر عليك تواضع شديد أيها العريس الوسيم، من يراك يقول أنك شخص تسكن في بيت عادي وليس في قصرٍ ضخم مثل هذا. ليبارك الله في ملكك.

عندما كان يتحدث الأستاذ سعيد وابو الفضل ظل الأستاذ محمد ينظر إلى هويام وإلى جمال عينها، ولم ينزع نظره عنها، شعرت هويام بذلك وظهر على وجهها الخجل، وحدثت نفسها قائلةً:

- لماذا ينظر لي هكذا ذلك الرجل؟

وتابعت:

- ماذا سيفعل عندما يعلم أنني لست موافقة على الزواج منه!

فقطع شرودها عندما اقترب منها وهمس في أذنيها قائلًا:

- عندما تخجلين تصبحين أجمل، ولكن كل هذا الخجل سيذهب بعد الزواج.

ابتعدت عنه هويام وقامت بالجلوس بجانب عمها بينما ظلت ضي تنظر إلى نور وتفكر هل تذهب وتتحدث معها أم لا، فإنها تتذكر هذا اليوم جيدًا الذي أعطتها فيه علبة مزينة من الخارج بشريطة حمراء

وأخبرتها أن بداخلها هدايا لها، ولكنها فوجئت بالقاذورات والكلام البذيء الذي كان مكتوبًا في الجواب داخل العلبة.
ولكنها قررت أن تتجاهلها وتعتبرها غير موجودة، فهي ليس عندها وسط، أما الحب أو الكره! وأيضًا كرامتها لا تسمح لها بذلك
شعرت نور بالغضب الشديد عندما لاحظت تجاهل ضي لها، وحدثت نفسها قائلة:

- كيف لها أن تتجاهلني بهذه الطريقة؟ إنها فتاة متعجرفة ومتكبرة!

يكفي فقط تجاهل أولئك الذي يغارون منك ويشعرون بالحقد تجاهك. تجاهلهم فقط ولا تلقِ لهم بالًا، حينها فقط سأقول لك:

- مبارك عليك. قد فزت.

إن نور تحب ضي وتعجب كثيرًا بأخلاقها الحميدة وتتمنى أن تكون مثلها، ولكن غرورها قد أعماها وحبها للسلطة والمال قد سيطر عليها لذلك تتعامل مع ضي أنها فقيرة لا تملك شيئًا، ولكنها لا تعلم أن ضي تستطيع أن تملك كل شيء بأخلاقها.
بعد نهاية الزفاف هم ابو الفضل بالرحيل ولكن توقف عندما سأله الأستاذ محمد عن قرار هويام، فنظر إليه أبو الفضل ولم ينطق بشيء فأسرع الأستاذ سعيد وأخبر ابو الفضل أن يبيت اليوم معهم في القصر، ولكنه رفض ذلك فظل الأستاذ سعيد يلحّ عليه أكثر من مرة، وأخبره أن الوقت قد تأخر كثيرًا لذلك عليه أن يبت الليلة وسيكون سعيدًا بذلك.
نظر أبو الفضل إلى هويام كأنه يريد أن يعرف رأيها فأومأت برأسها أنها موافقة، وعندما كان الأستاذ محمد سيخبر صديقه أنه أيضًا يريد المبيت في قصره الليلة، سبقه الأستاذ سعيد، وقال وهو يضع يده على كتفه:

- وأنت أيضًا ابقى اليوم يا صديقي..

شعر محمد بسعادة بالغة حاول إخفائها، ولكن هويام لاحظت ذلك، وحدثت نفسها:

- لو كنت أعلم أنك أيضًا ستبيت الليلة ما كنت وافقت، وظلت تنظر له بطرف عينها ولا تشعر بالارتياح ناحيته.

لم يخبر الأستاذ سعيد بعض الخدم أن يقوموا بتوصيل الضيوف إلى الطابق الخامس الذي خُصص من أجل الضيوف الذين يأتون إلى القصر ولكن.. أراد هو هذه المرة أن يقوم بإيصالهم بنفسه بعد أن أوصل عروسه إلى غرفتهما تكريمًا لهم، وبعد وصول الضيوف للطابق الخامس أشار الأستاذ سعيد بيده إلى غرفتين، وقال:

- هذه لك يا عمي أبو الفضل، وهذه لهويام وضي.

نظرت هويام إلى الأستاذ محمد موجهًا كلامها إلى الأستاذ سعيد، ثم قالت:

- تكفي غرفة واحدة لنا نحن الثلاثة يا عمي.

فقال الأستاذ محمد:

- ولكنكم لن ترتاحون بداخلها، الأفضل لكم أن تأخذون غرفتين..

تعجب الأستاذ سعيد من رد الأستاذ محمد لأنه هو من يقوم باستضافة الضيوف وليس هو، ولكنه تجاهل ذلك كما يتجاهل الكثير من كلامه في الآونة الأخيرة، وقال بعد أن لاحظ نظرات أبو الفضل للأستاذ محمد بغضب:

- ليست هناك مشكلة فالغرفة كبيرة تكفي أكثر من خمسة أفراد..

شكر ابو الفضل الأستاذ سعيد وأمسك بيدي هويام التي لاحظ أن الأستاذ محمد لم ينزع عينه عنها منذ أن أتت القصر، ودخل إلى الغرفة وأقفل بابها بإحكامٍ ولم يجيب بشيءٍ عندما قال الأستاذ محمد:

- تصبحون على خير

جلست هويام على حافة السرير وهي تشعر بارتباكٍ شديد، وظل عمها يترقبها فهو يشعر بخوفها.. فجلس بجانبها بعد أن ألقى نظرة من الشرفة وقام بقفلها جيدًا، وقال:

- ابنتي هويام، أعلم أنكِ لا ترتاحين للمبيت هنا، ولكن لا تخافي أنا بجانبكِ..

نظرت إليه هويام وهي تشعر بالحزن، وسألته:

- لماذا هذا الرجل كان ينظر لي هكذا؟ لم ينزع عينه عني منذ أن أتيت القصر!

نظرت إليهما ضي وأخبرت اختها ألا تخاف لأنه يبدو أنه معجبًا بها كثيرًا، وأيضًا الأستاذ سعيد هو الذي ضيفهم وليس الأستاذ محمد.

أخبرتهم أيضًا أنها عندما أتت إلى هنا من قبل، قد رحب بها الأستاذ سعيد أشد الترحيب وعاملها معاملة طيبة، فقطعتها هويام وأخبرتها أن المواقف والأيام تكشف معدن الإنسان وليس موقف واحد فقط نستطيع أن نحكم من خلاله على الشخص إن كان جيدًا أم لا. أومأت ضي برأسها وهي تنظر إلى اختها محاولة أن تقتنع بكلامها، فهي قد أحبت الأستاذ سعيد كثيرًا منذ أن رأته لأول مرة.

قال أبو الفضل:

- حسب خبرتي أن الأستاذ سعيد شخص جيد وطيب، وأيضًا أرى أغلب من حوله في ساحة القصر يحبونه كثيرًا

وأكمل:

ولكن رجل مثل هذا سيكون له أعداء كثيرون!

فقالت ضي في تعجب:

- لماذا يا عمي؟!

فأجابها:

- المال يا ابنتي. إن الثراء سيسبب له مشاكل كثيرة، وأيضًا سمعت أنه أغنى رجل في المدينة، ولكن تواضعه لم يجعلني أصدق ذلك

ثم تابع:

- على كل حالٍ أتمنى من الله أن يحفظ له ملكه.

كان هناك من يقوم بالتجسس عليهم من خلف الباب ويستمع لكل كلمة ينطقون بها، إلى أن صعد سيف لكي يطمئن عليهم ويراهم إن كانوا يحتاجون إلى شيء ما، ولكن وجدهم قد أغلقوا الباب فخشى

أن يطرقه ويزعجهم.. فتوجه إلى الطابق السابع بغرفة المكتبة وشرع في قراءة بعض الكتب، فهو يحب القراءة كثيرًا ويمكث أغلب يمارسها.
ينام قليلًا ويقرأ كثيرًا، وأيضًا يقرأ في كل شيء، عن الصحابة، والتابعين، وتطوير الذات، والتاريخ، وجميع أنواع الروايات المختلفة، وكل ما يخطر على البال، ولا يخطر.. فبعد أن علم الأستاذ سعيد بحب سيف للقراءة منذ سنوات جاء له بمكتبة كبيرة، وخصص هذه الغرفة من أجل هذه المكتبة. يصعد لها بسلم إن أراد أن يختار كتابًا، ثم يمكث في الأسفل على كرسي ضخم ويشرع في القراءة.
ظل سيف جالسًا مكانه إلى أن انتهى من القراءة، ثم توجه إلى غرفته لكي ينام.
في غرفة الأستاذ سعيد..
يضع الأستاذ سعيد وجه حبيبته حكمة بين يديه ويطبع قبلة على رأسها وهو ينظر في عينها ويتأمل جمال عينها، فإن لعينيها الزرقاوتين سحر خاص ثم أمسكها من يدها وأجلسها على حافة السرير ونزع من على رأسها حجاب الرأس، ليرى شعرها الذهبي لأول مرة في حياته وينبهر به من شدة جماله وطوله، ثم اقترب من أذنيها هامسًا لها:

- لقد أبهرتِني أولًا بأخلاقكِ الحميدة، والآن تقومين بإبهاري مرة أخرى من شدة جمالك الذي لم ألاحظه طوال تلك السنوات التي مضت..

نظرت إليه حكمة في خجل، وقالت:

- أنت الذي أبهرتني بأخلاقك التي لم أرَ مثلها من قبل. لقد احتويتني أنا واخي منذ أن أتينا قصرك ولم تتركنا نحتاج إلى شيءٍ، ليرضى الله عنك يا حبيبي.

مسح الأستاذ سعيد على رأسها، وقال:

- أنتِ سلطانة قلبي وقصري. أنتِ كل شيء جميل في هذه الحياة. أنتِ سكني ومملكتي.

ثم اقترب من أذنيها مرة أخرى وهمس لها باسمًا:

- سأكون لكِ كل شيء من بعد الآن يا سلطانة قلبي وروحي، سأفعل المستحيل لكي تكوني سعيدة دائمًا.
- يكفي أن تكون بخير وبجانبي فقط يا حبيبي، فعندما تكون بجانبي أشعر أنني أملك كل شيء، فسعادتي بقربك.

عكس ذلك فسأكون أتعس امرأة في العالم، فأرجوك كن معي وبجانبي مدى الحياة. إن وجودك بقربي يعني لي الكثير، لذلك لا يهمني أي شيء آخر.

قالت حكمة ذلك وهي تضم يدي حبيبها بين يديها.

كل من الأستاذ سعيد وحكمة لديهما ألم واحد، لذلك يفهمان بعضهما البعض. كل منهما يعلم جيدًا ما هو مرار الفقد لذلك يخافان كثيرًا من فقدان أحدهما الآخر.

لم ينَم الحبيبان هذه الليلة فسعادتهما حكمت عليهما أن لا يستطيع أحد منهما إسقاط جفنه ولو لحظة واحدة، لم يشعرا بالنعاس ومرّ ليلهما كدقائق معدودة.

في بعض الأحيان تمر علينا الساعات كدقائق، والدقائق كثواني، حينها تشعر أنه يمر الوقت كالبرق.. هذا فقط لأنك مجتمع مع من تحب.

في صباح اليوم التالي والسكون الذي يزينه تغاريد العصافير العذبة، تقف حكمة أمام دولابها تتفحص الفساتين التي بداخله، ولا تعلم أي فستان تختار، فشعر الأستاذ سعيد أن حبيبته في حيرةٍ من أمرها؛ فاقترب منها وحدثها هامسًا في أذنيها أن جمالها سيغطي على جمال فستانها لذلك لا تحتار كثيرًا أي منهم تختار.

تنهدت حكمة وتجاهلت كلامه كأنها لم تسمع من شدة خجلها وظلت تنظر له بطرف عينها تارة وإلى الفساتين تارة أخرى. تبسم الأستاذ سعيد بخبث يعلم جيدًا أن حكمة سمعته، ولكن لم يشعرها بذلك وأعاد كلماته مرة أخرى بصوتٍ تتيقن فيه حكمة أنه يعلم أنها تسمعه،

فتجاهلت كلامه مرة أخرى ونزعت فستان من مكانه، وقالت:

- ما رأيك في هذا؟

فنظر إليها الأستاذ سعيد، وقال:

- إن زوجتي عنيدة كثيرًا! لماذا تتجاهلين كلامي يا حبيبتي؟؟ أم أنكِ عدتِ للخجل مرة أخرى!

مسكت حكمة يدي زوجها وأخرجته إلى خارج الغرفة، ثم قامت بغلق الباب دون أن تتفوه بكلمة، فضحك الأستاذ سعيد من فعلتها وقال من خلف الباب بصوت قد سمعته حبيبته:

- مجنونة!
- متعجرف!
- لقد سمعتكِ..
- وأنا أيضًا سمعتكِ

فتبسم، وقال:

- ظننتكِ أصبحتِ خرساء! أتعلمين؟ قد بدأت أشعر بالقلق عليكِ.

فصمتت حكمة ولم ترد عليه مرة أخرى، فقال:

- هل أصبحتِ خرساء مرة أخرى؟

ثم صمتت برهة، وتابع:

- هل ستتركيني حبيبتي واقفًا خلف الباب هكذا؟

تسرعت حكمة، وقالت دون قصد منها:

- نعم.

ثم وضعت يدها على فمها، وحدثت نفسها:

- ما الذي قلته أنا!

ابتسم الأستاذ سعيد، وقال:

- ليست مشكلة. إن حكَمَت عليّ زوجتي أن أظل واقفًا هكذا إلى آخر يوم في حياتي؛ سأفعل.

ظل الأستاذ سعيد بعد هذه الكلمات منتظرًا أن تجيبه حبيبته بشيء، ولكنها لم تفعل أيضًا، وبعد دقائق قامت حكمة بفتح باب الغرفة، فانصدم عندما رآها ترتدي فستانًا أبيض طويل، ينسدل على الأرض

من خلفها وينسدل شعرها الطويل الذهبي إلى آخر ظهرها، ورائحة الورد تفوح من شعرها وفستانها.
لم يتمالك نفسه وجرّها خلفه إلى داخل الغرفة وأغلق عليهما الباب بإحكام..
خرجت هويام من الغرفة، فشعر الأستاذ محمد أن هناك أحد يقف في الخارج، فخرج من غرفته مسرعًا فوجدها هويام.. تتأمل لوحات القصر الرائعة والنقوش التي رُسمت على جدرانه.
اقترب منها فظلت هويام تنظر له في تعجبٍ ودهشة، وكلما اقترب ابتعدت بقدميها للخلف إلى أن أصبحت ملتصقة في الحائط من خلفها، فظلت تنظر له في خجلٍ، وقالت:

- ابتعد من أمامي، لماذا تقترب مني بهذه الطريقة؟!

ظل ينظر لها في خبثٍ، ويقترب رويدًا رويدًا فصفعته هويام على وجهه، وأخبرته أنه شخص غير محترم، ثم ذهبت من أمامه متوجهةً إلى الغرفة مرة أخرى، فوضع الأستاذ محمد يده على وجهه وهو يكاد ينفجر غضبًا من فعلتها، وحدث نفسه قائلًا:

- إنها فتاة قوية جدًا وجريئة أيضًا، كيف تصفعني على وجهي هكذا بتلك الطريقة!

وتابع:
ألم تخف مني؟
ثم شعر بالخوف الشديد عندما خطر على باله أنها من الممكن أن لا توافق على الزواج منه لفعلته هذه، ولكن سرعان ما حدث نفسه قائلًا:

- إنها لن تجد شخصًا مثلي، وسيم وغني في آنٍ واحد.

ولكن لا يعلم هذا المسكين متطلبات هويام في شريك حياتها، وأن الغنى والجاه والمال لا يجعلونها تشعر بالانبهار رُغم الفقر الذي كانت عليه.
لقد قام بإغلاق كل النوافذ التي كانت بيننا بأفعاله الشنيعة.
لم أعد أراه مثلما كنت أراه من قبل.
أصبح غريبًا كالرجل الذي يسير في الطرقات.

شعر ابو الفضل بتوتر هويام عندما دخلت الغرفة سريعًا، فسألها هل حدث شيء ما، نظرت له هويام في صمت ثم أخبرته أنها كانت تشاهد لوحات القصر.
لم ترد هويام إخبار عمها بما فعله هذا النذل، لأنها تعلم جيدًا أنها إذا أخبرت عمها بذلك ستحدث مجزرة في القصر، لذلك فضلت الصمت.
بعض الأمور لا يجب الإفصاح عنها بل كتمانها أفضل لك ولمن حولك.
بعدما تناول الأستاذ سعيد وحكمة فطورهما في غرفتهما الخاصة، أمر الأستاذ سعيد بعض الخدم بإعداد الطعام لضيوف القصر.. وبعد دقائق كان يجلس الجميع على الطاولة باستثناء نور، ففهم الأستاذ سعيد لماذا لم تأتِ ابنته وقرر أن يذهب ويدعوها لطعام كعادته.
توجه إلى غرفتها وطرق الباب فلم نجبه بشيء، تعلم أنه والدها ورغم ذلك تتجاهله، طرق الباب عدة مرات فلم ترد أيضًا. بدأ يشعر بالقلق عليها وقام بفتح الباب فوجدها نائمة على سريرها وجفنها مغلق ولكنه يعلم أنها ليست نائمة وتتصنع النوم، فاقترب وجلس على حافة السرير وظل يمسح على رأسها قائلًا:

- ابنتي ذات الوجنتين الزاهرتين، أصلح الله حالكِ وجعلكِ من الصالحين.

وتابع:

- تعلمين كم أحبكِ، تعليمن كم ضحيت من أجلكِ، تعلمين أنني خلال هذه السنوات الماضية كنت أسعى دائمًا لإرضائكِ، ثم صمت برهة وتابع:
- ولكن إرضاء البشر عندما يكون مقدم على رضا الله تكون هذه النتيجة.

ثم قبلها على وجنتيها وذهب.
بعد خروج الأستاذ سعيد من الغرفة جلست نور على مضجعها وهي تتأفف ضامة حاجبيها، وقالت:

- لم تعد والدي ما حييت.

بعد دقائق كان الأستاذ سعيد يمكث على رأس المائدة وعلى وجهه ابتسامة خفيفة، ينظر لمن حوله بحب وزوجته الحبيبة بجانبه، ولكن تمنى لو كانت ابنته معهم.
أخبر الضيوف أنه سعيد بوجودهم ويتمنى أن يأتون دائمًا وإن لم يكن هناك مناسبة. شكره ابو الفضل ودعا الله له أن يبارك في زواجه الجديد، ويتمنى له ولأهل بيته الخير فردد الجالسين بآمين.
وبعد تناول الفطور استأذن الأستاذ محمد الأستاذ سعيد أنه سيذهب الآن لكي لا يتأخر على عمله، وبعد ذهابه توجه إليه أبو الفضل، وقال:

- إنني ذهبت منذ عدة أيام إلى الشركة وسألت عن صديقك هناك، وقد شكر عمال الشركة في أخلاقه، ثم صمت برهة، وتابع:
- ولكن أخبروني أنه لم يره أحد يصلي، فذهبت إلى المسجد وسألت عليه شيخ المسجد، وأخبرني أنه يأتي فقط لصلاة الجمعة في بعض الأحيان.. فتعجب الاستاذ سعيد من ذلك وحدث نفسه:
- لماذا لم يخبرني أن عمي ابو الفضل أتى إلى الشركة ليسأل عنه!

فقطع شروده ابو الفضل عندما قال له:

- إنه صديقك المقرب وأنت تعلم جيدًا إذا كان يصلي أم لا، أريدك أن تخبرني دون أن تجامله.

فنظرت إليه هويام في تعجب وحدثت نفسها:

- هل مازال عمي يسأل هل يصلي أم لا! يكفي أنه سأل عنه شيخ المسجد وعمال الشركة!

تنهد الأستاذ سعيد وأخرج زفيرًا هادئًا، وأجابه أن مثل هذه الأمور ليس فيها مجاملة، وأن لديه ابنه أيضًا وسيكون صادقًا معه في كل شيء.. ولكن إذا أراد أن يعلم إن كان صديقه يصلي أم لا، ثم صمت وظل ينظر إلى ابو الفضل قليلًا، ثم تابع:

- هو لا يصلي، للأسف الشديد نصحته كثيرًا ولكن دون جدوى.

ثم قال:

- هل تريد أن تسأل عن شيء آخر يا عمي ابو الفضل؟

فأجابه:

- بما أن الأصل غير موجود فلا فائدة من أن أستفسر عن شيء آخر.

فعلم الأستاذ سعيد من هذا الرد أنه لا يوافق على زواج ابنة أخيه من صديقه.

- ولكن سمعت أيضًا أن أباه كان يضرب أمه ويعاملها بقسوة شديدة..

فنظر إليه الاستاذ سعيد في تعجب، وقال:

- وكيف علمت بذلك؟

ذهبت إلى مكان بيته. أخبرني جيرانه بذلك.

- نعم إنه كذلك، ولكن ألن توافق لأن أباه كان يضرب أمه! ثم أشار بيده وقال:

- (لا تزرِ وازرةٌ وزر أخرى).

- أفهم ذلك. ولكن على الأغلب الابن يعامل زوجته كما كان يرى اباه يعامل أمه.

- أوافق كلامك يا عمي ابو الفضل، ولكن ليس جميعهم يفعل ذلك ولكن على كل حال هل اتخذتم قراركم؟

قال ذلك وهو ينظر إلى هويام وعمها:

- نعم، هويام غير موافقة لأنه لا يصلي وأنا كذلك.

- أومأ الأستاذ سعيد برأسه، وقال:

- لعله خير.

(دائمًا الأبناء هم من يتحملون أخطاء الأبوين).

شرع الله لنا الاستخارة في الاختيار، ليظهر لنا ما هو مخبأ داخل النفس البشرية.

شكر ابو الفضل الأستاذ سعيد على حسن الضيافة وتمنى له السعادة لأفراد أسرته، وعندما كان يهم بالرحيل توجهت نور من غرفتها بفستانها الأحمر القصير وهي تضع المسحوق على وجهها و أحمر الشفاه، فهو يظهر على وجهها كوضوح الشمس لشدة بياض وجنتيها وينسدل شعرها الأسود الطويل على ظهرها.

ظهرت على وجه ضي وهويام علامات التعجب والاندهاش في آنٍ واحد، ونظر ابو الفضل إلى الأستاذ سعيد نظرات عتاب ودهشةً دون أن يتفوه بكلمة، ثم تقدمت إلى رفوف الأحذية وقامت بارتداء حذائها العالي وهي تخبر والدها أن صديقتها في انتظارها في الخارج للتنزه.

تعجب الأستاذ سعيد من ذلك وأخبرها أنه مازال الوقت مبكرًا، وتابع:

- وأيضًا هل أخبرتِني قبلها يا ابنتي أنكِ ستتنزهين مع صديقتكِ؟

تنهدت نور، وقالت:

- في المرة القادمة سأخبرك يا والدي.

قالت ذلك وهي تغلق باب القصر خلفها بقوة دون أن تضع حسبانًا للضيوف الموجودين أمامها.

ذهب ابو الفضل بعد أن ودع الأستاذ سعيد دون أي تعليق عما بدر من نور. هو أيضًا يرى أنه من العيب أن يدخل نفسه في شيءٍ لا يعنيه ويحمد الله على تربية أولاد أخيه تربية صالحة، ولكن في الوقت نفسه لا يستطيع أن يصدق أن نور والدها هو الأستاذ سعيد الذي يعرف الله ويعامل غيره معاملة حسنة، ولكن تنهد بعد تفكير، وقال:

- ليصلحها الله.

توجه الأستاذ سعيد إلى غرفته لكي يخبر حبيبته أن الضيوف قد ذهبوا لأنها لم تجلس كثيرا على المائدة. قد اعتذرت وذهبت إلى غرفتها تقرأ ورد القرآن لأنها تحب افتتاح يومها بتلاوة القرآن ليجعل الله لها البركة في باقي يومها.

لاحظت حكمة علامات الحزن على وجه زوجها الحبيب، فظلت تنظر إليه، ثم قالت:

- ما الذي أحزنك يا سعيد؟ أرى على وجهك الحزن؟
- لا شيء يا حكمة.

قال ذلك وهو يقبلها بين جبينها، فأرادت حكمة التخفيف عنه، وقالت بعد أن تبسمت بخبثٍ:

- إذن فإن زوجي حزينٌ لأنه قد وقع في بلاء كبير، وهذا البلاء أنه تزوج بي!

تعجب الأستاذ سعيد من كلامها وظل يضحك هو وحبيبته، وعلت ضحكاتهما أنحاء الغرفة، ثم قال مازحًا:

- نعم هو كذلك، قد سببت لنفسي بلاء كبير لا أستطيع الخروج منه.

وأكمل:

- وأيضًا قد حُكم علي أنه سيظل مرافقني إلى آخر يوم في حياتي.

قامت حكمة من على سريرها ثم توجهت إلى حقيبة السفر وقامت بفتح دولابها وهمت بوضع ملابسها في الحقيبة وهي تتذمر بدلالٍ وتقول:

- إذًا سيذهب هذا البلاء من حيث أتى.

انفجرت أسارير الأستاذ سعيد، وقال:

- إنني أوافق على هذا البلاء وأحمد الله عليه، وأيضًا ليس كل بلاء نقمة.. أحيانًا يأتي على هيئة نعمة.

ثم قال باسمًا:

- لذلك ليس لك شأن في ذلك.

ثم أخذها بين حضنه بعد أن توجه إليها وهو يمسح على رأسها، ويقول:

- إنني أمزح معكِ يا ذات عيون الغزال، ثم إنني لم أضحك من قلبي هكذا منذ فترة، ليرضى الله عنكِ.

تبسمت حكمة، وقالت:

- ولكن ألن تخبرني بما كان يحزنك منذ قليل؟

قالت ذلك وهي تنزع رأسها من بين حضنه وتنظر إلى عينه مباشرة.

تنهد الأستاذ سعيد وأخبرها بما فعلته صغيرته المدللة قبل قليل وإحراجها له أمام ضيوفه، وأنه لم يعد يستطيع فعل أي شيء معها فأصبح عاجزًا أمامها.

وضعت حكمة يد زوجها بين يديها وهي تضغط عليهما برفقٍ كأنها تريد التخفيف عنه، ثم قالت:

- هون عليك يا حبيبي، كل منا لديه بلاء ما..
- تريدين أن تقولي أن ابتلائي في ابنتي؟

صمتت حكمة وظلت تنظر إلى زوجها دون أن تتفوه بكلمة، فأخبرها بعد أن نزع يده من بين يديها وهمّ واقفًا أنه من جلب لنفسه هذا البلاء وأنه من قام بتدليلها بطريقة مبالغ فيها، وكل مطالبها كانت مجابة، وكلما أرادت فعل شيء كان يتركها تفعله دون أن يوجهها للصواب وأيضًا لم يزرع في قلبها منذ الصغر حب الصلاة أو حفظ القرآن، ولم تذهب إلى حلقة القرآن منذ آخر يوم ذهبت فيه.. وتابع:

- ولا تريد أن ترتدي الحجاب.

ثم أخبرها بعدما أخرج زفيرًا حانقًا أنه لا يعلم كيف سيقابل الله بهذا الشكل، لأن ابنته سيُسأل عنها أمام الله.

ثم أكمل كلامه عابس الوجه:

- هل سأُسأل عن صلاتها؟ أم حجابها؟ أم عدم حفظها شيء من القرآن؟ أم أخلاقها التي تسوء مع الأيام؟

ظل الأستاذ سعيد يقول هذا الكلامات لحكمة بغضبٍ وبصوتٍ مرتفع يكاد يهز أركان الغرفة. هو يخفي في قلبه الكثير من هذه الفتاة يحاول أن يصبر عليها ولكن دون جدوى، لذلك أخرج هذا الكلام الذي حُفر بداخله منذ وقت طويل.

وبعد لحظات أفاق من غضبه الشديد، وشعر أنه قد قال كلمات ليس لحكمة شأن بها، فظل ينظر إليها في صمتٍ ففهمت حكمة ذلك، وقالت:

- أكمل يا حبيبي، إنني أستمع إليك.
- ليس هناك ما أكمله، إنني فشلت في تربيه ابنتي.

تنهدت حكمة وأخبرته أن لا ينسى أنه ربى سيف تربية جيدة، وأنه أصبح شابًا صالحًا قلبه طاهر ومعاملته حسنة لمن حوله، أما عن ابنته فهو فعل ذلك لحسن نية كان يريد فقط أن يعوضها غياب أمها، ولا يقصد بذلك أن يربيها تربية سيئة.

ولكن لديه فرصة أن يصلح ما حدث ولكن عليه أن يتحلى بالصبر فقط والدعاء لها وأنها سوف تساعده في ذلك. فعندما يكون في العمل ستشجعها على أداء الصلاة وأيضًا ستحفظها القرآن وتعلمها الأخلاق الحميدة.

نظر الأستاذ سعيد إلى حكمة لا يدري ماذا يقول لها، فهو يعلم جيدًا أن نور أخذت حكمة عدوة لها منذ أن تزوج منها، ولكن رغم ذلك لم يرِد أن يقول كلام يحزن حكمة ودعا الله أن يعينها وتكون سببًا في هدايتها.

يقف الأستاذ محمد مشرفًا على عمال الشركة متذكرًا هويام عندما صفعته على وجهه، ثم أخرج مذكرته من جيبه، وظل يقلب صفحة تلو الأخرى إلى أن وصل لصفحة خالية من الكلام، وكتب فيها:

- أحببتكِ أكثر مما ينبغي لدرجة أنك لم تتغيري في عيني عندما صفعتِني على وجهي، لتكون هذه الصفعة يا صغيرتي بردًا وسلامًا على قلبي.

عندما عادت هويام وضي إلى البيت ظلت هويام تقص على أمها كل شيء حدث في القصر، وكيف كان ترحيب الأستاذ سعيد بهم وعن جمال القصر وروعة العروس، ومعاملته الطيبة لهم وأن هناك أشخاص كثر حضروا الفرح من طبقات مختلفة إلى أن وصلت إلى ما فعله الأستاذ محمد وقربه منها بهذه الطريقة الشنيعة. كادت أن تخبر أمها ولكنها توقفت قليلًا، وحدثت نفسها قائلة:

- رغم أنه فظ كثيرًا إلا أنني سأستر عليه لكي لا يكون في قلبها شيء تجاهه، وأيضًا سيخبره عمي غدًا أنني لست موافقة وينتهي الأمر.

في اليوم التالي بعد انتهاء ابو الفضل من صلاة الظهر في المسجد المجاور للشركة، توجه مباشرةً إلى الأستاذ محمد فوجده يقف مشرفًا على عمال الشركة شاردًا كعادته، فقطع شروده عندما ألقى السلام عليه وتبادلا التحية، فأخبره الأستاذ محمد أن يتفضل إلى مكتبه وأمر شيف الشركة أن يحضر له أشهى الطعام وبعد جلوس ابو الفضل والأستاذ محمد معًا، أخبر الأستاذ محمد بعد وضع أطباق الفواكه والمكسرات أمامه أن ينتظر إلى أن يأتي الشيف بالغداء.

تبسم ابو الفضل، وقال:

- شكرًا لك يا بني هذا من فضل كرمك، ولأنني أخبرتك المرة السابقة أنني سأقبل ضيافتك في يومٍ آخر قد جعلت صديقي يقف على دكاني اليوم فأنا عند وعدي، خذ راحتك.

فرح الأستاذ محمد، وقال:

- حسنًا ليكن اليوم يومك يا عمي ابو الفضل، ثم حدث نفسه قائلًا:
- يبدو أنه سعيد جدًا، هذا يعني أن هويام موافقة على الزواج مني، ثم ضحك بصوتٍ قد سمعه ابو الفضل، وقال بصوتٍ غير مسموع:
- ولماذا سترفض الزواج بشخص مثلي؟

قطع تفكيره ابو الفضل عندما سأله عن السبب الذي يجعله يضحك هكذا، فهز رأسه نافيًا أنه لا شيء.

ظل ابو الفضل ينظر له في تعجب، ثم قال:

- ليجعل الله خبري له بردًا وسلامًا على قلبه، ويرزقه الله بما هي أهل له.

بعد تناول ابو الفضل والأستاذ محمد الطعام معًا، توجه إليه ابو الفضل وشكره على حسن الضيافة، ثم قال:

- تعلم أنني قد أتيت لإخبارك بقرار ابنة اخي..

قال محمد متحمسًا:

- نعم هو كذلك يا عم.

ظل ابو الفضل ينظر له في صمتٍ، ثم تغير تعبير وجهه الباسم إلى نظرة أكثر جدية وأخبره بصوت قوي ثابت:

- ليجعل الله ما هو خير لنا جميعًا، إن ابنة اخي بعد صلاة الاستخارة تمنت أن يرزقك الله بزوجة أفضل منها.

حملق الأستاذ محمد في عينيه وظهرت على وجهه علامات الدهشة والاستغراب لعله يعي ما قاله ابو الفضل، وقال بعد صمتٍ طويل:

- تقصد أنها ليست موافقة على الزواج مني يا عميِ؟

أومأ ابو الفضل برأسه موافقًا وأخبره أنه لا يريده أن يحزن لأن هذه نتيجة الاستخارة.

فسأله محمد في تعجبٍ عن سبب رفضها من شخص مثله لأنه لا ينقصه شيء

- سأكون صريحًا معك يا بني..

ثم أخبره أن هويام تريد شخص يصلي وقريب من الله وهذا شرطها الأول في الزواج، لأنه لا يغريها منصب ولا مال.

صمت الأستاذ محمد قليلًا، ثم قال بعد ما ظهرت على وجهه ابتسامة عريضة:

- حسنًا كما يحلو لها، أتمنى أن يرزقها الله بأفضل مني.
- سلمت يا بني.

صافح ابو الفضل محمد، وشكره على حسن استقباله وضيافته، ثم تركه وذهب..

جلس الأستاذ محمد على مكتبه وهو يتذكر كل لحظة رأى بها هويام من أول مرة رآها بين الحياة والموت أمامه، إلى آخر مرة صفعته على وجهه، وظل يردد:

- هويام، هويام هويام..

وبعد مرور شهر..

في منتصف الليل يستيقظ الأستاذ سعيد مفزوعًا وكل من في القصر على صوت صراخ كاد أن يهز أركان القصر بأكمله..

فتوجه الأستاذ سعيد سريعًا وهو في فزعٍ شديد يتعقب الصوت ويذهب إليه ليصعق عندما وجد حبيبته حكمة تجري في أنحاء القصر من شدة الألم، لأنها لا تستطيع تحمله وتصرخ مستنجدة به.
جسدها ينتفض أمام الجميع وتتخبط في الأثاث من حولها إلى أن وقعت مغشيًا عليها في الأرض، ظل كل من حولها ينظر لها في دهشة ورعب يستوعبون ما يحدث أمامهم، إلى أن سكن جسدها أمام الأستاذ سعيد وأغمضت عينها وكأن الحياة توقفت حولها وهو ينظر لها في صدمة لعله يعي ما يحدث لحبيبته.
لعله في حلمٍ ليس أكثر.. ولكن إنها حقيقة ونحن مجبرون أن نصدق بعض الحقائق المؤلمة، وبعد لحظات من الصمت جثى الأستاذ سعيد على ركبتيه بجوار حبيبته وهو يحملق في جسدها فوجد جسدها مليئًا بالندوب الحمراء وكأن جسدها محروق!
تقدم أطباء القصر سريعًا حاملين حكمة من أمامه إلى غرفة الإسعافات وهو مازال جالسًا يحملق بجسدها إلى أن ذهبوا من أمامه غالقين الغرفة خلفهم بإحكام.
وبعد قليل من الفحص ظل الأطباء ينظرون لبعضهم في دهشة ويتمتم بعضهم بكلام غير مفهوم، ثم قال كبيرهم:
- كيف سنخبر الأستاذ سعيد بذلك! ومن المجرم الذي فعل ذلك؟
فنظر إليه باقي الأطباء وهم يحركون رؤوسهم بالنفي. أصبحوا في حاله تعجزهم عن الكلام.. وبعد دقائق ظل الأستاذ سعيد يطرق على الباب كثيرًا وهو يبكي قهرًا ويخبرهم أن يفتحو الباب لكي يطمئن على حبيبته.. تنهد كبير الأطباء وظل يهدئ نفسه ثم قرر أخيرًا فتح باب الغرفة وعندما وجد الأستاذ سعيد منهارًا طأطأ رأسه وظل ينظر إلى الأرض لا يدري ما يقول له..
لكمه الأستاذ سعيد لكمة قوية، وقال:
- اذهب من أمامي.
ثم جلس على حافة السرير بجانب حبيبته وهو ينظر لها وعلى علمات الحرق التي في جسدها، فقد أصبح جسمها مشوهًا وهو يبكي قهرًا عليها، ويقول:

- أخبروني ما الذي حدث لحبيبتي!!

ربت كبير الأطباء على ظهره بحنان وهو يقول:

- إنا لله وإنا إليه راجعون

ظل يكررها أكثر من مرة وهو يبكي.

نظر إليه الأستاذ سعيد بعدما أدرك ما يقوله، ثم قال:

- هل تعني من كلامك أن حبيبتي قد ماتت؟

وتابع:

- لا تقول ذلك أرجوك!!

دس الطبيب رأسه في حضنه وهو يبكي وجميع من حوله يبكون عليها حتى نور بكت قهرًا في هذا اليوم، فمن تركتهم وذهبت ليست أي أحد ولكنها حكمة التي تركت في كل قلب من حولها ذكرى طيبة لا تُنسى.

بعد الصياح والبكاء الذي قد اقتحم سكون الليل، أفاق الأستاذ سعيد بعد غفوته لينظر للأطباء وهو ويقول بتنهدٍ وإعياء شديد:

- أخبروني كيف حدث لها ذلك؟ وكيف لهذه العلامات أن تملأ جسدها بهذه الطريقة!

ظل الأطباء ينظرون له في صمت والقصر متجمعٌ من حوله والكل على عجلة بمعرفة ما حدث لحكمة، فتقدم كبيرهم، وقال:

- سيدي، هل لك أن تخبرني أين نامت حكمة منذ المساء؟

تعجب الأستاذ سعيد من ذلك وظهرت على وجهه الدهشة، وقال وهو يحملق في الفراغ من فوقه ويمسح دموعه التي كلما مسحها نزلت مرة أخرى:

- وأين ستكون؟

وتابع:

- كانت نائمة بجانبي!

والفستان التي كانت ترتديه.. متى ارتدته؟

قال الأستاذ سعيد وهو يبكي دمًا على حبيبته:

- قبل النوم مباشرةً وكان آخر ما رأته وسمعته منها ابتسامتها العذبة وقول:

"صبحك الله بالخير، حبيبي".
نظر الطبيب إلى الأستاذ سعيد والى الحشد من حوله وطال صمته، إلى أن قطع صمت الطبيب سيف الذي أتى إلى القصر بعد أن أمره الأستاذ سعيد ليلة أمس بالمبيت في الشركة، فظل ينظر إلى جميع الواقفين أمامه وهم يبكون ويصيحون باحثًا عن أخته حكمة بينهم.
صُدم عندما رأى أباه نائمًا أمامه غارقًا في دموعه، ثم نظر إلى نور التي كانت تجلس على الأرض واضعةً رأسها بين يديها وتبكي بحرقة.. فتجعب من ذلك لدرجة أنه شك أنه دخل قصر آخر غير الذي تركه بالأمس، ثم قال بتلعثمٍ وهو يتفقد الحاضرين مرة أخرى لعله يجدها أمامه:

- ما الذي حدث لكم؟ وما الحالة التي أنتم عليها؟

ظل ينظر له الحاضرين في صمت فأشار إليه الأستاذ سعيد أن يأتي بجانبه، ثم قال:

- اجلس بجانبي يا بني

شعر سيف أن شيء ما قد حدث لأخته، فسألهم الجميع عن أخته وهو ينظر إليهم واحدًا تلو الآخر، فلم يجبه أحد، فظل يصرخ ويقول:

- أخبرتكم أين اختي؟!!

فخرج من بينهم طفل يبلغ من العمر سبعة أعوام وتقدم إليه، ثم قال وهو يمسك أحد أصابعه بيده الصغيرة الناعمة:

- إن خالتي حكمة قد توفاها الله.

نزع سيف إصبعه من بين يديه وهو يقول:

- ماذا!!

ثم تابع:

- ما الذي يقوله هذا الطفل؟

ثم أومأ برأسه رافضًا:

- لا.. لا لا يبدو أنني أحلم!!

وظل يضرب الأرض بقدميه بشدة، ويقول:

- نعم إنني أحلم، إنني أحلم! لا أحد يقول أن اختي رحلت وتركتني.

تذكر سيف أن ما يفعله يغضب الله، فظل يهدئ من روعه وهو يقول بكلام متقطع:

- إن لله وإنا إليه راجعون!

ثم همّ واقفًا وظل ينظر للجميع وهو يمسح بإصبعه دموعه التي كلما مسح بعضها ينزل غيرها مواسيًا نفسه:

- لا بأس، كلنا حتمًا سنرحل، ولكن سيكون موعدنا بإذن الله الجنة.

ثم نظر إلى الأطباء، وقال وعيناه حمراوتان من شدة بكائه:

- هل لكم أن تخبروني ما الذي حدث لاختي؟

تقدم إليه كبير الأطباء، ثم قال وهو ينظر إليه والى الأستاذ سعيد:

- قد وضع أحدهم السم على فستان اختك الذي ارتدته بالمساء.

ثم تابع:

- يبدو أن أحدًا دخل غرفتها وفعل ذلك دون أن يشعر به أحد!

نظر سيف والأستاذ سعيد لبعضهما البعض في صدمة بالغة، ولم يستطع أحدهما التفوه بكلمة واحدة وكأنهما عجزا عن الكلام

بينما ملأت الدهشة عيون الحاضرين، وظلوا يصيحون بأعلى صوت أنهم يريدون الثأر لها ومعرفة من فعل بها هذا في أقرب وقت.

والآن سيقلبون هذا القصر رأسًا على عقب..

نطق سيف أخيرًا متلعثم الكلام:

- ما الذي تقوله يا هذا؟

بينما الأستاذ سعيد شرع في البكاء مرة أخرى، لا يدري ماذا يقول.

بعد قليل جاءت الشرطة إلى القصر وظلوا يحققون مع الأستاذ سعيد، وسألوه إن كان هناك أحد يعمل عنده يشك أنه من فعل ذلك، سواء كان من الخدم أو من في القصر.

فنظر الخدم إلى بعضهم البعض في دهشة وقال كل منهم أن حكمة كانت بمثابة اختٍ لهم وكانوا يحبونها جميعًا، فنظر الظابط إلى الأستاذ سعيد لعلّه يؤكد ما يقولونه فأومأ الأستاذ سعيد برأسه

موافقًا على كلامهم، ثم توجه الظابط بسؤال للأستاذ سعيد مرة أخرى إن كان هناك من كان يرفض زواجه من الخادمة حكمة أو ما شبه ذلك، نظر إليه الأستاذ سعيد في صمت، ثم أخبره أن بعض الأسر الأغنياء كانوا يعترضون على هذا الزواج، ولكن لم يأتِ أحد منهم زفافه!

تنهد الظابط، وقال:

- إنني لا أسال على أناسٍ لم يدخلوا قصرك! أسأل إن كان هناك أحد من الأقربين كانَ يرفض هذا الزواج..

فنظر الحاضرين إليه في دهشة كل منهم يعلم جيدًا أن نور من كانت ترفض هذا الزواج وافتعلت أكثر من مشكلة خلال هذا الشهر مع الخادمه حكمة؛ فنظروا جميعًا لها حتى أن والدها قد نظر إليها فقال أحد الخدم:

- اعذروني على قول ذلك..

ثم أشار بيده إلى نور، وقال:

- هذه الفتاة المغرورة كانت تعترض على هذا الزواج، يبدو أنها من فعلتها!

تقدم سيف خطوة بعد خطوة تكاد خطواته تهز الأرض من قسوتها، وكان الغضب يتطاير من عينيه ثم صفعه على وجهه، وقال:

- هل تتهم طفلة بالقتل أيها الحقير! وأيضا كل منا لو كان والده تزوج من غير أمه كان سيحزن!

ظلت نور تنظر لهم وجسمها يرتجف من شدة الخوف وتنزل دموعها على وجنتيها بغزارة وهي تحرك رأسها نافية:

- لم أفعل ذلك، لم أفعل ذلك!

وتابعت وهي تبكي بحرقة:

- وأيضًا كيف سأفعل ذلك!

فأخذها والدها بجانبه وظل يربت على ظهرها قائلًا:

- لا تخافي يا صغيرتي، أعلم يا ابنتي أنكِ لم تفعلي ذلك.

فأمر الظابط الحراس أن ينتشروا في جميع القصر ويبحثون في كل مكان، ولا يتركون شيئًا غير أن يبحثون فيه لعلهم يجدون شيئًا مشبوهًا به.

ثم تقدم إلى نور وقام بتقييد رجليها وقدميها وأخبر أباها أنه يجب أن تذهب معه، ليلقي بعض التحقيقات معها؛ فصعق الأستاذ سعيد من ذلك، وقال:

- ما الذي تفعله؟ إنني متأكد أن ابنتي لا تفعل شيء كهذا!
- ولكن الشُبهة عليها، لا تقلق ستعود ابنتك في أقرب وقت. فقط سأقوم معها ببعض التحقيقات.

وافق الأستاذ سعيد على ذلك، لأنه يعلم أن هذا قانون بلادهم. عندما تكون الشبهة على أحدٍ ما يأخذونه ويحققون معه، فتقدم سيف، وقال:

- سأذهب معكم، لن أترك نور تذهب في هذا المكان بمفردها.

بعد بحث طويل في القصر لم يجد الحراس شيئًا مشتبه به، فأمر القائد الظباط أن يجتمعوا لكي يذهبوا، ثم أشار إلى الأستاذ سعيد أنه يجب أن يعلم من الذي فعل ذلك في قصره لأنه في خطرهو وأهل بيته، وإن تعرض أحد من القصر للأذى مرة أخرى فهو المسؤول أمامه عن ذلك، ثم تركه وذهب بعد أن أخذ ابنته.

في عربه الشرطة تجلس نور وسيف في الخلف حيث لا يوجد أحد غيرهما، ظلت نور تنظر لسيف وتتأمل وجهه الحزين وشروده الذي لازمه منذ ركوب العربة، فقطعت شروده عندما قالت:

- سيف!
- نعم
- اقسم بالله أنني ليس لي ذنب..

وكادت تقول في موت اختك إلى أن قاطعها سيف بعد أن نظر إليها نظرة تكاد تقتلها، وقال بنبرة حادة بعض الشيء:

- إنني واثق أنكِ لم تفعلي ذلك، لذلك لا تتعبي نفسك في الكلام.

ثم أشاح نظره عنها وعاد لشروده مرة أخرى وهو يتذكر كل اللحظات الجميلة التي كانت بينه وبين أخته، فقطعت نور شروده مرة أخرى، وقالت:

- ـ منذ اللحظة التي وعيت عليها في هذه الدنيا وأنا متعلقة بك، وأحببتك كثيرًا كأخ لي أنت وخالتي حكمة.

ثم تابعت:

- كنت أظنها أمي وأنت اخي لمعاملتكما الحسنة والطيبة معي، ولكن رغم ذلك قد بدرت منى أشياء كثيرة ليست جيدة تجاهكم، ثم صمتت برهة، وقالت:
- من الآن علمت أن المال والملك ليس كل شيء، بل الأهم من ذلك هي الأخلاق الحسنة.

ثم شرعت في البكاء وتابعت:

- أتمنى من اختك أن تسامحني، إنني فتاة بالغة وسأحاسب على ذلك.

ثم وضعت يدها بين يدي سيف، وقالت وهي تنظر في عينه:

- سيف، أتمنى منك أيضًا أن تسامحني..

نزع سيف يده من يدها وظل ينظر لها في حزن، ثم قال:

- قلتِ منذ قليل أنكِ فتاة بالغة، لذلك أتمنى أن لا يصدر منكِ شيء مثل هذا مرة أخرى!

فظلت تنظر إلى يديه، ثم أشاحت وجهها عنه في خجل، وقالت:

- تعلم أنني منذ الصغر اعتدت أن تكون يدي ملاصقة ليدك عند الحديث معًا، لذلك اعذرني ولن يحدث ذلك مرة أخرى.

صمت سيف ولم يرد عليها ورجع لذكرياته مرة أخرى:

في صباح اليوم التالي، يقف الأستاذ سعيد في المشفى يشاهد غُسل حبيبته وقلبه يعتصر ألمًا من شدة حزنه عليها، ثم حدث نفسه قائلًا:

- لماذا يتركوني أحبتي دائمًا ويرحلون؟ في البداية عشيقتي نهى، ثم بعد ذلك حبيبتي حكمة.. لقد كتب لي القدر أن أظل بدون أحبتي إلى آخر يوم في حياتي!

ثم تابع:

- لن أفعلها مرة أخرى.

ثم صمت برهة وقال:

- اللهم لا اعتراض على قضائك، وإنا لله وإنا إليه راجعون.
- ولكن من الذي فعل بها ذلك؟ لن أقول غير حسبنا الله ونعم الوكيل.
- إنني واثق أن الله سيكشف لي ذلك الخائن الذي قتل حبيبتي، وأقسم أنني لن أدعه حيًا منذ هذه اللحظة.

في صعيدٍ آخر..

كانت تجلس في العربة بجانب شاب عريض القامة قوي البنيان متوجهًا معها إلى المدينة وهي تشعر بتوتر شديد ناظرة إلى السماء من شرفة العربة، تدعو الله أن يكون عمها بخير.. وبعد مرور ساعة ونصف كانت العربة تقف عند بوابة القصر فنظر إليها الشاب بعينه الضيقة وسألها هل يأتي معها.. فأومأت برأسها موافقة، وبعدما تقدمت إلى باب القصر وجدت أناس خارج القصر من نساء ورجال وأطفال يرتدون ملابس سوداء.

منهم من يظهر على وجهه الحزن، ومنهم من يجلس في الأرض و يبكي بحرقة فزاد توترها أكثر وتوجهت إلى هذا الشاب، وقالت في خوفٍ:

- يبدو أن عندهم حالة وفاة، ليرزقهم الله الصبر، ثم صمتت قليلًا، وتابعت بتوتر:
- ولكن من سيكون هذا الشخص الذي توفى؟ أخشى أن يكون من أقارب الأستاذ سعيد!

ثم ذهبت مسرعة تجاه باب القصر الداخلي فوجدت الباب مفتوحًا على مصراعيه، فوقفت بالخارج تنظر داخل القصر فوجدت نور تأتي من الداخل، وعينيها حمراوتين من شدة البكاء، فصُعقت من ذلك وسألتها من الذي توفى، فأخبرتها نور بتلعثم بعد لحظات من الصمت أن الخالة حكمة قد توفاها الله.

صُعقت هويام وظلت تنظر لها في صدمة كبيرة، ثم شرعت في البكاء وأبكت معها نور مرة أخرى، وبعد دقائق وجدت الأستاذ

محمد يأتي هو الآخر إلى القصر وتظهر على وجهه علامات الحزن والأسى، فظل ينظر لها في تعجبٍ ثم سألها عن سبب مجيئها أم أخبرها أحد بوفاة الخادمة حكمة، تجاهلت سؤاله لها ثم توجهت إلى نور، وقالت:

- وأين العم سعيد؟
- في طريقه من المشفى، سيأتي بعد قليل لصلاة الجنازة
- وأين ستكون الصلاة؟

أشارت نور بيدها إلى المسجد المجاور إلى القصر، وقالت:

- في هذا المسجد..

ثم أخبرتها أن تنتظر لكي تذهب لترتدي العباءة السوداء والطرحة، وستعود سريعًا.

بعد ذهاب نور.. تقدم الأستاذ محمد إلى هويام وانتهز الفرصة وهو يبتسم بخبثٍ، لم يعلم أن هناك من بالقرب منها ويستمع لكلامه أيضًا، وقال:

- تبدين جميلة عندما تبكين.

نظرت إليه هويام وكادت أن توبخه، فقال سريعًا:

- لم تخبريني بسبب مجيئك!

ثم تابع:

- أم أن صديقي العزيز أخبركم بموت الخادمة حكمة؟ ثم نظر حوله وكأنه يبحث عن شيء، وقال:
- ولكن هل أتيتِ وحدكِ؟ أين العم ابو الفضل؟

ظلت هويام صامتة ولم تجبه بشيء، فقط نظرت له نظرة كادت أن تجعل الأرض تنشق وتبلعه.. نظرة كلها غضب واشمئزاز.

فتقدم إليه الشاب الذي كان بصحبتها، وقال بعد أن أمسكها من يدها ورمى الأستاذ محمد بنظرة غضب، وكأنه يخبره أنه لولا حرمة الميت لضربه حتى الممات.

- تعالي معي.

نظر إليه الأستاذ محمد في دهشة، وقال:

- من أنت؟

فلم يجبه بشيء وظل ينظر له وهو يذهب من أمامه رويدًا رويدًا ويمسك بيدي هويام، فذهبت نور مسرعة خلفهم وأخبرت هويام أن تأتي معها للمسجد لأن أداء صلاة الجنازة قد اقترب وقتها.

بعد قليل..
كان يقف جمعٌ حاشد خارج المسجد في صفوف متساوية لأداء صلاة الجنازة، تعالت أصوات بكائهم المدينة بأكملها تكاد تصعد عنان السماء، لتشكو إلى السماء ما بهم من أوجاع لتمطر حزنًا هي الأخرى.
وبعد انتهاء الصلاة تقدم الشيخ إدريس إلى الأستاذ سعيد يعزيه ويربت على كتفه محاولًا التخفيف عنه داعيًا له بالصبر.
بعد ذلك تقدم الأستاذ سعيد إلى القصر مسرعًا لكي يتحاشى الكلام مع أي أحد، ولكي تهدأ النفوس قليلًا وينقطع البكاء.
ذهبت نور مسرعةً خلف أبيها وأخبرته أن هويام ومعها أحد الشباب تريد أن تسأله عن شيء ما..
تعجب الأستاذ سعيد من ذلك، ثم أخبر نور أن تأتي بها إلى القصر.
بعد لحظاتٍ كانت هويام تجلس على الطاولة أمام الأستاذ سعيد تعزيه، ودعت له بالصبر وسألته إن كان هناك سبب لمماتها، فأخبرها الأستاذ سعيد بالطريقة التي ماتت بها حبيبته وكيف كان ينفض جسدها أمامه وتموت ببطء. صُدمت هويام من ذلك ودعت الله على من فعل بها ذلك.
ثم سألها الأستاذ سعيد عن سبب مجيئها فأخبرته هويام في قلق شديد أن عمها خرج البارحة بالقرب من مدينتهم لمقابلة شخص ما، ولكن بعد أن وصل إلى هذا المكان وتحدث معهم على الهاتف يطمئنهم أنه قد و صل، بعد هذه المكالمة لا تعرف عنه شيئًا وهاتفه مغلق.
تعجب الأستاذ سعيد من ذلك، وسألها هل تعلم من هذا الشخص الذي قابله.

فأجابته هويام أنها لا تعرف شيئًا عن هذا الشخص، ولا تعلم بمن التقى، فنظر الأستاذ سعيد لها في صمتٍ لا يدري ماذا يقول لها وظهر على وجهه بعض التوتر، ما جعل هويام يزداد قلقها فشرعت في البكاء، وقالت:

- يبدو أنه حدث له شيء ما!

كان حينها يتقدم الأستاذ محمد إليهم وسمعها تقول ذلك، ثم قال موجهًا كلامه إليها:

- من الذي حدث له شيء يا هويام؟

نظر إليه الأستاذ سعيد، وقال:

- إن عمها مفقود من البارحة. تقول أنه ذهب لمقابلة شخص ما قرب مدينتنا ولكن بعد اتصاله بهم لم يعرفوا عنه شيء، وهاتفه مغلق.

فنظر إليها الأستاذ محمد في تعجبٍ، وقال:

- هل تعرفين من هو ذلك الشخص؟

فأجابه سريعًا الشاب الذي كان بصحبتها، وقال:

- لو كنا نعرف لم نكن في هذا المكان الآن!

فنظر إليه الأستاذ محمد في غضب وهو يحدث نفسه:

- من هذا الشخص الذي يصطحبها؟ حتمًا يجب أن أعرف من هو.. ولكن لا أظن ذلك، لا أظن أنه خطيبها.

فقطع شروده الأستاذ سعيد عندما قال:

- اذهب أنت إلى الشركة يا صديقي

ثم قام من مكانه موجهًا كلامه لهويام وابن اختها:

- أما نحن، سنذهب بقرب المدينة الآن وسنسأل عنه هناك.. ثم إنني لدي أصدقاء يسكنون هناك لعلهم يفيدوننا بشيء.

فطبعت الدهشة على جميع الحاضرين، وقال بعضهم:

- في يوم جنازته يذهب للبحث عن شخصٍ غريب!

ثم قال الأستاذ محمد:

- اترك لي هذه المهمة يا صديقي، فأنت لم تُشف بعد من حزنك على موت زوجتك.

- لا أريد المكوث في جحيم الحزن، سأذهب إلى عملي مباشرةً بعد أن أنتهي من البحث عن عمها.

تجلس نور في غرفة الخادمة حكمة وأبيها بعد ذهابه، وتبكي بحرقة. تتفقد عينها جميع أغراض حكمة ثم تقع عينها على خاتمها الألماظ وتضعه بين يديها تتأمله.. وبعد لحظاتٍ قامت بارتدائه وحدثت نفسها أنه سيظل في إصبعها إلى الأبد ولن تنزعه مهما حدث، ثم أخرجت فساتينها، وقالت بائسة:

- سأجعل خياطة القصر تجري تعديلات عليها لتكون مناسبة لطولي.

ثم جلست على السرير، وتابعت:

- لعلي عند ارتدائها تظل رائحة أمي في أنفي طوال الوقت. نعم أمي التي ربتني ورعتني منذ نعومة أظافري، وعاملتني بأمومة وحنان.

قالت ذلك وهي تبكي بحرقة وتتمتم ببعض الكلمات منها:

- كانت بمثابة أم لي، كانت كل شيء بالنسبة لي، حتى أنها كانت صديقتي، نعم صديقتي.

فعاد شريط الذكريات وظلت تتذكر بعض اللحظات التي كانت تجمعهما ببعضهما البعض، ومنها أنها كانت تقص عليها كل شيء يحدث معها في المدرسة والمشاحنات التي كانت تقع بينها وبين أصدقائها في بعض الأحيان.

وكانت أيضًا تغني لها أغنية قبل النوم إلى أن اعتادت أن تنام وهي تغني لها وتلعب بخصلات شعرها الناعمة إلى أن تشرع في نوم عميق ولكن من الآن لن تكون هناك حكمة، ستكمل نور باقي عمرها في ذكرياتها الجميلة.

***

الفصل الثاني عشر

أصبحت الخيانة شيئًا اعتاد عليه البشر، إلى درجة أنهم يرحلون عنا ويتركون الذكريات خلفهم تمزقنا من شدة الألم.

توجهت نور إلى المطبخ فوجدت سيف يجلس على الطاولة عابس الوجه، وكان يبدو عليه الشرود بشدة. من الواضح أنه هو أيضًا يعيد شريط الذكريات، فظلت تنظر إلى المطبخ وتحملق في كل زاوية وكل شيء داخل المطبخ.. فزاحمتها الذكريات مرة أخرى، ثم قالت:

- هنا كانت أمي تطهو الطعام.

ثم أشارت إلى الطاولة..

- وهنا كنت أجلس للحديث معها وفي المقابل تسمعني دون ملل.. وهنا..

ثم أشارت إلى مقعد أكبر حجمًا:

- كنا نجلس بجانب بعضنا البعض وتطعمني بيدها ثم صمتت برهة، وتابعت وهي تشرع في البكاء مرة أخرى:

ليت ذلك يعود ولو يومًا واحدًا فقط أعيش فيه وسط عائلتي، ثم نظرت إلى سيف الذي ظهر عليه التعجب من كلامها، وأكملت كلامها:

- نعم عائلتي، أنها عائلتي، لقد أصبحت يتيمة الأم مرتين ولم تعد لي عائلة، لقد رحلت عائلتي.

نظر إليها سيف في حنانٍ، واقترب منها، وقال:

- وماذا عن ابيكِ؟ ثم صمت وطالت نظرته لها، وتابع:
- وعني أيضًا؟

نظرت إليه نور في غضب، وقالت:

- ولكنك سترحل أيضًا، سترحل وتتركني! تعلم أنك بمثابة اخ لي. تربينا معًا، نعم أني كنت أحزنك كثيرًا في الآونة الأخيرة، ولكن أنت كل شيء بالنسبة لي..
- أعلم ذلك يا نور، وأعلم أنكِ فتاة جيدة أيضًا.

ثم زاحمت الذكريات عقله وتذكر أول يومٍ جاء فيه إلى القصر، بعد أسبوع من عمل أخته في هذا القصر عندما كان يبلغ من العمر ثمانية أعوام، سمع صوت طفلة تبكي بحرقة يكاد بكائها يرج أنحاء القصر، فسأل اخته من هذه الطفلة التي تبكي بهذه الطريقة،

فأخبرته أنها ابنة الأستاذ سعيد وعندما أرادت أخذه إلى غرفتها لكي يراها أشار إليها الأستاذ سعيد أن تظل مكانها، ثم حمل سيف بين ذراعيه، وذهب به إلى غرفة نور.

فنظر إليها سيف، وظل يتأملها للحظاتٍ وهو لا يحتمل ما يراه، فأصبحت وجنتيها صفراوتين من شدة بكائها كانت تحملها المرضعة محاولة إرضاعها لكن دون جدوى، ظل سيف ينظر لها وقلبه يتمزق من شدة الألم عليها. فهي لا تصمت ولو لحظة واحدة منذ ساعاتٍ فنظر إلى الأستاذ سعيد الذي يحمله بين ذراعيه، ثم قال:

- عمي، أنزلني سريعًا من فضلك.

بعد نزول سيف من بين أحضان الأستاذ سعيد، اقترب من المرضعة، ثم قال بصوت فيه حزم وثقة وقوة في آنٍ واحد رغم صغر سنه:

- لماذا تلك الطفلة تبكي بهذه الطريقة؟

ثم نظر إلى الأستاذ سعيد وإلى المرضعة يبحث عن إجابة ولو في وجوههم. كاد الأستاذ سعيد أن يخبره أنها تبكي بسبب أنها تريد أمها، ولكن انعقد لسانه، لم يستطع أن يخبره بشيء فهو يحاول أن لا يتذكر ذلك اليوم الذي ينزف قلبه دمًا عندما يتذكره..

قطع شروده سيف عندما قال إلى المرضعة بنبرة توحي بالثقة الشديدة:

- أريد أن أحملها.

فنظرت إليه المرضعة في دهشة، ثم نظرت إلى الأستاذ سعيد الذي كان ينظر أيضًا في دهشة، ثم قال بعد لحظاتٍ من الصمت:

- دعيه يحملها.

بعد أن حمل سيف نور، بدأت صرخات نور تنتهي رويدًا رويدًا إلى أن صمتت تمامًا.

تعجب الأستاذ سعيد والمرضعة من ذلك وحلت الدهشة على جميع الحاضرين.

صمتت وحلت السكينة والطمأنينة على جميع من في القصر بالخصوص أبيها الذي تقطع قلبه على حال ابنته، ومن بعد هذه اللحظة لم يفارق سيف غرفة نور لعدة أشهر.

- فيمَ أنت شارد؟

قالت نور ذلك بعد أن شعرت بشرود سيف المبالغ فيه هذه المرة..

- سيف أنا أحدثك!

فاق سيف من شروده مرة أخرى، ثم قال:

- لا شيء، دعيني وشأني، وكاد أن يخرج من المطبخ إلى أن أوقفته نور عندما قالت:
- هل ستذهب أنت أيضًا وتتركني؟ سمعت أنك ستسافر مرة أخرى.. ألم يكفِ سفرك من قبل؟

توجه سيف إلى نور وأخبرها أنه مضطر إلى ذلك لأن امتحانات الجامعة قد اقتربت، وأن إجازة عمله قد انتهت، لذلك يجب أن يذهب غدًا وفي أسرع وقت.

بكت نور وظلت تصرخ في وجهه، وقالت:

- أنتم الرجال لا تفكرون إلا في أنفسكم فقط.

تعجب سيف من كلامها، وقال:

- سأعود مرة أخرى يا نور. لا تحزني أعدك بذلك.
- أنت كاذب، كاذب وأكرهك بشدة!

ثم تركت نور سيف بعد أن جرحته بهذا الكلام.

ذهب الأستاذ سعيد بصحبة هويام وبعض الخدم قرب المدينة لعلهم يستطيعون الوصول إلى عمها أو يجدون من يخبرهم بشأنه، وجعل جميع الخدم ينتشرون في جميع الشوارع يسألون جميع المارة عن رجل اسمه ابو الفضل، ويريهم صورته التي كانت تحملها هويام ولكن دون جدوى. لم يعرفه أحد.

فذهب الأستاذ سعيد إلى بيت أصدقائه الذين يسكنون في هذا المكان، فرحبو به أشد الترحيب وسألهم إن كان أحد منهم رأى هذا الرجل ولكن أخبروه أيضًا أنهم لم يروا رجل مثل هذا من قبل.

تنهد الأستاذ سعيد، ثم توجه إلى هويام، وقال:

- ألم يخبركم بما كان سيفعله مع هذا الرجل؟
- لا، لم يخبرنا بشيء، ثم شرعت في البكاء مرة أخرى عندما شعرت بالخوف الشديد عليه.

أخبرها الأستاذ سعيد أن عليها أن تتحلى بالصبر والقوة، وتدعو الله أن يحفظ لها عمها، وأخبرها أيضًا أنه من الممكن أن يكون قد ذهب إلى أي مكان له علاقه لشراء ما يخص تجارته. لكنها أخبرته أنه لا يبيت خارج القرية دون أن يخبرهم بذلك ويقوم بتوصية ابن اختها عليهم.

قالت ذلك وهي تضغط على يدي ابن اختها.

شعر الأستاذ سعيد بالحزن الشديد، لا يستطيع التحديد هل هذا الحزن بسبب فقده لحبيبته أم خوفه على ابو الفضل. الرجل الذي أحبه منذ أول يوم رآه فيه، ثم قرر البحث مرة أخرى وسؤال بعض المارة عنه ولكن دون جدوى، فأخرج زفيرًا حانقًا وأردف إلى هويام أن يذهبوا إلى قسم الشرطة ويخبرهم بفقدان عمها.. ثم تابع:

- إن كبيرهم يكون صديقي، سيساعدنا.

شعرت هويام بالسعادة وشكرته على ذلك، ولكن بعد أن توجهوا إلى العربة وأوشكوا على الرحيل. جاء من خلفهم طفل يبلغ من العمر عشرة أعوام، وقال:

- هل تبحثون عن شخص هنا؟

فردت هويام مسرعة، وأخرجت صورته من حقيبتها، وقالت:

- نعم نبحث عن هذا الشخص أيها الصغير
- إنني أراكم تبحثون منذ فترة، ولكنني شعرت بالخوف الشديد عندما أردت إخباركم أنه..

ثم صمت قليلًا، فقال ابن اخت هويام بصوتٍ يوحي بالغضب:

- أنه ماذا؟؟؟

فأصابت جسد الطفل رعشة من صوته الرخيم، فجلس الأستاذ سعيد بقرب الطفل، وقال:

- لا تخف يا بني. ما الذي تعرفه عنه؟

تنهد الطفل، ثم قال وهو يبكي:

- جاء رجل ملثم وقام بأخذه بعد أن ضربه عدة ضربات..

صرخت هويام، ثم قالت:

- ماذا!!

ظلت تبكي بحرقة بعد أن وقعت على الأرض، فجلس بجانبها ابن اختها يحاول مواساتها، ثم قال بنبرة ثقة:

- لا تبكِ خالتي أرجوكِ. أقسم أنني سأنتقم لعمكِ عندما يعود في أقرب وقت..

ظل الأستاذ سعيد يفكر وتظهر عليه علامات الاستغراب الشديد..

أولًا وُضع السم على ملابس زوجته.. والآن اختطاف عم هويام! ثم حدث نفسه قائلًا بصوتٍ قد سمعته هويام:

- هكذا العالم، لا يخلو من أشخاص مؤذيين عديمي الرحمة والمروءة.

همت هويام بالوقوف ثم توجهت إليه، وقالت:

- ما الذي سنفعله الآن يا عمي؟ أخبرني. يكاد قلبي ينزف دمًا من شدة الحزن.

وتابعت عابسة:

- إنني خائفة كثيرًا على عمي، لا أعلم ما حاله الآن؟ هل حي أم ميت؟

حك الأستاذ سعيد ذقنه بصوابع يديه، ثم اقترب من هويام وأخبرها محاولًا التخفيف عنها أن لا تجعل الخوف يسيطر عليها، لأن الشخص الذي اختطف عمها غالبًا لديه مصلحة ما عنده، لذلك لن يفعل له شيء.

ثم أكمل كلامه:

- ولكن يجب الآن أن نذهب الى قسم الشرطة لنخبرهم بذلك.

فأخبرهم الطفل سريعًا عندما همّوا بالذهاب، أن هذا الرجل أخبره عندما لاحظ أنه رآه إذا جاء أحد ما للبحث عنه فيخبره أنه إذا بلّغ في قسم الشرطة؛ سيقتل عمها.

صُعقت هويام من ذلك وزادت نزول دموعها التي لم تجف منذ أن أتت للبحث عن عمها، وتملك الخوف بداخلها.

فسألها الأستاذ سعيد متعجبًا إن كان هناك مشكلة أو شيء بين عمها أو أحد الأشخاص.

- مطلقًا. لا يوجد شيء كهذا!

تنهد الأستاذ سعيد ثم قال موجهًا كلامه إلى ابن اختها بعد أن ربت على كتفه:

- خذ خالتك إلى القرية الآن، ودع هذا الأمر لي.

ولكن أخبره أمير أنه سيوصل خالته إلى القرية، وسيأتي هو أيضًا للبحث عنه لأنه لن يرتاح إلى أن يجد عم خالته.

- حسنًا، افعل ذلك يا بني سأنتظرك في قصري.

بعد مرور ساعة ونصف..

ذهب سيف خلف نور وطرق الباب عدة مرات فلم تجبه، فأخبرها من خلف باب غرفتها أن تفتح الباب قليلًا لانه يريد أن يخبرها بشيء ما.

حل الصمت قليلًا، ثم قامت نور بفتح الباب وعلى وجهها السعادة، ثم أخرجت من خلف ظهرها صندوق صغير وقالت بعد أن نظرت إليه:

- هل تتذكر هذا الصندوق يا سيف؟

نظر إليها سيف في تعجبٍ محاولًا أن يتذكر أمر الصندوق:

ثم قال:

- لا، لم أتذكره. ما الذي بداخله؟

نظرت إليه نور عابسة، ثم قالت:

- حقًا! ألم تتذكر هذا الصندوق؟

ظل سيف ينظر لها دون أن يتفوه بكلمة محاولًا أن يتذكر أمر هذا الصندوق سريعًا لكي لا يجرح نور مرة أخرى، ولكنه لم يتذكر شيء، ثم قال:

- نور، هل لكِ أن تعطيني إياه لكي أرى ما بداخله لعلي أتذكر حينها.

ولكن نور صرخت بوجهه ثم أغلقت الباب:

شعر سيف بالحرج الشديد والإهانة في آنٍ واحد، ثم ذهب دون أن يوبخها على ذلك، فهو اعتاد على تصرفاتها السيئة معه في الآونة الأخيرة، خصوصًا بعد زواج اخته رحمها الله من أبيها، ولكن اخته لم تكن موجودة أيضًا. تركته هي الأخرى كما تركه عائلته ورحلوا.
وبينما كان متوجهًا إلى غرفته يظهر على وجهه الحزن الشديد، كان الأستاذ سعيد قد أتى إلى القصر وعندما وجد سيف بهذه الحالة، ذهب خلفه ودخل الغرفة فأحس سيف أن أحدًا يتعقبه، فنظر خلفه فوجده اباه قد أتى.
جلس الأستاذ سعيد على حافة السرير وأمر سيف بالجلوس بجانبه، ثم أخذه بين حضنه وظل يربت على ظهره بحنان محاولًا التخفيف عنه، ثم قال وقلبه يتألم بشدة:

- بني، أعلم أن فراقك لاختك صعب عليك كثيرًا، ثم صمت برهة، وتابع:
- ولكن أعلم أنك قوي وستتجاوز ذلك.

هو أيضًا يريد من يواسيه، ولكن يقول هذه الكلام لكي يخفف عن ابنه سيف.

- لقد فقدت أمي وأبي وأنا ابن خمسة أعوام. والآن أفقد اختي!

ثم نزلت دموعه على وجنتيه، وقال:

- لقد رحلوا جميعهم وتركوني بمفردي.

ظل الأستاذ سعيد يربت على كتفه قائلًا:

- نعم صعب يا بني، أشعر بك كثيرًا، فراق الأحبة لا يُحتمل.

نظر إليه سيف نظرة مطولة وهو يمسح الدموع من على وجهه، ثم قال:

- أنت أيضًا يا والدي تتألم بشدة، وتحمل الحزن بداخلك ولكن تخفيه.

أخذه الأستاذ سعيد سيف بين أحضانه مرة أخرى محاولًا التظاهر بالقوة، وقال:

- يكفي أنك موجود بجانبي يا بني.

وتابع كلامه:

- سيف، أنت ابني وستظل ابني إلى قيام الساعة. أريدك أن تتذكر ذلك دائمًا. لا تظن أنه بعد وفاة اختك ستقل منزلتك عندي، فأنت ابني الذي ربيته واهتممت بشئونه، وترعرع في قصري منذ صغره.
- أعلم ذلك يا والدي، ليرضى الله عنك. لم تفرق بيني وبين نور في يوم من الأيام، وجعلتني رجلًا رغم صغر سني، جعلتني أقف اليوم فخورًا أمام نفسي أنك ابي بل أنت أعظم الآباء. لولاك بعد الله ما كنت وصلت إلى ما أنا عليه. أنا ممتن لك كثيرًا.

أحيانًا يأتي الاهتمام والحب الذي من المفترض أن يأتي من أقرب الناس إليك وهم عائلتك من أناسٍ لا تتوقع في يوم من الأيام أنهم سيكونون عوض الله لك، لأنه فقط أراد ذلك ـ سبحانه وتعالى- .

فكد كان عوض سيف بعد وفاة ابيه وأمه هو الأستاذ سعيد واخته اللذان كانا يعنيان له كل شيء في حياته.

تجلس هويام على سجادة صلاتها بعد رجوعها إلى القرية متضرعةً ذليلةً إلى الله أن يحفظ لها عمها ويرده إليهم سالمًا غانمًا وهي تشعر بالقلق الشديد عليه، لا تدري ماذا تفعل، لذلك ذهبت إلى باب خالقها تطلب منه مسألتها.

وبعد قليل جاءت أمها وقامت بالجلوس بجانبها تربت على ظهرها بحنانٍ محاولة التخفيف عنها دون أن تتفوه بكلمة. لحظات صمت لا أكثر وبعد عدة دقائق قطعت هويام حاجز الصمت الذي بينهما، وقالت:

- من الذي فعل ذلك يا أمي؟ وما الذي يريده من عمي؟ إن عمي طوال عمره لم يتأذَ من أحدٍ، ولم يؤذي أحدًا أيضًا!

تنهدت أمها وظلت صامتة لا تدري ماذا تقول لابنتها، ثم أخبرتها أن هذا بلاء من الله يجب علينا الصبر واحتساب الأجر والدعاء له.

- ولكن يا أمي هذا المجرم أخبر طفلًا ما أن عمي سيتعرض للأذى إن أخبرنا الشرطة!

وتابعت بعد أن شرعت في البكاء:

- حتى أننا لن نستطيع إخبار الشرطة لكي تبحث عنه..
- لقد انقطعت الأسباب ورب الأسباب موجود يا بنيتي، وهذه هي نعمة التوكل على الله أن يقطع كل الأسباب عنك، لكي يكون أمرك كله على رب الأسباب.

وبعد دقائق، سمعت هويام صوت الباب يطرق فانتفضت هويام من حضن أمها، ثم ذهبت مسرعة بعد ارتدائها خمارها وقامت بفتح الباب. انطبعت الدهشة على وجهها عندما وجدت أمامها الأستاذ محمد، فظلت تنظر إليه في صمتٍ، ثم قالت:

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟

نظر إليها الأستاذ محمد وهو يبتسم بخبث وأخبرها أنه سيخبرها بشيءٍ هام جدًا، ولكن عليها أن تأتي خلفه، ولكن هويام أخبرته أنها لا تريد أن تعرف شيئًا.

- إذًا أنتِ الخاسرة!

لم تبالِ هويام بكلامه وكادت أن تغلق الباب في وجهه، ولكن توقفت بعدما قال:

- إن الأمر متعلقٌ بعمكِ يا ذات العيون الخضراء.

فنظرت إليه هويام، ثم قالت بعد أن خرجت من البيت وقامت بغلق الباب خلفها:

- ما الذي تعرفه عن عمي أيها النذل؟

لم تستطع أن تمسك نفسها ثم شرعت في البكاء مرة أخرى

- لم يحنِ البكاء الآن يا هويام، لأنني سأجعلكِ تبكين كثيرًا في الأيام المقبلة لكي ترفضي الزواج من شخصٍ مثلي.

قطعت هويام شروده عندما قالت:

- أخبرني الآن، أين عمي؟؟
- ليس بتلك السهولة. يجب أن تأتي خلفي الآن أولًا في مكانٍ ليس فيه أحد.

وبعد دقائق كانت هويام واقفة أمام محمد منتظرة أن يخبرها بما يعرفه عن عمها.

ظل ينظر إليها في صمتٍ ثم أخرج زفيرًا هادئًا وهو ينظر لها بغرور وأخبرها أنه يعرف مكان عمها، فصُعقت هويام وسألته أين هو الآن، وإن كان بخير أم لا..

- بالطبع سيكون بخير يا ذات العيون الخضراء الجميلة.
- وسيظل بخير إن قبلتِ بما أريده.

طُبعت الدهشة على وجه هويام وظلت تنظر إليه في صدمة لا تستوعب ما يقوله، ثم قالت عابسة:

- إذًا أنت المجرم الذي اختطف عمي!

ظل الأستاذ محمد يضحك، فأسرعت هويام، وقالت:

- وما الذي تريده مني أيها النذل؟
- فكري قليلًا؛ ستحصلين على الإجابة بمفردك.

ظلت هويام صامتة قليلًا فقد تشوش عقلها كثيرًا، ثم قالت:

- ما الذي تريده مني ومن عمي؟ لماذا تفعل بنا هذا؟
- أنا لم أفعل شيء بعد يا هويامي.

ظلت هويام تترقبه في خوفٍ، ثم شرعت في البكاء مرة أخرى.

ثم حاولت أن تهدئ من روعها وتستنشق الهواء النقي الذي ينبعث من حولها، وتخرجه بأريحية لعلها تستوعب أنها في الحقيقة وليست في حلم. تعلم أن الضعف في هذه اللحظة لن يفيدها في شيء.

ثم أخرجت زفيرًا مريحًا بعد أن مسحت دموعها، وقالت:

- هل لك أن تخبرني بما تريده مني؟
- أن تقبلي الزواج بي؟

صُعقت هويام من طلبه فهي لم يخطر على بالها شيء كهذا.

مثل باقي الأشخاص الذين رزقهم الله القلب الطيب النقي، فهم لا يصدقون أن هناك في هذا العالم أشخاص سيئون لهذا الحد.

ظلت هويام صامتة. لحظات صمت فحسب لعلها تستوعب ما يقول.

ثم حدثت نفسها قائلة:

- صدق عمي عندما قال:

"الشخص الذي لا يصلي تتوقعين منه أي شئ يا ابنتي، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء، والمنكر، والشخص الذي لا يصلي ما الذي سينهاه عن ذلك؟"

أفاقت هويام من شرودها عندما قال:

- خذي قراركِ سريعًا.. واعلمي كلما تأخر الوقت سيكون عمكِ في خطر.
- هل تعي ما تقول؟!

اقترب منها، وقال:

- نعم أعي ما أقول يا زوجتي المستقبلية، أنتِ السبب في كل ما يحدث الآن، كان عليكِ أن تقبلي الزواج بي عندما طلبت يدكِ من عمكِ العزيز.

تنهدت هويام وأخبرته أنه مهما فعل، لن تتزوج من شخص مثله وأنها ستخبر الأستاذ سعيد بأنه من قام باختطاف عمها، وكادت أن تذهب من أمامه فشُلّت قدميها عن الحركة عندما قال:

- إذًا رأس عمكِ الجميل ستُنزع عن جسده عما قريب، بل عائلتك جميعهم ستفقدينهم واحدًا تلو الآخر.. وفي نهاية الأمر ستصبحين زوجتي أيضًا.

شعرت هويام بالرعب الشديد، هل حقًا هذا الأستاذ محمد الذي كان يساعد المحتاجين والذي أنقذها من الموت!

- أنقذتكِ من الموت من قبل، هل تتذكرين ذلك؟ وحان الوقت لرد المعروف بزواجكِ مني.

سألته هويام عابسة الوجه:

- ولماذا تريد الزواج بي؟
- لأنني أحبكِ يا هويام، بل أعشقكِ. لا أستطيع العيش بعيدًا عنكِ، هل تفهمين ذلك أم أنك لا تفهمين في الحب؟

ضحكت هويام بسخرية، وقالت:

- من الذي لا يفهم في الحب الآن؟
- وهل يفعل الحبيب مع حبيبته ذلك؟!

صمت محمد وهو يحك رأسه، ثم أخبرها أنها من أوصلته لفعل ذلك، ولو كانت قبلت الزواج منه في بادئ الأمر لم يكن سيحدث ذلك.
ظلت هويام صامتة لعلها تعي ما يقول، ثم قالت والدموع تنزل على وجنتيها بغزارة:

- أنت شخص ليس بجيد ولن أسامحك أمام الله على ذلك.
- حسنًا دعكِ من هذا الآن وأخبريني بقراركِ.
- ليس الآن.. سأفكر في الأمر.
- ليس هناك تفكير. ستخبرينني الآن وإلا تعلمين ما الذي سيحدث بعائلتك.

ظلت هويام تفكر قليلًا، ثم قالت بكلماتٍ متقطعة لا تستطيع نطقها:

- حسنًا إنني موافقة على الزواج منك.
- أحسنتِ يا صغيرتي المطيعة.
- ولكن أخبرني.. كيف سيحدث ذلك؟

أخبرها الأستاذ محمد أن عمها لا يعلم أنه من قام باختطافه، لذلك سيلقي سراحه ولكن بعد عقد قرانهما أولًا
صُعقت هويام من ذلك، وقالت:

- كيف سأعقد قراني عليك وولي أمري ومن يتكفلني بين يديك؟ هل أصابك الجنون؟ هذا مستحيل!
- وهل نسيت ابن اختك؟ سيكون ولي أمرك في هذا اليوم الجميل.

ظلت هويام صامتة تفكر في حيلةٍ ما، ثم قالت:
كيف سيحدث ذلك؟ إن عمي سيشك أنك من قمت باختطافه بعدما يعلم بزواجنا، أم أنك تكذب ولن تلقي سراحه؟
ظل الأستاذ محمد صامتًا قليلًا يفكر ماذا يفعل، ثم أخبرها أنه سيأخذ ابن اختها أو اختها كرهينة بدلًا من عمها، وبعد عقد قرانهما يطلق سراحه صُعقت هويام مرة أخرى من ذلك، وأخبرته أنه من المستحيل أن تكون سببًا في حزن عائلتها مهما كلفها الثمن ومهما حدث، وأيضًا هم عندهم لا يقوم أحد بالزواج وأفراد عائلته في خطر.

وأخبرته أنه يوجد عندها فكرة أخرى، أن تعطيه صندوق والدها رحمه الله الذي تركه لها أمانة عندها رهينة لديه الذي بداخله أشياء أهم عندها من روحها، وأقسمت له أنه عندما يطلق سراح عمها ستتزوج منه وستفعل أي شيء من أجل الزواج منه، ثم شرعت في البكاء وأخبرته أنها لا تستطيع أن تضحي بأحدٍ من عائلتها مهما حدث، لذلك ستفعل المستحيل لكي تكون عائلتها بخير.

اخذ الأستاذ محمد يحك شعره في حيرةٍ وبعد صمت طويل اقترب منها، ثم قال:

- اعلمي، إن كنتِ تكذبين أقسم انني سأفعل أشياء تجعلك تتمنين الموت أنت وعائلتك.

رجفت هويام من شدة الخوف ثم أومأت برأسها موافقة.

- أحسنتِ أيتها المطيعة الصغيرة، اذهبي الآن وأحضري هذا الصندوق واعتبري أنني قد ألقيت سراح عمكِ. ولكن احذري أن يلاحظ أحد أنكِ حزينة
- قالها بنبرة أرعبتها-
- وإذا أردتِ إخبار أحد أنني الشخص الشجاع الذي سينقذ عمك من اللصوص، افعلي ذلك.

نزع سيف نفسه من بين أحضان الأستاذ سعيد، ثم قال:

- والدي؟
- نعم حبيبي
- هل تسمم اختي سيظل هكذا؟ لن تفعل شيئًا لكي تعرف من فعل ذلك بها؟

تبسم الأستاذ سعيد ابتسامة مليئة بالحزن والأسف، ثم أخبره بعدما همّ واقفًا أنه أخذ وعد بينه وبين نفسه أنه لن يدع وفاة زوجته الحبيبة هكذا إلى أن يعرف من الذي فعل بها ذلك، ويأخذ بثأرها.

- من فعل ذلك يا والدي؟ شخص قريب منك؟

صُعق الأستاذ سعيد من كلامه، ثم قال:

- ما الذي ترمي به يا سيف؟ هل تعي ما تقول؟
- دائمًا الأذى يأتي من أقرب الناس يا والدي.

- ومن فعل ذلك؟ هل تعرفه؟

ظل سيف صامتًا قليلًا، ثم أخبره أنه لا يعرف هذا الشخص ولكنه متأكد من أنه شخص قريب منه.

غضب الأستاذ سعيد من كلام سيف، وتركه وذهب من أمامه بعد أن ربت على كتفه، وقال:

- ليس معك دليل على كلامك، لذلك لا تتحدث بأشياء كبيرة مرة أخرى.

بعد ذهاب الأستاذ سعيد قال سيف محدثًا نفسه:

- أقسم أنني سأعرف من هو عما قريب، وسأثبت لك هذا يا والدي.

توجهت هويام إلى بيتها وقامت بفتح الباب، ونظرت إلى الداخل تترقب مكان أمها فوجدتها تصلي في غرفتها، فأخرجت زفيرًا حامدة الله على ذلك، ثم ذهبت إلى غرفتها وقامت بغلق الباب خلفها بإحكامٍ، ثم أخرجت صندوق والدها الذي تركه أمانة معها، ثم نظرت من شرفة غرفتها ووجدت ذاك النذل في انتظارها فمدت له يدها وناولته الصندوق بعد أن تيقنت أنه مقفول بإحكام دون أن يشعر بها أحد.

بعد انتهاء أم هويام من الصلاة، ذهبت وطرقت باب الغرفة على ابنتها فتوجهت هويام مسرعة وفتحت الباب، فلاحظت أمها أن ابنتها يظهر على وجهها السعادة، فسألتها متعجبة إن كانت هناك أخبار جديدة عن عمها.

فأومأت هويام برأسها موافقةً وهي متوجهة مع أمها إلى المطبخ، وأخبرتها أن الأستاذ محمد علم مكان عمها من قبل شخص ما ووضع خطة وسيقوم بإنقاذه اليوم.

انفجرت أسارير أم هويام وقامت باحتضان ابنتها من شدة سعادتها، وشكرت الله على ذلك.

ثم سألت هويام من هذا الشخص الذي قام باختطافه.

ظهر على وجه هويام الحزن، لا تدري ماذا تقول لها، ثم قالت:

- حتمًا عمي سيخبرنا بذلك.

ثم تركة أمها وذهبت إلى غرفتها مرة أخرى غالقةً باب الغرفة خلفها بإحكام وانهارت في البكاء.
لا تعرف ما الذي يخبأه لها القدر مع هذا الرجل، وما الذي سيحدث في أيامها المقبلة بعد أن استقبلت القبلة رافعةً يديها إلى السماء مناجية ربها.. إن كان هذا البلاء بسبب ذنوب قد ارتكبتها ولم تتُب منها فترجو منه أن يغفر لها هذه الذنوب، ويحفظ لها عمها، وجميع أفراد أسرتها
ثم أكملت دعائها باكية:

- يا رب أنت المنتقم، ارحمني من هذا الرجل واجعل بيني وبينه مسافات كالسماء والأرض.

توجه الأستاذ سعيد إلى الشركة لكي يأتي ببعض الأوراق المهمة من هناك سريعًا، ويعود إلى قصره مجددًا قبل أن يأتي ابن اخو هويام،
وبعد ذهابه إلى هناك لاحظ أن الأستاذ محمد لا يشرف على العمال، فتعجب من ذلك وسأل عنه السكرتيرة ليلى، فأخبرته أنه لم يأتِ اليوم وعندما قام بعض العمال بالاتصال عليه لم يرد على أحد منهم فنطبعت الدهشه على وجهه
وشعر بالخوف الشديد عليه عندما جاءته فكرة أنه من الممكن أن يكون أصابه شيء هو الآخر، فأخرج هاتفه من جيبه وظل يرن عليه عدة مرات، فلم يرد عليه أيضًا فزاد خوفه وظل يحدث نفسه قائلًا:

- ما الذي يحدث هذه الأيام؟ في الأول تسمم زوجتي، وبعد ذلك اختطاف عم هويام، والآن صديقي لم يأتِ إلى الشركة ولا يرد على هاتفه!

تنهد الأستاذ سعيد قليلًا ثم توجه إلى خارج شركته وعندما همّ بركوب سيارته، وجد صديقه خلفه يخرج من سيارته فأخرج زفيرًا هادئًا وحمد الله أن صديقه بخير، ثم توجه إليه وقال بعد أن صافحه لماذا لم يأتِ إلى الشركة لكي يشرف على العمال، ولماذا لا يرد على هاتفه.

ظل الأستاذ محمد ينظر له في صمتٍ، ثم قال:
- سأخبرك داخل الشركة يا صديقي
بعد قليل كان الأستاذ سعيد يجلس على مكتبه وأمامه صديقه المقرب متشوقًا بما سيخبره به، ثم قال:
- أخبرني يا محمد، أستمع إليك.
أخبره الأستاذ محمد أنه يعرف مكان عم هويام. انطبعت الدهشة على وجه الأستاذ سعيد، وقال:
- كيف عرفت ذلك؟
- لقد أخبرني صديق لي عندما كنت في طريقي إلى الشركة في الصباح أنه وجد أناس ملثمين يخرجون من عربة كبيرة في مكان بالقرب من بيته، ومعه عم هويام مقيد من يديه ورجليه.
وتابع:
- وموضوع على فمه شريطة لكي لا يستطيع التحدث.
قام الأستاذ سعيد من على مكتبه، وقال وهو يشعر بالقلق على عم هويام:
- يجب أن نذهب الآن لإنقاذه.
ابتسم محمد بخبث، وقال:
- اجلس يا صديقي، لا تخاف إنه الآن متوجه إلى بيته..
شعر الأستاذ سعيد بسعادة بالغة وأخرج زفيرًا هادئًا، ثم قال:
- نحمد الله على ذلك. ولكن كيف حدث ذلك؟!
أخبره الأستاذ محمد أنه فعل ذلك بمساعدة صديقه المقرب، وظل الأستاذ محمد يقص عليه كل ما حدث وأخبره أنه قد راقب صديقه المكان إلى أن ذهب إليه، وعندما خلا من اللصوص تمامًا قام بكسر زجاج الشرفة، وبعد ذلك أنقذه.
هو فعل ذلك، ولكن لم يعرف أحد أنه من اختطف ابو الفضل، ولعب هذه اللعبة الشيطانية عليهم لكي يكبر أكثر في عين ابو الفضل ويفتخر به كثيرًا لقوة شجاعته، لأنه أنقذه، وسيستغل هذا الموقف وسيطلب يد هويام مرة أخرى من عمها.

في المساء..
ارتدى سيف ملابسه، وقام بتجهيز شنطة سفره، وعندما خرج من غرفته وجد نور تنتظره في الخارج عابسة الوجه ويظهر على وجهها الغضب الشديد فنظر إليها سيف نظرة مطولة ساد معها سكون الليل، ثم تركها وذهب دون أن يتفوه بكلمة.. فسألته عابسة الوجه:

- هل ستذهب أيضًا دون أن تودعني؟!
- ليس كما تظنيني يا نور فأنا لم أذهب بعد..

شرعت نور في البكاء وعلا صوت بكائها أركان القصر وظلت ترجو سيف بعدم الذهاب، فسمع صوتها الأستاذ سعيد فتوجه إليهما وظل ينظر إلى ابنته وإلى سيف متعجب مما يرى، ثم قال:

- إلى أين أنت ذاهب يا سيف؟

تعجب سيف من ذلك، وقال:

- أخبرتك بالأمس أنني سأسافر اليوم يا والدي، أم أنك نسيت ذلك؟

ظل الأستاذ سعيد ينظر له في صمت لعله يتذكر، ثم قال:

- نعم يا سيف، نسيت كثيرًا، اعذرني فأنت تعلم الظروف التي أمر بها.

ثم أخرج الأستاذ سعيد زفيرًا هادئًا وأخبر سيف أن يأتي خلفه إلى غرفة المكتب.
بعد ذهاب سيف خلف أبيه وجده جالسًا على مكتبه واضعًا رأسه بين كفيه ويظهر على وجهه الحزن.
ثم توجه إلى سيف قائلًا بنبرة توحي بالجدية:

- سيف، أريدك أن تؤجل موضوع السفر لبعض الوقت.

تعجب سيف من ذلك، وقال:

- لماذا يا ولدي؟ أنت تعلم أن امتحانات الجامعة بعد أسبوعين، ويجب أن أذهب للاستعداد.

- أتفهم ذلك يا بني، ولكن أريدك أن تكون بجانبي هذه الأيام وبعد ذلك سافر كما تريد.

أخبر سيف والده أنه لا يستطيع العيش في مكان توفت فيه أخته الحبيبة أكثر من ذلك، ثم نزلت دموعه على وجنتيه بغزارة، وتابع كلامه حانقًا أن كل يوم يمر عليه في هذا المكان يصبح عذابًا بالنسبة له، لذلك يريد الذهاب سريعًا لأنه لا يستطيع التحمل أكثر من ذلك.

قام الأستاذ سعيد من على مكتبه واقترب من سيف الذي كان جسده يرتجف من شدة حزنه، وأخبره بعدما ربت على ظهره بحنان أنه يتفهم حزنه كثيرًا وأنه يشعر بما يشعر به، ولكن يجب أن يتحلى بالقوة لكي لا يأخذ الحزن منه حياته بالكامل ولا يصاب بالأمراض الخبيثة، لأن شدة الحزن تهلك صاحبه مهما كانت قوته.

تنهد سيف وأخبر اباه أنه سيرجع لحياته الطبيعية في أقرب وقت ولن يجعل الحزن يتملك منه مهما كان. هو يعلم جيدًا أن أباه يخاف عليه كثيرًا لكي لا يفقده كما فقد حبيبته حكمة.

مهما كان الشخص قويًا وصلبًا لديه نقطة ضعف ما تجعله يشعر أنه ضعيف ليس بيده أي حيلة، وكأنه طفل مازال في المهد.

ظل سيف ينظر له ولا يدري ماذا يقول، ثم قال:

- كما تأمر يا والدي.

خرج سيف من الغرفة وعلى وجهه الحزن الشديد فأدركت نور أن هناك شيء ما، فذهبت خلف سيف وسألته عن سبب حزنه ولكن سيف لم يجبها بشيء وتركها وذهب إلى غرفته وأغلق الباب خلفه، فظلت نور تطرق الباب عدة مرات ولكن سيف لم يرد عليها فقامت بفتح الباب ثم دخلت وأغلقت الباب خلفها فشعر سيف بالغضب الشديد تجاهها، ثم قال:

- هل أذنت لكِ بالدخول؟

تذمرت نور وعقدت عن حاجبيها، ثم قالت:

أخبرني لماذا أنت حزين هكذا؟

- لا شيء، ولكن والدي أخبرني أن أكون معه هذه الأيام.

تعالت السعادة وجه نور، فظل سيف يترقبها بطرفي عينه دون أن يتفوه بكلمه.
بعد حلول الليل كانت ضي تجلس في شرفة المنزل تتأمل جمال الطبيعة من حولها واكتمال القمر بالسماء الذي أصبح كالبدر، وتدعو الله أن يحفظ لها عمها أينما كان ويرجع لهم سالمًا. وبينما هي كذلك وجدت شخص يقترب من بيتهم لا يظهر له ملامح من شدة ظلمة الليل.. لأن أهل القريه يفضلون في بعض الأحيان قفل مصابيح القرية المتناثرة في جميع القرية بأكملها مع حلول الليل، وبعد اقتراب هذا الشخص قد ظهرت ملامحه مع المصباح الذي يتلألأ من بيتهم، فصرخت بأعلى صوتٍ والفرحة والسعادة تغمرها:

- قد أتى عمي، قد أتى عمي!!

سمعتها هويام وقامت بأسرع ما تملك تفتح باب المنزل، وبعدما فتحت الباب ارتمت في حضن عمها وهي تقول:

- حمدًا لله على سلامتك ياعمي، ليحفظك الله. اشتقنا اليك كثيرًا.
- وأنا كذلك يا ابنتي.

وبعد قليل كان كل من ضي وهويام وأمهما يجلسن أمام ابي الفضل في صمت.. فقالت أم هويام قاطعةً هذا الصمت الذي ظل لدقائق:

- الحمد لله الذي ردك إلينا سالمًا معافى، ولكن.. لماذا ذهبت من الأساس لهذا الشخص؟ وما الذي كان يريده منك؟

تنهد ابو الفضل وأخبرها أن هذا الشخص اتصل به وأخبره أنه تاجر، وأن معه تجارة ستكون سبب في زيادة ربحه، وإن كان يريد هذه التجارة فليأتي معه الآن.
تعجبت أم هويام من ذلك، وسألته كيف يذهب إليه دون أن يعرف من هو هذا الشخص ومدى مصداقية كلامه.
أخبرها ابو الفضل أنه حدث معه ذلك قبل أن ينتشر الوباء في القرية منذ سنوات..

- كان تاجرًا كبيرًا يأتي بالقرب من قريتنا وأذهب لآخذ منه بعض البضائع التي تفيد عملي كثيرًا وتزيد من ربحه.

وتابع بعد أن نظر لهويام:

- لم يخطر على بالي أنه سيغدر بي هكذا، خصوصًا بعد إعمار قريتنا انتشر الأمن أكثر، وهذا بفضل الأستاذ محمد ليحفظه الله.

نظرت إليه هويام، وحدثت نفسها:

- أنت لا تعلم شيئًا يا عمي. ذلك الشخص مجرم وهو من اختطفك من قبل مساعديه.

وتابعت حديثها لنفسها:

- إنني لا أصدق أنه من أنفق كل هذا المال من أجل قريتنا، يبدو أن هناك سرًا وراء هذا الأمر لم نعرفه.

وبعد أن خطر على بالها هذا الشخص صاحت بأعلى صوت أن من الممكن للأستاذ سعيد هو من كلفه بذلك

ثم ضحكت بأعلى صوتٍ، وقالت:

- كيف لم يخطر على بالي شيءٌ كهذا من قبل!
- نعم إنه أغنى رجل في المدينة، وأيضًا طيب القلب!

تعالت الدهشة على كل من ابو الفضل وأمها، وقال:

- ما الذي تقولينه يا ابنتي؟ وما الذي من الممكن أن يكون الأستاذ سعيد فعله؟

انتبهت هويام لنفسها وظلت صامتة قليلًا، ثم حدثت نفسها مرة أخرى وهي تنظر إلى عمها:

- سأكتشف هذا الأمر أيضًا.

ثم جلست بجانب عمها وتجاهلت سؤاله لها، ونظرت إليه بعين مكسورة، لا بل بقلبٍ مكسور!

قالت بعد أن عضت على شفتها السفلية:

- لقد أخبرنا الأستاذ سعيد في الهاتف أن الأستاذ محمد هو من قام بإنقاذك.
- نعم هو كذلك.
- إنه حقًا شاب شجاع!

قالت هويام ذلك وهي تعض على شفتيها بغيظٍ شديد

- نعم إنه كذلك.

وبعد تناول أبو الفضل العشاء استأذن بالذهاب إلى بيته لأنه يريد أن ينام وبشدة، رغم أن أم هويام كانت تريد أن تستفسر منه أكثر عما حدث له في هذين اليومين، ولكن لم ترِد الإثقال عليه بكثرة الأسئلة. المهم عندها أنه قد رجع إليهم سالمًا معافى.

وبعد ذهابه توجهت أم هويام إلى غرفتها لكي تنام وأمرت بناتها لتذهبا أيضًا إلى غرفتهما، وبعد ذهابهما إلى غرفتهما توجهت كل واحدة منهما على سريرها وسرعان ما ذهبت ضي في نوم عميق بعد أن ألقت بجسدها على سريرها، أما هويام ظلت تبكي بحرقة على الحال الذي وصل إليه أفراد عائلتها الصغيرة. لا تستوعب أيضًا فكرة أن هذا الشخص الذي يدعو محمد سيكون زوجًا لها وسيكون معها تحت سقف واحد.

وسادتي من تشهد على أحزاني.

في صباح اليوم التالي رن هاتف الأستاذ سعيد وكان المتصل صديقه محمد، وبعد أن رد عليه وتبادلا التحية سأله الأستاذ محمد أن من الممكن أن يأخذ إجازة اليوم من العمل لأمرٍ مهم، فسأله مندهشًا:

- وما هو الأمر المهم؟

فأجابه في سعادة بالغة أنه سيذهب لكي يطلب يد هويام من عمها مرة أخرى.

تعجب الأستاذ سعيد من ذلك، وسأله كيف سيفعل ذلك، وأن أبو الفضل أخبره أن هويام ليست موافقة على ذلك.

- إنني أصبحت في نظر هويام الشجاع الذي أنقذ عمها.

ثم صمت برهة، وتابع:

- وسأستغل هذه الحادثة وسأذهب وأطلبها من عمها مرة أخرى.

ثم أخبره أنه لن ييأس مهما حدث، وإن حكم عليه القدر أن يطلبها إلى مدى الحياة؛ سيفعل ذلك.

- حسنًا يا صديقي، ولكن الرجل عاد لأهل بيته البارحة. انتظرعلى الأقل يومين لأنه من الممكن أن يكون جالسًا معهم هذا اليوم، ولن يذهب إلى عمله.
- خير البر عاجله يا صديقي، وأيضًا هذا ما أريده بالظبط.. أن تكون العائلة مجتمعة.
- حسنًا، افعل ما يحلو لك، وأوصل سلامي لعمي ابو الفضل إلى أن ألقاه.

كان سيف يجلس بجانب الأستاذ سعيد وسمع كل ما دار بينهما ثم توجه إلى ابيه، وقال:

- اعذرني يا والدي عن قول ذلك..

ثم سأله كيف يذهب ويطلب الفتاة من عمها وهي لم توافق عليه من الأساس؟ وأيضًا كيف يتركك على هذه الحالة وهو يعلم أنك مضغوط في عملك كثيرًا ولديك حالة وفاة، ثم صمت برهة، وتابع:

- من المفترض أن الأصدقاء يظهرون في أوقات الشدة أكثر من أي وقتٍ آخر.

ربت الأستاذ سعيد على كتف ابنه، وقال:

- دعك من هذا الأمر. الآن يكفي أنك بجانبي يا بني، ولا أريد من هذه الحياة سوى هذا.

ظهرت على وجه سيف السعادة بعد سماع تلك الكلمات من ابيه، وأخبره باسمًا أنه سيكون سندًا وعونًا له متى احتاجه.

- سأكون تحت قدميك ابي، أنت من علمتني الأصول وجعلت لي مكانة يهابها الكل. علمتني كما ينبغي ولم تقصر معي. كنت دائمًا تفخر بي في أي مكان.

شعر الأستاذ سعيد بسعادة بالغة وربت على كتف سيف، وقال:

- هيا لنذهب الآن إلى الشركة، فلدينا عملًا كثيرًا في انتظارنا.

قامت ام هويام بتحضير أشهى الطعام احتفالًا بعودة ابو الفضل، وبعد قليل كان ابو الفضل يمكث على رأس المائدة ينظر لهم في حبٍ وهو يستنشق رائحة الطعام اللذيذة، ثم توجه إلى أم هويام وشكرها على ذلك.

لاحظ أن هويام يظهر على وجهها الحزن وشاردة في أمرٍ ما، فقال:

- هويام، هل أنتِ بخيرٍ يا ابنتي؟

فلم تجبه بشيءٍ وظلت كما هي، فتعجبت أمها من ذلك وقالت بعد أن أمسكت يدها:

- ابنتي، إن عمكِ يتحدث معكِ

اضطرب وجه هويام ونظرت إلى عمها وأمها في ارتباكٍ، وتقوست شفتيها إلى الأسفل وكادت أن تبكي، ولكن سرعان ما انتبهت إلى حالها،

وقالت:

- اعذرني يا عمي.. ما الذي كنت تقوله؟
- لماذا أراكِ شاردة وحزينة منذ ان أتيت؟ أنتِ لستِ على ما يرام.

لم تتمالك هويام نفسها هذه المرة، وشرعت في البكاء.. انصدم كل من أم هويام وعمها وظلا ينظران لبعضهما في تعجب، ثم قال بعد أن أجلسها على قدميه:

- أخبريني يا ابنتي.. ما الذي يحزنكِ لهذه الدرجة؟
- إنني خائفة عليك كثيرًا يا عمي.

ثم نظرت إلى امها واختها ضي:

- بل خائفة على جميع العائلة.
- لماذا يا ابنتي تقولين ذلك؟

توجهت هويام إلى عمها وأخبرته أنها خائفة من أن تفقد أحدًا من عائلتها، فمنذ أن علمت باختطافه ازداد خوفها ورجع لها ألم الخوف من فقد الأحبة مرة أخرى، فهي أصبحت تخاف من الفقد كثيرًا منذ رحيل أبيها.

- لا تخافي يا ابنتي، أعدكِ أنني سأكون بجانبكم دائمًا، ولن يحدث لكم أي شيء ما دمت على قيد الحياة.

حدثت هويام نفسها قائلة:

- أنت لا تعرف شيئًا يا عمي، كيف سيكون هذا الرجل زوجًا لي؟ كيف سأحتمل ذلك؟

كانت ضي تشاهد الحال الذي وصلت عليه اختها، وكادت أن تبوح بشيء لا يعرفه أحد ولكن تمالكت نفسها
تقدمت أم هويام إلى ابنتها، وقالت:
- تعالي يا ابنتي واجلسي بجانبي لكي تتناولين صحنكِ
قالت ذلك وقلبها يعتصر ألمًا على حال ابنتها، فهي تشعر أن ابنتها ليست بخير وتخبئ عنها شيئًا ما، ولكن لا تدري هل هذا صحيح أم لا، فقد فعلت كل ما تقدر عليه لكي تعلم إن كان هناك ما تخبأه ابنتها عليها ولكن دون جدوى.
بعد مرور حوالي ساعة ونصف..
وبعد انتهاء أفراد العائلة من تناول الطعام، سمع ابو الفضل الباب يطرق فقام بفتح الباب وكانت المفاجأة.. أن الأستاذ محمد هو من يطرق الباب
فانطبعت على وجهه الدهشة، وتعجب من قدومه، وظل ينظر إليه في صمت، ثم بعد ذلك قام بالترحيب به بشدة، وأدخله إلى البيت بعد أن أمر هويام وضي بالدخول إلى غرفتهما، وبعد قليل كانت هويام تجلس في غرفتها وبجانبها ضي، ولكن لاحظت ضي أن اختها يرتجف جسمها من الخوف محاولة تمالك نفسها ولكن دون جدوى.
القلب عندما يحزن يظهر الحزن على الجوارح.
فقالت ضي بعد أن تشبثت بيدي اختها محاولة تهدئتها:
- لماذا ترتجفين هكذا يا اختي؟ هل هناك شيء يخيفكِ؟
- اتركيني يا اختي، لا أريد التحدث مع أحد
- كيف لا تريدين التحدث مع أحد! ما الذي تخفيه عنا؟ أخبريني!
انفجرت هويام في وجه اختها، وقالت:
- اذهبي الآن واتركيني! لا أريد لأحد أن يتحدث معي.
نظرت ضي إلى اختها وكادت أن تبكي ولكن ليس لأنها وبختها، ولكن لأنها تخاف على اختها كثيرًا. وبعد أن خرجت من عند اختها بدقائق طرق عمها باب الغرفة مستأذنًا بالدخول فاعتدلت هويام من

جلستها محاولة التظاهر بالقوة وإخفاء حزنها داخل قلبها، فهي تعلم ما الذي سيخبرها به عمها.
تقدم إليها عمها وجلس بجانبها وأخبرها أن الأستاذ محمد جاء مرة أخرى لكي يطلب يدها على سنة الله ورسوله، وتابع:

- وأخبرني أنه يحبكِ وبشدة، ولن يستطيع الاستغناء عنكِ بسهولة

نظرت هويام إلى عمها وطُبعت على وجهها ابتسامة وراءها حزن لا يعلمه إلا الله.
وقالت:

- وما هو رأيك يا عمي؟ تعلم أنني لم أوافق من قبل لأنه لا يصلي..
- نعم يا ابنتي أعلم ذلك، وأنا أيضًا بالطبع لا أوافق على هذا. ولكن القرار لكِ. وهو أخبرني أنه سيجاهد نفسه في أمر الصلاة، ثم قال:
- فكري في الأمر، وأخبريني سأذهب الآن وأخبره بذلك.

فوقفت أمامه وقالت هويام وهي تتصنع السعادة على وجهها وقلبها يعتصر ألمًا:

- إنني موافقة.

تعجب عمها وظل ينظر لها في دهشة، وقال:

- هل أنتِ متأكدة يا ابنتي من ذلك؟ مثل هذه الأمور لا تكون بتلك العجلة!
- إنني متأكدة يا عمي

تقدم إليها ابو الفضل، وقال:

- وما الذي جعلكِ تغيرين رأيك؟
- لأنني أحبه!

ظل عمها ينظر لها في تعجب وأردف:

- حسنًا يا ابنتي كما تريدين. فأنتِ تعلمين أنني لا أريد إلا سعادتكِ.

تركها ابو الفضل وذهب لإخبار ذاك النذل بقرارها وقلبها يتمزق من شدة الألم

ثم توجه إليه، وقال بعد لحظاتٍ من الصمت:

- إن ابنتي هويام موافقةً على الزواج منك.

حدث محمد نفسه قائلًا:

- بالطبع ستكون موافقة من أجلك ومن أجل أسرتك

تعجب ابو الفضل عندما لم يجبه الأستاذ محمد بشيء، ولم تظهر على وجهه السعادة ولم يتفاجأ من تغيير قرار هويام، فقال:

- يبدو عليك أنك لم تتفاجأ من موافقتها!
- ليس كما تظن يا عمي، ولكنني كنت واثقًا فقط أنها ستوافق، ثم تابع باسمًا:
- لأنني كنت أشعر أن الحب بيننا متبادل وسيأتي يوم وتوافق.

حسنًا يا بني، ليكتب الله لكم الخير.

تقدمت إليه ضي بعدما ظلت تستمع لهما في ترقب، وقالت:

- مبروك لك يا عمي على موافقة اختي بك.
- الله يبارك فيكِ يا ضي
- إنني أرسم لوحة، سأهديها لك يوم الزفاف بإذن الله.

تبسم الأستاذ محمد، وقال:

- إنني واثق أنها ستكون جميلة
- نعم بالتأكيد، ستجعبك كثيرًا وتعجب كل من يراها

ثم ذهبت وتركته بعد أن قالت تلك الكلمات

بعد يومين ودّع سيف اباه ونور بحرارة بالغة لكي يسافر من أجل امتحانات جامعته التي ستكون بعد عدة أيام، ووعده أنه عندما يعود سيكشف المجرم الذي قتل اخته ثم تركهما خلفه بحنين إليه من جديد.

وبعد شهر ونصف..

كانت القرية بأكملها مزينة بألوان الزينة المختلفة. والفرحة والسعادة تعم الجميع من رجال وأطفال ونساء مجتمعين في قاعة مسجد السيد هلال، منتظرين قدوم عروسهم المدللة، فهم يرون أنها

تستحق الزواج من شخص مثل الأستاذ محمد لأنه من ساعدهم وقام بإعمار قريتهم مرة أخرى، ولكن لا يعلمون باقي القصة، فالقصة الحقيقية دائمًا ينقصها شيء ولا تكون كاملة.

وبعد قليل انتشر صوت الدف والأغاني الإسلامية بعد أن طلت عروسهم بفستانها الأسود.. نعم اختارت هذا اللون واعتبرت أن هذا اليوم يوم جنازتها، حتى أنها اختارته سادة لا يزينه أي شيء، واقنعت أسرتها أن هذا الفستان يعجبها كثيرًا، وبعد قليل سمعوا جملة المأذون الشهيرة

"بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير".

تعالت الزغاريد وكان الجميع سعداء، إلا هذا الوجه البائس الحزين الذي يكتم أحزانه بداخله، ولم يستطع البوح عنها لأحد، فقرر أن يحفظها في قلبه إلى الأبد.

فما أصعب لحظات السعادة عندما تكون حزنًا على صاحبها!

تقدم الأستاذ محمد إلى عروسه وقبّلها بين جبينها، ثم وضع في إصبعها خاتمًا من الألماس، فنظرت في عينه نظرة مليئه بالحزن والانكسار.

قال هامسًا في أذنيها:

- أصبحتِ لي أيتها العروس، الحمد لله.

ثم تابع:

- ولكن هل تلاحظين أنكِ تبالغين قليلًا في حزنكِ؟

فنظرت هويام في عينه نظرة مطولة، ولم تتفوه بكلمة، وبعد قليل تقدمت ضي إليهما وباركت للعروسين، ثم قالت:

- عمي، إنني انتهيت من اللوحة. أتمنى أن تعجبك، أرجو أن تفتحها وتخبرني برأيك.
- شكرًا لكِ يا ضي، سأفعل الآن.

وبعد أن جلس الأستاذ محمد وعروسه بجانبه، بدأ بفتح اللوحة رويدًا رويدًا تقدم إليه بعض الحاضرين بحماس متشوقين لرؤية رسم ضي

إلى أن انتهى من فتحها، وكانت الصدمة من نصيب الأستاذ محمد وانطبعت الدهشة على بعض الحاضرين بعدما تفاجأوا أن اللوحة عبارة عن

فتاه ترتدي فستانًا أسودًا جالسة في غرفة السجن والدموع منهمرة على وجنتيها، وعريسها خارج الغرفة يقف في منتهى الثقة وثبات ويبتسم لها بخبث.

فماذا تعني ضي بهذه الرسمة؟ وما الذي حدث عندما رأت أمها وعمها وبعض أهل القرية هذه الرسمة؟

ذلك ما سنعلمه في الجزء الثاني.

وبعد ثلاث سنوات..

لو كان يعلم سعيد ما سوف يحدث تلك الليلة حتمًا كان سيمنع حبيبته نهى من الحمل..

بعد بزوغ الفجر، انتظر بفارغ الصبر خارج غرفة العمليات أن تضع زوجته مولودهما الأول الذي انتظراه لخمسة أعوام، ويدعو الله أن يخفف عنها آلامها ويحفظ لهما مولودهما.

وبعد مرور ساعتين من الانتظار.. سمع صوت بكاء يأتي من الغرفة، يتلألأ في جميع أنحاء المشفى فركض مسرعًا من شدة فرحته مستأذنًا الممرضة ان يدخل الغرفة لكي يرى زوجته ومولوده الجديد.

فأخبرته أن ينتظر قليلاً. وبعد مرور نصف ساعة من اللهفة والاشتياق؛ أذنت له بالدخول فأسرع إلى زوجته لكي يطمئن عليها أولًا.

فوجدها غارقةً في سُباتٍ عميق وكأن مغشيًا عليها من شدة تأثير حقنة البنج. اقترب من فراشها وجلس على حافته يقبل يديها ويمسح على رأسها ويهمس لها في أذنيها بكلماتٍ قد سمعتها الطبيبة.

- وردتي، ستكونين بخير كوني قوية.

ثم توجه إلى الطبيبة مطالبًا أن يرى مولوده.. فوجد الممرضة قد أتت به تحمله بين يديها بعد أن قامت بتجهيزه، ثم باركت له على

مولوده الجديد، وأخبرته بعد أن شعرت أنه متشوقًا بمعرفة نوع المولود أنها طفلة تشبه القمر.
فرح كثيرًا أنها فتاة وسجد لله شاكرًا على ذلك، ثم حملها وهو يشم رائحتها الجميلة.
موجهًا كلامه لها:

- أنرتِ حياتي يا حجاب أباكِ وأمكِ من النار.

ثم نظر إليها نظرة مطولة يتأمل جمالها الخلاب مخاطبًا وكأنها تفهمه.

- ما أجملكِ! قطعة من القمر ما شاء الله تشبهين أمكِ كثيرًا.

كان شعرها أسود اللون ينسدل على وجنتيها من شدة نعومته، وعيونها سوداء كسواد الليل في شدة الظلام الدامس، وبشرتها بيضاء كبياض الثلج، ووجنتيها زاهرتين كأنها حورية من الجنة.
من يراها يقسم أنه لم يرَ جمال كهذا من قبل، ثم سمع صوت زوجته تتأوه من شدة ألمها فتوجه إليها مسرعًا حاملًا ابنته بين يديه.
قائلا لها:

- حمدًا لله على السلامة يا عزيزتي نهى.

ثم تابع:

- لقد رزقنا الله بطفلة قطعة من القمر ما شاء الله تشبهكِ كثيرًا.

فتوجهت إليه مقاطعة، وأخبرته أن يعطيها ابنتهما لأنها تود أن تراها وتعانقها.
بعد أن أعطاها ابنتهما، جلس بجانبها وظل يقبلها عدة مرات، ثم أخبرها أن تستعيد صحتها سريعًا وتقوم بالسلامة، لأنه اشتاق إليها كثيرًا هو وابنته، ثم صمت قليلًا وهو يتذكر شيئًا..
وسألها ماذا ستسمي ابنتها؟
تجاهلت نهى سؤاله ونظرت إلى ابنتها وهي بين يديها محاولةً أن تضمها بشدة بين صدرها وتتماسك لدموعها التي كادت أن تنزل بغزارة
وتقول لها بعد أن نظرت نظرة مطولة لعل عينها تتكحل برؤيتها:

- ما شاء الله، رائحتك كرائحة المسك يا ابنتي الجميلة، تشبهين وردة الجوري في جمالها، رقيقة كالفراشة، ناعمة كالحرير. جعل الله أيامكِ كلها سعادة، وأقداركِ كلها خير لكِ، وجعلكِ من الصالحين الذين تفتخر بهم هذه الأمة.

بعد تلك الكلمات الجميلة لابنتها شعرت نهى بألمٍ في معدتها، وظهر على وجهها هذا الألم فلاحظ زوجها ذلك وسألها إن كانت بخير أم لا ولكنها لم تجبه بشيء، فأومأ بالذهاب لكي يحضر الطبيبة وهو يشعر بخوفه الشديد عليها، ولكنها تشبثت بذراعيه مخاطبةً له أن ينتظر فلديها ما ستخبره به، ووضعت طفلتها بجانبها وقالت:

- سعيد، إن حالتي سيئة جدًا وتسوء أكثر مع مرور الوقت، ويبدو أنه قد حان الأوان لكي أرحل لدنيا الحق.

فقاطعها سعيد متفاجئًا من كلامها:

- ما الذي تقولينه يا نور عيني في الظلام؟ أنتِ بخير وستصبحين أفضل في أقرب وقت وسيصبح كل شيء على ما يرام!

وتابع عابس الوجه لا يصدق ما تقوله:

- لا تقولي هذا الكلام مرة أخرى يا روحي.

فنظرت نهى إلى زوجها وطال صمتها كأنها تود أن تخبره بشيء.

ثم قالت له:

- سامحني يا سعيد.

وصمتت برهة، ثم أخبرته أنها كانت مريضة قبل أن تحمل بطفلتهما والطبيبة أخبرتها أن الحمل خطر على صحتها

ولكنها لم تخبره بذلك لأنها كانت تريد أن ينعم بالود ولا تحرمه من ذلك، وإن كان مقابل حياتها.

كان سعيد ينظر إليها وهو مصدوم من سماع هذا الكلام ولا يصدق أن حبيبته نهى كانت مريضة وهو لا يعلم بذلك، وأنها سترحل عنه كما تقول، فنزع يده من يدها الناعمة التي تشعره بدفء وحنان، وخرج من غرفة العمليات يصرخ بأعلى صوتٍ حيث يكاد صوته يرج أنحاء المشفى غير مصدقًا ما تقوله زوجته!

- من الطبيبة التي أخبرت زوجتي أن الحمل خطر عليها وأنها ستموت بعد أن تلد؟ لتأتي لي الآن!!

فخرجت الطبيبة من مكتبها وهي خائفة من صوته المرتفع الذي كاد يرج أنحاء المشفى، وعلى وجنتيها الحزن والأسف وأخبرته أنها من أخبرت زوجته بذلك. وتابعت في أسف:

- لكن صدقني أنني فعلت المستحيل لكي تتحسن! ولكن حالتها تسوء مع الوقت ليس بيدنا شيء آخر نفعله سوى الدعاء لها. سامحني

فصرخ مرة أخرى وقال:

- لماذا لم تخبرني أنها مريضة من قبل؟ وأن الحمل سيضرها؟

فردت الطبيبة وقالت في ارتباك:

- يا أستاذ سعيد، هي من ترجتني أن لا أخبرك بمرضها.

فذهب وتركها وجلس على مقعد جانبًا داخل المشفى، وظل يبكي لا يعرف ماذا يفعل، ثم شعر بصوت زوجته في أذنيه تهمس:

- سعيد

فأسرع إلى زوجته ووجد أن حالتها قد تدهورت أكثر من قبل أن يتركها؛ فقام بمسح دموعه دون أن ترى ذلك، فهو يجب أن يتحلى بالقوة أمامها، ثم توجه إليها وهو يمسك يدها بشدة وقال لها في حزنٍ شديد:

- لن تتركيني يا نهى، عديني بذلك من فضلك!

فأخبرته بصوت متقطع أنها لن تتركه للأبد وسيكونان معًا في جنة الخلد إن شاء الله.

ظل سعيد يبكي ويدي زوجته بين يديه تلتقط أنافسها الأخيرة..

فراقكِ قد أنهكني كثيرًا يا حبيبتي، وغيّر شيئًا ما بداخلي، فهل لكِ أن تخبريني متى سنلتقي؟

أفاق من شروده الذي مرّ عليه ستة عشر عامًا على صوت ابنته تخبره أنها قد أتت له بالدواء.

- سلمت يداكِ يا ابنتي فأنتِ عوض الله لي بعد رحيل أمكِ.

- وأنا أحدث نفسي لماذا والدي يبدو شارد الذهن هكذا!

فأخبرها أنه لا يستطيع نسيانها كأنها رحلت عنه بالأمس وليس من واحد وعشرين عامًا.

- أنا لم أرَها يا والدي. لقد حُرمت من أمي منذ نعومة أظافري، ولكن أنت لم تترك هذا الفراغ. كنت لي نعمة الاب والأم في آنٍ واحد.
- أنا لم أفعل شيء يا ابنتي، هذا واجبي.
- أود أن تحدثني عنها يا ابي، أريد أن أعرف كل شيء عنها..

تنهد الأستاذ سعيد وأخرج زفيرًا هادئًا، وأخبر ابنته بعدما نظر في عينها أنها كانت طيبة القلب، جميلة الروح والشكل كثيرًا كالقمر في ليلة البدر، وكانت له نعم الزوجة، فلم تكن زوجة فقط، بل كانت له خير صديقة وحبيبة وعاشقة. كل تلك الصفات قد اجتمعت فيها وكأنها كالقمر في وحدته.

ثم صمت برهة، وتابع:

- فيا لحظ رجلٍ كانت زوجته تجتمع فيها كل تلك الصفات، فكل رجل يتمنى أن تكون زوجته فيها كل هذه الصفات في آنٍ واحد، وتعلم كيف تستخدم كل صفة في وقتها المناسب. فلا تنسي ذلك يا ابنتي لأنكِ أصبحت في سن زواج وستصبحين عروس عما قريب بإذن الله.

وأكمل:

- وكانت رحمها الله قبل موتها تدعو أن يجعلكِ من الصالحين الذين تفتخر بهم هذه الأمة.

ثم امتلأت عيناه بالدموع وأخبرها أنها كانت نعمة السكن والدفء، فقد كان ينتظر بفارغ الصبر الانتهاء من عمله لكي يعود إلى البيت لكي تستقبله بأجمل ابتسامة لم يرَ مثلها من قبل، الابتسامة التي لم تفارق وجنتيها عند استقباله يومًا واحدًا.

بكت نور هي الأخرى، وانهمرت دموعها بغزارة، ثم تشبثت بيد أبيها، وسألته أن لا يجعل الذكريات تمرضه أكثر من ذلك، فإن

جسده أصبح ضعيفًا للغاية. يحتاج أن يقوى لكي يستطيع التغلب على هذا المرض الذي جعل الألم لم يفارقه منذ أشهر..
وأكملت في ترجي شديد:
- لا تجعل المرض يأخذك مني أنت أيضًا يا ابي.
ثم قبلت يده ودعت الله أن يطِل في عمره بصوتٍ قد سمعه.

***

تمـــــت بحمـــد الله.
رُفيـــدة فتـــحي.

للمتابعة والتواصل مع الكاتبة رفيدة فتحي

/https://www.facebook.com/share/15fY2fARvc

لمتابعة دار أكاديمية الكاتب على الفيس بوك:

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

لمتابعة أكاديمية الكاتب على التليجرام وحضور المحاضرات الشهرية المجانية:

أكاديمية الكاتب للتدريب والاستشارات

اللينك:

https://t.me/AlKatebAcademyforTraining2023

@جميع حقوق النشر محفوظة ل

دار أكاديمية الكاتب للنشر الإلكتروني

٠١١١٣٣٥٧٤٧٣